

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الدراسات الفقهية والقانونية
قسم أصول الدين

رسالة ماجستير بعنوان:

خروج بني إسرائيل من مصر
دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم
**The Israelites Exodus between
the Holy Quran and the Old Testament:
A Comparative Study**

إعداد الطالب

إسماعيل غوجابي

الرقم الجامعي (٠٢٢٠١٠٥٠٠١)

المشرف

الدكتور عامر الحافي

الفصل الأول ٢٠٠٧/٢٠٠٨

خروج بني إسرائيل من مصر

دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم

The Israelites Exodus between the Holy Quran and the Old Testament: A Comparative Study

إعداد: إسماعيل غوجابي

الرقم الجامعي (٠٢٢٠١٠٥٠٠١)

المشرف

الدكتور عامر عدنان الحافي

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

- | | | |
|-------|------------------|--|
| ----- | (مشرفاً ورئيساً) | ١- الدكتور عامر عدنان الحافي |
| ----- | (عضواً) | ٢- الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة |
| ----- | (عضواً) | ٣- الدكتور سامي حسن عطا |
| ----- | (عضواً) | ٤- الأستاذ الدكتور سعدون محمود الساموك |

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ: يوم الأربعاء ١٧ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٦/١٢/٢٠٠٧ م.

الدراسات السابقة

رقم الصفحة	الموضوع:
ج	الفهرس
هـ	الشكر والتقدير:
و	تحليل المصادر والمراجع:
ك	ملخص الرسالة:
١	المقدمة:
٢	الدراسات السابقة
٥	الفصل التمهيدي: مصطلحات البحث:
٦	أ-التعريف ببني إسرائيل.
١٤	ب- بنو إسرائيل في مصر.
١٩	ج - الهجرة السكانية وأبعادها العقدية والاجتماعية.
٢٤	الفصل الأول: خروج بني إسرائيل من مصر في العهد القديم.
٢٥	المبحث الأول: أسباب الخروج في العهد القديم.
٢٦	المطلب الأول: السبب الديني للخروج في العهد القديم.
٣١	المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في العهد القديم.
٣٥	المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في العهد القديم.
٣٩	المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته في العهد القديم.
٤٠	المطلب الأول: زمن الخروج في العهد القديم.
٤٤	المطلب الثاني: جغرافية الخروج في العهد القديم.
٥٢	المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج في العهد القديم.
٥٣	المطلب الأول: الآثار العقدية للخروج في العهد القديم.
٦٥	المطلب الثاني: الآثار التشريعية للخروج في العهد القديم.
٧٥	المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية و النفسية للخروج في العهد القديم.
٨٢	الفصل الثاني: خروج بني إسرائيل من مصر في القرآن الكريم.
٨٣	المبحث الأول: أسباب الخروج في القرآن الكريم.
٨٤	المطلب الأول: السبب الديني للخروج في القرآن الكريم.
٩٤	المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في القرآن الكريم.
١٠٣	المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في القرآن الكريم.
١٠٩	المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته في القرآن الكريم.
١١٠	المطلب الأول: زمن الخروج في القرآن الكريم.
١١٧	المطلب الثاني: جغرافية الخروج في القرآن الكريم.
١٢٥	المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج في القرآن الكريم.
١٢٦	المطلب الأول: الآثار العقدية للخروج في القرآن الكريم.
١٣٦	المطلب الثاني: الآثار التشريعية للخروج في القرآن الكريم.

١٤٢	المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية و النفسية للخروج في القرآن الكريم.
١٥٠	الفصل الثالث: مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم.
١٥١	المبحث الأول: أسباب الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم.
١٥٢	المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم و القرآن الكريم.
١٥٧	المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم و القرآن الكريم.
١٦١	المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته بين العهد القديم والقرآن الكريم.
١٦٢	المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم و القرآن الكريم.
١٦٤	المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم.
١٦٦	المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم.
١٦٧	المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم و القرآن الكريم.
١٧٠	المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم و القرآن الكريم.
١٧٤	الخاتمة:
١٧٦	قائمة المصادر والمراجع:
١٩٠	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية:

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام.

يطيب لي أن أتقدم بخالص الشكر إلى جامعتي، جامعة آل البيت، وعلى رأسها معالي الأستاذ الدكتور عبدالسلام العبادي، التي وجدت فيها كل احترام وتقدير.

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى كلية الدراسات الفقهية والقانونية وعلى رأسها الدكتور محمد علي الزغول عميد الكلية وكافة أعضاء هيئة التدريس وجميع العاملين فيها، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور قحطان الدوري عميد الكلية السابق.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الجليل الدكتور عامر الحافي - حفظه الله ورعاه - الذي أسبغ عليّ من توجيهاته النافعة وإرشاداته البناءة، وكان له أثر واضح في إتمام هذا العمل على الوجه المطلوب، فقد وجدت فيه رحابة الصدر وحسن العناية، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأقدم جزيل الشكر والتقدير إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة هذه الرسالة وتقويمها.

كما أقدم جزيل الشكر والتقدير إلى عمّة زوجتي السيدة علياء التكروري التي لقيت فيها حنان الأم وإلى الأسرة التكرورية كلها.

وإلى جميع، من قدم لي عوناً ونصحتني بالخير وشجعني على كتابة هذه الرسالة وكان له أثر طيب في إخراج هذه الرسالة.

ولا يفوتني أن أشكر شيخي عثمان فأنس بوجان رباني وشجعني على طلب العلم النافع.

فجزا الله الجميع خير جزاء... وأسأله العظيم أن ينفعنا بما علمنا.

والله ولي التوفيق

تحليل المصادر والمراجع

سأحاول في هذا الموضوع تحليل بعض أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الرسالة ولها صلة بموضوعها.

- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ-٩٢٢م)، تهذيب صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م:

يعد تفسير الطبري من أجل كتب التفسير ويعتبر أهم مراجع الباحثين وطلبة العلم، وهو من أمهات التفسير التي حاول أصحابها تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ويعتبر هذا التفسير من أفضل كتب التفسير بالمأثور بجمعه أحاديث رسول الله ﷺ في بيان القرآن الكريم، وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والسلف رحمهم الله الكريم.

وقد نهج الطبري في تفسيره القرآن بالمنقول والاجتهاد بالعقل، وكان الطبري أقرب إلى إصابة الحق في التفسير لاعتماده في التفسير تفسير الآية بالآية أو بما ورد عن الرسول ﷺ أو بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين في تأويل الآيات، ثم يرجح أقواها في المسألة وأصحها فيها، والمدقق في تفسيره يجد أنه يذكر الروايات ويعقبها بالموازنة بينها والمحاكمة بنقد الأسانيد معتمداً على السياق وإعادة الكلام إلى أصله اللغوي، ومن جهة فقد اعتمد الطبري بالدلالة اللغوية والاستشهاد بالشواهد الشعرية والسماعية، ثم يذكر القراءات ويوجهها و يبين أثرها في الآية، واهتم أيضاً بالاجتهادات الفقهية فيذكر الآية ثم يعرض أقوال الفقهاء والمجتهدين وما استنبطوا من الأحكام الفقهية من الآية. يعرض أيضاً العقيدة الصحيحة في الإيمان بالله رب العالمين على مذهب أهل السنة والجماعة، واهتم أيضاً بالنحو والصرف للوصول إلى فهم الآية، وهذا كله يعني أن الطبري جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المعتمد على الحجة.

- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ-١٢٧٢م)، تحقيق سالم مصطفى البديري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

يعتبر تفسير القرطبي من التفسير التي بذل أصحابها الجهد والعناية في التفسير والتحليل واستنباط الأحكام الشرعية وعرض العقيدة الصحيحة، من نصوص الذكر الحكيم، فكان يتبع الآيات

ويحل كل آية ويبين ما يتعلق منها بمعاني الكلمات والاشتقاق الصرفي وأسباب نزولها، ووجه البلاغة، ويكثر القرطبي في عرض المسائل الفقهية وأحكامها مؤيداً أقواله بالروايات الصحيحة فيها، وقد التزم تفسير القرآن؛ سورة سورة، من أوله إلى آخره.

وقد تأثر بأقوال من سبقه من المفسرين مثل الطبري وغيره، فيعرض الآية ثم يذكر أقوال المفسرين فيها، وكان يهتم بالأسانيد في تفسيره، ويستشهد بالأحاديث والأقوال ويضيف إلى قائلها، ومع ذلك نجد في تفسيره بعض الروايات التي ليس لها سند يدعمها، كما نجد فيه الإسرائيليات والقصص التي لا يقبلها العقل والمنطق.

- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٥٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

يعد تفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير، ومن أهم أمهات كتب التفسير التي يرجع إليها الباحثون لفهم القرآن الكريم.

وللمؤلف منهج في تفسيره، يذكر الآية ويفسرها بعبارة سهلة واضحة ويذكر أقوال من سبقه من المفسرين ويفسر سورة سورة وآية آية، وكان في كل آية يفسرها بذكر الآيات المناسبة لها والأحاديث الواردة فيها، ويقارن بين الآية والآيات الأخرى، في المعنى الواحد ويرجح بين الأحاديث والأقوال ويعدل بعد الرواة من أهل العلم بالحديث، والجرح والتعديل، ويذكر في تفسيره الإسرائيليات وأحياناً يتعقبها مبيناً عدم صحتها، وأحياناً لا يفعل ذلك، ومهما يكن الأمر فتفسير ابن كثير يعتبر من أمهات التفاسير ومن أفضل المؤلفات في كتب التفسير.

- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١٨٦٥م - ١٩٣٥م)، تخريج الأحاديث إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

يعتبر من أشهر التفاسير التي اعتمد أصحابها بالعقل لإبراز صورة عامة لبعض الموضوعات في الآيات القرآنية، ويبدو أن تفسير المنار اكتسب اسم المنار من مجلة المنار، التي تدعو إلى الإصلاح وفقاً لمبادئ أصحابها وعلى رأسهم محمد عبده.

وللمؤلف منهج في تفسير القرآن الكريم فقد نهج تفسيره على مذهب السلف الصالح، وإلى جانب هذا فهو ناشر لدروس أستاذه محمد عبده في تفسير القرآن الكريم وكان يضيف إليها من نفسه، ثم واصل التفسير بعد وفاة أستاذه، ويقوم على الاجتهاد العقلي ونبذ التقليد، وبين الظواهر البلاغية والآراء حول الآيات، ويرجح بعضها على بعض كما يشير إلى ما ورد في العهد القديم

ويقوم بنقده ويبيّن أسباب النزول، ويدعو في تفسيره إلى الأخذ بالسنن الإلهية في الكون والأنفس والآفاق.

يتكون تفسير المنار من اثني عشر جزءاً، وينتهي إلى تفسير الآية ٥٢ من سورة يوسف عليه السلام.

- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، لمحمد سيد طنطاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

تحدث طنطاوي عن تاريخ بني إسرائيل وأحوالهم منذ هجرتهم إلى مصر في عصر سيدنا يعقوب عليه السلام إلى أن خرجوا منها ونزلوا فلسطين، واعتمد في تأليف الكتاب على آيات الواردة في بني إسرائيل واليهود والأحاديث الصحيحة، كما يعرض ما جاء في العهد القديم، ثم يقوم أحياناً بالمقارنة بين الروايتين. ومن منهجه أيضاً الاستشهاد بحقائق التاريخ والأحداث التي وقعت في تاريخ بني إسرائيل كما اعتمد أحياناً بالمعطيات الأثرية لكشف الحقائق، وأحياناً يعرض في كتابه الأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة.

- أنبياء الله، لأحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. يعتبر كتاب بهجت من الكتب التي تتناول قصص الأنبياء عليهم السلام، فقد اعتمد صاحبه على أقوال المفسرين والروايات القصصية في الحديث عن الأنبياء، ويضيف كثيراً آراءه فيها، ويعرضها سرداً دون أن يوثق ما أخذه من السابقين أو الاكتشافات الأثرية. وأما الآيات القرآنية فقد التزم بتخريجها وأما الأحاديث فلم يرقم بتخريجها، وإنما يذكر الحديث ولا يذكر مصدره من كتب السنة.

ويعرض أحياناً نصوص العهد القديم ويعقد المقارنة بين الرواية القرآنية والرواية التوراتية.

- بنو إسرائيل في ميزان القرآن، للبهّي الخولي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤م-٢٠٠٣م.

يعرض الخولي في كتابه الآيات المتعلقة ببني إسرائيل مع ذكر أقوال المفسرين السابقين في تلك الآيات والأحاديث الواردة في بني إسرائيل وكان يستعين أحياناً بالأحداث التاريخية والاكتشافات الأثرية.

ويعرض الروايات التوراتية لعقد المقارنة بينها وما ورد في القرآن الكريم أحياناً. وقد تناول المؤلف تاريخ بني إسرائيل بإيجاز مع الحديث عن أحوالهم، وأفكارهم الدينية والسياسية والاجتماعية.

- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

تتكون الموسوعة من ثمان مجلدات، كل مجلد يتناول موضوعاً منفرداً، وتحتوي هذه الموسوعة الشؤون الحياتية لبني إسرائيل منذ أن بالعبرانيين إلى القرن العشرين، ودرس فيها المؤلف أحوال بني إسرائيل، ومصطلح اليهود واليهودية والصهيونية، وذكر فيها الظروف المحيطة بهم في كل مرحلة، ومن ضمن محتوى الموسوعة دراسة الشخصيات التي أثرت في التاريخ لكل مصطلح، وعرض آثار الديانات المختلفة التي أثرت في تلك المصطلحات، أي (بني إسرائيل، واليهود، واليهودية، والصهيونية) وتطرق أيضاً إلى بيان شعائر الديانة، كما بين الآثار الأوروبية في تاريخ هذه المصطلحات في إطار التاريخ.

ويختلف ترتيب موسوعة المسيري عن ترتيب الموسوعات العادية، فهي مرتبة ترتيباً موضوعياً ولم يرتبها ألفبائياً، وبها فهرس مرتب ألفبائياً بعناوين الأبواب والمداخل.

التلمود، لكوهن،، عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول "الأخلاق، الأدب، الدين، التقاليد، القضاء" ترجمة إلى اللغة الفرنسية، جاك مارتى، نقله إلى العربية، سليم طنوس، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.

هذا الكتاب عرض لكتاب التلمود الذي دون لنقاشات حاخامات اليهود، حول الشريعة العملية لليهود والأعراف والقصص الموثقة حسب نظر مؤلفيه، من تاريخ بني إسرائيل واليهود، والأخلاق، الذي يعتبر مصدراً أساسياً لتشريع الحاخامات، وكانت هذه الشريعة تتناقل شفويًا، كما يحتوي أيضاً المعلومات التاريخية للديانة اليهودية، ويقوم بتفسيرها وتبسيطها، وقد لخصه جاك مارتى باللغة الفرنسية ونقله إلى اللغة العربية سليم طنوس، في مجلد واحد

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، بروس بارتون وأصحابه، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية، شركة ماستر ميديا، القاهرة.

هذا الكتاب يقوم بتفسير العهد القديم والعهد الجديد، ويكتفي بكشف المفاهيم الأساسية المختلفة، دون أن يتعمق في تفسير ما في العهدين (العهد القديم والعهد الجديد)، وقد ألف هذا التفسير مجموعة من ذوي الاختصاص بالديانة اليهودية والديانة المسيحية (اللاهوتيين). ويحتوي هذا التفسير الملاحظات التطبيقية حول الديانة اليهودية والديانة المسيحية، ويتناول أيضاً قضايا البيئات التي كتب فيها الكتاب المقدس، والملابس التاريخية للأحداث، والخلفيات الأثرية والمعلومات الجغرافية عن الأماكن المذكورة في الكتاب المقدس وشرح المفاهيم اللاهوتية، والعلاقة ما بين مختلف الفقرات الكتابية وبعضها البعض، فهو كتاب يحتوي آراء مؤلفيه. ويحتوي أيضاً الخرائط الجغرافية، والجداول والأشكال التوضيحية حسب آراء مؤلفيه.

- قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وأصحابه، من نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٥م.

يحتوي هذا القاموس جميع الأسماء والأماكن الواردة في الكتاب المقدس، ومرتب ترتيباً ألفبائياً، ويتناول هذا القاموس مفردات الكتاب المقدس ويقوم بشرحها كاملاً ويبين أصلها أحياناً، وأين ذكرت في الكتاب المقدس ومع بيان كل المعلومات التاريخية والجغرافية حول المفردة، ويحتوي أيضاً الصور البيانية والخرائط الجغرافية.

- دائرة المعارف الكتابية، صموئيل حبيب وأصحابه، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

تعتبر أول دائرة معارف للكتاب المقدس في اللغة العربية، فقد صدرت عن دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، وتغطي مفردات الكتاب المقدس كلها، وتقوم بشرح المفردات وبيان بعض الأفكار المتعلقة ببعض القضايا الدينية والتشريعية، وكما تقدم المعلومات التاريخية والجغرافية، وتفصل أحياناً عبارات الكتاب المقدس المتعلقة بالممارسات الطقوسية والعادات والأعياد والقوانين الاجتماعية والتقاليد الدينية. وتوجد فيها الصور البيانية والخرائط الجغرافية، لبيان الأماكن ومواقعها مشيرة إليها في الماضي وموقعها حاضراً، وهي مرتبة ترتيباً ألفبائياً.

ملخص الرسالة

خروج بني إسرائيل من مصر

دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام أجمعين.

فقد أرسل الله عز وجل للناس رسلاً - عليهم السلام - مبشرين ومنذرين وأنزل على بعضهم كتباً لتكون دستوراً للحياة. فكانت هذه الكتب مرجعاً للبشرية يجدون فيها قوانين علاقتهم بخالقهم الله رب العالمين والأمور التي تتعلق بحياتهم الدنيوية والأخروية.

وقد قمت بدراسة خروج بني إسرائيل من مصر، بحثاً عن الأمور العقدية والاجتماعية، لفهم أهم العوامل التاريخية في حياة بني إسرائيل، والتي قد تساعد فهم الشخصية اليهودية، وتفتح آفاق الحوار بين أتباع الأديان المنصفين.

وشملت هذه الرسالة مقدمة وتحليلاً للمصادر والمراجع وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة ففيها بيان مشكلة الدراسة، ومسوغات الدراسة ومنهجية البحث وبيان الدراسات السابقة.

وتناول تحليل المصادر والمراجع أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في كتابة هذه الرسالة.

وأما الفصل التمهيدي، ففيه التعريف ببني إسرائيل ووجودهم في مصر والهجرة السكانية في التاريخ الإنساني وأبعادها العقدية والاجتماعية.

وأما الفصل الأول فعنوانه: خروج بني إسرائيل من مصر في العهد القديم، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت السبب الديني للخروج والسبب الاجتماعي والسبب الاقتصادي، وبينت أيضاً زمن الخروج وجغرافيته. ووضحت الآثار العقدية والتشريعية والأخلاقية والنفسية التي ترتبت على خروج بني إسرائيل من مصر.

أما الفصل الثاني: فكان عن خروج بني إسرائيل من مصر في القرآن الكريم، وقد قسمته أيضاً إلى ثلاثة مباحث، تناولت السبب الديني والسبب الاجتماعي والسبب الاقتصادي للخروج، بحسب ما جاء في القرآن الكريم، وبينت أيضاً زمن الخروج وجغرافيته، ووضحت كذلك الآثار العقدية والتشريعية والأخلاقية والنفسية التي ترتبت على خروج بني إسرائيل من مصر، من خلال القرآن الكريم.

وأما الفصل الثالث، فكان الحديث فيه عن مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، وقد قسمته أيضاً إلى ثلاثة مباحث شملت: مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم في أسباب الخروج وزمن الخروج وجغرافيته والآثار المترتبة على الخروج. وفي الخاتمة ذكرت النتائج التي توصلت إليها، وأوردت ثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الرسالة.

أدعو الله عز وجل أن ينفعنا ببركة أسمائه الحسنی وصفاته العلیا إنه نعم المولى ونعم النصير، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً نافعاً يا أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء ومن تبعهم بالإحسان.

مشكلة الدراسة:

يهدف هذا الموضوع (خروج بني إسرائيل من مصر) إلى المقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم المتداول بين أيدي الناس، لتقديم دراسة علمية مكثفة حول هذه الكتب السماوية، لإبراز الحقائق الإلهية والخصائص لهذه الكتب، وتحديد الكتاب الذي يعتمد عليه الإنسان ليكون دستور حياته، ولإبراز نواحي الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، والتأكيد على أن القرآن الكريم قد قدم رؤية عميقة للتاريخ الديني لبني إسرائيل.

ومن أهم التساؤلات التي يمكن أن تطرح حول هذا الموضوع، هي:

١- هل لخروج بني إسرائيل من مصر أبعاد عقديّة وفكرية واجتماعية واقتصادية تشكل حدثاً ذا أهمية للبحث؟.

٢- وهل لهذا الحدث انعكاسات في تاريخ بني إسرائيل أشارت إليها الكتب السماوية؟.

٣- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الروايتين، - القرآنية و التوراتية- للخروج؟

٤- ما الأسباب الدينية والاجتماعية والاقتصادية لخروج بني إسرائيل؟.

٥- وهل المعطيات التاريخية والأثرية تساعد في توضيح بعض الجوانب في حادثة الخروج؟.

ومن أجل إجابة هذه الأسئلة كان الهدف المنشود لهذا الموضوع، للبحث عن مدى أهمية وتأثير حادثة الخروج في الفكر الديني اليهودي.

ويكثر في عصرنا هذا الاتصال بين الناس من كل ملة، ويدور النقاش حول الأديان

والمعتقدات في أنحاء العالم، بأسلوب علمي وموضوعي.

ومن القضايا المهمة، التي تستحق البحث، خروج بني إسرائيل من مصر، وهو حدث ذو

أهمية عظيمة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبني إسرائيل.

مسوغات الدراسة:

كان خروج بني إسرائيل من مصر انعكاسات كبيرة في تاريخ بني إسرائيل، وقد أثرت هذه الانعكاسات ض ٢ في صياغة جملة من العقائد والشرائع والطقوس عندهم، كما مثل الخروج، بداية الحياة الجديدة اعتقادياً واجتماعياً واقتصادياً بعد تحررهم من ظلم فرعون وملئه، وتعتبر تحولاً جذرياً لبني إسرائيل.

وبعالم خروج بني إسرائيل من مصر، القضايا الدينية ضمن الإطار التاريخي والجغرافي، ولأن الأفكار الدينية تشكل عنصراً هاماً في الطريقة التي يعمل بها الإنسان لتشكيل الأرض وعمارته وفق معطيات المعتقدات الدينية ومؤثراتها التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الأشياء المقدسة، والدين لا يفصل عن الحياة العملية، ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان، بل هو جزء منه، وهو من السعادة الروحية والرفي المادي له، إن أدرك التوجيهات الربانية بالطريقة الصحيحة وفهم المعاني النبيلة التي نزل بها الوحي،

الدراسات السابقة:

ألف الكثير من العلماء والدارسين، في خروج بني إسرائيل من مصر، وكانت بعض هذه الدراسات مركزة إما على النصوص القرآنية فقط وبعض محاور الموضوع مثل ما فعل صاحب الكتاب (قصة بني إسرائيل من معاني القرآن)، عبد الرحيم فودة، وصاحب الكتاب (التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم تاريخ بني إسرائيل المبكر) لؤي فتوح، وبعضها لم تفرد دراسة مستقلة مستكملة لجوانب خروج بني إسرائيل من مصر، بل اكتفى إما بالتلخيص والإشارة إلى مواضع ورود قصة خروج بني إسرائيل من مصر، في القرآن الكريم والعهد القديم، مثل ما فعل أحمد شلبي، (مقارنة الأديان، اليهودية)، ط٦، ١٩٨٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، وسعدون محمود الساموك في كتابه (موسوعة الأديان والمعتقدات) دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، و(في مقارنة الأديان، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن دراسة أكاديمية) دار الواصل للنشر، عمان، ٢٠٠٦، و موريس بوكاي في كتابه (التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث) ترجمة علي الجوهرى، ولا يوجد بين هذه الدراسات، دراسة وافية في موضوع المقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم في خروج بني إسرائيل من مصر، مع بيان الإطار التاريخي والجغرافي وفيما يتعلق بهذا الموضوع من الأبعاد العقيدة والفكرية والاجتماعية.

منهجية الدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة على منهج استقرائي تحليلي استنباطي، بتتبع النصوص القرآنية ونصوص العهد القديم وما ورد حولها في كتب التفسير والعقيدة و الأديان والتاريخ والجغرافيا والمكتشفات الأثرية، والمقارنة بينها، فيما يتعلق بموضوع الدراسة، وعرض النتائج المستنبطة منها بالأدلة المقنعة في معيار تصديق الوحي الإلهي.

وتقع هذه الدراسة فيم يلي:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة الدراسة، ومسوغات الدراسة ومنهجية البحث، وبيان الدراسات السابقة.

الفصل التمهيدي: مصطلحات البحث.

أ- التعريف ببني إسرائيل.

ب- بنو إسرائيل في مصر.

ج - الهجرات السكانية ودوافعها.

الفصل الأول: خروج بني إسرائيل من مصر في العهد القديم.

المبحث الأول: أسباب الخروج في العهد القديم.

المطلب الأول: السبب الديني للخروج في العهد القديم.

المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في العهد القديم.

المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في العهد القديم.

المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته في العهد القديم.

المطلب الأول: زمن الخروج في العهد القديم.

المطلب الثاني: جغرافية الخروج في العهد القديم.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج في العهد القديم.

المطلب الأول: الآثار العقدية في العهد القديم.

المطلب الثاني: الآثار التشريعية في العهد القديم.

المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية و النفسية في العهد القديم.

الفصل الثاني: خروج بني إسرائيل من مصر في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أسباب الخروج في القرآن الكريم.

المطلب الأول: السبب الديني للخروج في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته في القرآن الكريم.

المطلب الأول: زمن الخروج في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: جغرافية الخروج في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الآثار العقدية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الآثار التشريعية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية و النفسية في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم.

المبحث الأول: أسباب الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم.

- المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم و القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم و القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته بين العهد القديم والقرآن الكريم.**
- المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم و القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم.
- المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج بين العهد القديم القرآن الكريم.**
- المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم و القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم و القرآن الكريم.
- الخاتمة: وفيها ذكر نتائج الدراسة.

الفصل التمهيدي

مصطلحات البحث

أ - التعريف ببني إسرائيل.

ب - بنو إسرائيل في مصر.

ج - الهجرة السكانية وأبعادها العقدية والاجتماعية.

أ - التعريف ببني إسرائيل:

ينتسب بنو إسرائيل إلى سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-^(١)، وتعود التسمية بهذا الاسم إلى ما ورد في العهد القديم، من تغير اسم سيدنا يعقوب -عليه السلام- إلى اسم إسرائيل، فيذكر العهد القديم أن الرب لما صارح سيدنا يعقوب -عليه السلام- حتى مطلع الفجر، ولم يتغلب الرب على سيدنا يعقوب -عليه السلام-، طلب الرب من سيدنا يعقوب -عليه السلام- بأن يطلقه، فأجابه سيدنا يعقوب -عليه السلام-: "لا أطلقك حتى تباركني" فسأله: "ما اسمك؟" فأجاب يعقوب فقال: "لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل، ومعناه يجاهد مع الله لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت"^(٢)، وقد وردت هذه التسمية في القرآن الكريم نسبة إلى سيدنا يعقوب -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾^(٣)، و قد جاء ذكر سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن -عليهم السلام- في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤)، ومنها قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلًّا هَدِينَا وَنُوحًا هَدِينَا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥)، وبهذا تكون لفظة (إسرائيل) تسمياً أطلق على سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-، فيعقوب -عليه السلام- هو (إسرائيل)، وهو الأول من سمي (إسرائيل)، وكما ورد أيضاً بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦)، ومعنى إسرائيل أي عبد الله وصفوته^(٧)، من خلقه و (إيل) هو الله و (إسرا) هو العبد^(٨)، ويُرَى أن (إيل) في اللغة الآرامية تعني (القوي)، وكذلك بالعبرية أيضاً، ويذكر أنهم لبثوا زمناً يصفون (الإيل) بالصفات البشرية ويقبلون القرابة الإنسانية إليه، كما في اسم (عمائيل) من العمومة أو (إيل) أب بمعنى الأبوة^(٩)، وعلى هذا، يكون بنو إسرائيل في الأصل، أولاد سيدنا

١ - بطرس عبد الملك، وأصحابه، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٥م، ص ٦٩، وانظر، سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ط ١٤١٥هـ-١٩٩٥، ص ٢٢٣.

٢ - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٢: ٢٢-٢٨.

٣ - سورة الإسراء، الآية ٥٨.

٤ - سورة البقرة، الآية ١٣٢.

٥ - سورة الأنعام، الآية ٨٤.

٦ - سورة آل عمران، الآية ٩٣.

٧ - سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٤٥.

٨ - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، (٢٢٤-٣١٠هـ)، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحذيب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، ج ١، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٢٠١.

٩ - عباس محمود العقاد، الموسوعة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، مج ١، ط ١، ١٩٧٠م، ص ١٣٠.

يعقوب عليه السلام الاثني عشر، وهم نبي الله يوسف عليه السلام وإخوته الأحد عشر، ويسمونهم أيضاً (الأسباط)، ومن تناسل من ذريتهم، هم (بنو إسرائيل) أو (الشعب الإسرائيلي) المعروف في التاريخ^(١٠)، ويمنحهم صلة ونسباً بإسرائيل الأول، ويضفي عليهم ظلالاً دينية وإيمانية، وهو نوع من التكريم لهم حيث كانوا أنبياء الله وصالحين ممثلين بجانب الحق والهدى والإيمان، ولذا استحقوا هذا التكريم الإيماني بانتسابهم للإيماني والوراثي لسيدنا يعقوب -عليه السلام-^(١١)، وتذكر المصادر أن نسل بني إسرائيل يعود إلى جدهم سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، الذين يقال لهم عبرانيون من العبر أي عبور إبراهيم -عليه السلام-، نهر الفرات، وإبراهيم جد سيدنا يعقوب -عليهم السلام- الذي أطلق عليه إسرائيل فأطلق الاسم على جميع الأسباط من عقبه، ثم على فئة منهم إلى أن عم هذا الاسم على كل من اعتنق الديانة اليهودية^(١٢).

أسماء الأسباط كما جاء في العهد القديم:

١- رؤبين، ٢- شمعون، ٣- لاوي، ٤- يهوذا، وأمهم "ليئة"،

٥- دان، ٦- نفتالي وأمهما "بلهه جارية راحيل"، ٧- جاد،

٨- أثير، وأمهما "زلفة جارية ليئة"، ٩- دينة، ١٠- يساكر،

١١- زبولون، وأمهم "ليئة مرة ثانية" ١٢- يوسف، ١٣- بنيامين وأمهما "راحيل".

هؤلاء هم بنو إسرائيل الاثنا عشر ولداً، كما جاء في العهد القديم، أنهم ولدوا له في سهل

أرام^(١٣).

ومما هو مقطوع فيه، أن سيدنا يعقوب وابنه يوسف -عليهما السلام-، نبيان كريمان، من أنبياء الله -عز وجل-، وكذلك سيدنا إسحاق وأبوه إبراهيم -عليهما السلام-، فهما كذلك نبيين رسولين، وكلهم دعوا إلى توحيد الله^(١٤)، فدينهم الإسلام، الذي لا يقبل الله تعالى من العباد سواه ديناً، أما سائر أولاد سيدنا يعقوب -عليه السلام-، فهم ليسوا أنبياء، ولو كانوا أنبياء لذكرت نبوتهم في العهد القديم، أوفي القرآن الكريم، لأهمية الأحداث التي جاء عرضها في شأنهم، وما قاموا به من المؤامرات على سيدنا يوسف -عليه السلام-، دليل قاطع على أنهم ليسوا أنبياء، بل كانوا مسلمين، وقد أخبر الله -عز وجل- عما قاله سيدنا يعقوب -عليه السلام- لبنيه، وقد حضرته الوفاة، في قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا

^{١٠} - محمد أحمد كنعان، بنو إسرائيل واليهود، تاريخ مصر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٢٤.

^{١١} - صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ -وسمات -ومصير، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٣٩.

^{١٢} - عفيف عبد الفتاح طيارة، اليهود في القرآن، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط١٢، ١٩٨٦م، ص ١١.

^{١٣} - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٥: ٢٣.

^{١٤} - خالد إبراهيم عبد الله الحسن، "إبراهيم الخليل -عليه السلام- في الأديان الثلاثة" دراسة مقارنة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة آل

البيت، المرق، ٢٠٠٠م، ص١٥٩.

تموتن إلا وأنتم مسلمون»^(١٥)، فهؤلاء مسلمون -أي أبناء سيدنا يعقوب -عليه السلام- كما هو ثابت في صريح نص القرآن الكريم، والذي بعث فيه رسولاً نبياً، هو سيدنا يوسف -عليه السلام-.

ومن المصطلح عليه، عند كثير من الباحثين لبني إسرائيل من وجهة النظر، الربط بين ثلاثة مصطلحات، وجعلها بمفهوم واحد، وربطها بسيدنا إبراهيم -عليه السلام-، عقيدة وديناً ونبياً، باعتباره الجد الأعلى والتاريخي لها^(١٦)، وهذه المصطلحات هي: العبرانيون، وبنو إسرائيل، واليهود، وقد التبست على كثير من الناس العلاقة بين هذه المصطلحات.

ويسبب هذا الالتباس وقع بعض الناس في أخطاء رتبوا عليها أحكاماً ومواقف غير مطابقة للواقع، وتوهموا أن بني إسرائيل الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن الكريم، هم اليهود، وأن كل يهودي هو إسرائيلي وعبراني، خلافاً للواقع، والواقع التاريخي وحقايقه الثابتة^(١٧) ولذلك أرى من الأهمية بمكان التفريق بين هذه المفاهيم الثلاثة ليكون التصور سليماً كما هو عليه في الواقع.

ولبيان الفارق بين بني إسرائيل وبين مصطلح اليهود، أتباع الديانة اليهودية، وعلاقتها بالعبرانيين علينا أن ندرك التالي:

أولاً: تسمية بني إسرائيل بالعبرانيين:

جاء في سفر التكوين أن اسم سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، العبراني، لأنه عبر نهر الفرات^(١٨)، وقيل إنهم سموا بالعبرانيين نسبة إلى (عبر) وهو الجد الخامس لسيدنا إبراهيم -عليه السلام-^(١٩)، ويقول سعدون الساموك: "إن كلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي للأراميين وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى"^(٢٠)، ويرى بعض الباحثين أن العبرانيين هم أحد فروع الدوحة السامية، وينسب اسمهم إلى (عابر)، أحد أجداد سيدنا إبراهيم -عليه السلام- الذي أتى بهم إلى فلسطين، وقد أطلق عليهم هذا اللقب الكنعانيين، إذ سموا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- (أبرام العبراني)، بعد أن عبر نهر الفرات إلى فلسطين، في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، و أن لفظة (العبرانيون) مشتقة من الفعل (عابر) الذي يعني الطرف الآخر، دلالة على

^{١٥} - سورة البقرة، الآية ١٣٢.

^{١٦} - عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، ودار البيارق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ٢١.

^{١٧} - كنعان، بنو إسرائيل واليهود، المرجع السابق، ص ٢٥.

^{١٨} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٣: ١٤.

^{١٩} - محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٩، وانظر، سعدون محمود الساموك، في مقارنة الأديان،

المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن دراسة أكاديمية، دار الواصل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦، ص ٨٧.

^{٢٠} - المرجع نفسه، ص٨٧، نقلاً عن ولفنسون.

مجيء سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من الطرف الآخر لنهر الفرات^(٢١)، ومن العلماء من يرى أنها مشتقة من (الهيرو) أو (العبيرو)، وهو اسم للقبائل السامية اليهودية، المتنتقلة التي ظهرت في غرب آسيا في فترة ما بين (٢٠٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، وسمي سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وعائلته بعد هجرتهم من بابل إلى حران، ومنها إلى أرض كنعان^(٢٢)، وقد جاءت هذه اللفظة في مواضع أخرى في العهد القديم، ومنها ما جاء أثناء الحديث عن سيدنا يوسف - عليه السلام - باعتباره من أحفاد سيدنا إبراهيم العبراني - عليهما السلام -، وقد وردت في سفر التكوين "أنظروا ما جرى؟ هذا العبراني الذي جاء به زوجي إلى البيت... ودخل العبد العبراني الذي جنّت به إلينا"^(٢٣)، وقد سمي سيدنا يوسف - عليه السلام - بالعبراني لصلته بجده الأعلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، و جاءت هذه التسمية أيضاً، في سفر التثنية للإشارة إلى صلة قرابة بني إسرائيل بسيدنا إبراهيم - عليه السلام -، أول من لقب بهذا اللقب، كما جاء في سفر التثنية قوله: "إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك"^(٢٤).

وأما القرآن الكريم فلم يستخدم لفظة (عبري) على الإطلاق ولم يشر إلى أية أحداث تاريخية، أو طقوس دينية أو عادات وعبادات مرتبطة بهذه التسمية (العبرية)، على الرغم من أن بعض الشخصيات القرآنية كسيدنا إبراهيم وإسحاق ويوسف - عليهم السلام - قد وصفوا في العهد القديم، بهذه التسمية كما ذكرت سابقاً، وما ورد في القرآن الكريم هو مصطلح (بني إسرائيل) دون (العبري)، لتمييز هذه الجماعة عن بقية الجماعات التي عاصرتها من الكنعانيين والمصريين، ويمكن مقارنة هذه الجماعة بالتسميات أو المصطلحات الأخرى التي استخدمها القرآن الكريم مع كثير من الأقوام الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، فعبارة (بني إسرائيل) تكاد تشبه في هذا المقام عبارات "قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، عليهم السلام"^(٢٥)، فكان هؤلاء العبرانيون يختلفون عن غيرهم، من القبائل التي تعيش بالقرب من تلك البلاد التي ينزلون فيها، و يختلفون عنهم كثيراً في كلامهم أو مظهرهم وفي طقوسهم، وهم موحدون الله وحده، في العبادات، واختلفوا عن بقية الشعب في أن جميع القبائل الأخرى كانت تعبد الأصنام، أما العبرانيون فكانوا يتبعون تعاليم سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في توحيد الله وحده لا شريك له، ويؤمنون بأن الأصنام يجب ألا تعبد على الإطلاق^(٢٦)، وتذكر المصادر أن العبرانيين أصبحوا يتكاثرون ويتزايدون، وأصبح

٢١ - فجاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٢١.

٢٢ - المرجع نفسه، ص ٢١.

٢٣ - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٩: ١٤-١٨.

٢٤ - سفر التثنية، الإصحاح: ١٥: ١٢.

٢٥ - محمد أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ص ٤٣، ٤٧.

٢٦ - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

لسيدنا إبراهيم -عليه السلام- ولد اسمه إسحاق، وجاء لسيدنا إسحاق ولد اسمه يعقوب، وكان لسيدنا يعقوب بن إسحاق -عليهم السلام- اسم آخر هو إسرائيل، ولهذا سمي أبناؤه بني إسرائيل، أو الإسرائيليين، وبالعبرانيين نسبة إلى جدهم، سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، ولم يمض وقت طويل، حتى أصبح الإسرائيليون قبيلة قوية كبيرة العدد، وصاروا ينتقلون من مكان لآخر، بحثاً عن المراعي الخصبة، التي يحتاجون إليها^(٢٧).

وقد أصبحت لفظة (عبري) تستخدم للدلالة على اللغة التي تحدثت بها هذه الجماعات، وهي اللغة العبرية القديمة كما تطلق أيضاً على الأدب الذي يكتب باللغة العبرية وسيلة للتعبير^(٢٨).

ويرى أحمد سوسة أن كلمة (عبري) كانت "تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة كبيرة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب وفي بادية الشام، وكانت العبرية (بمعنى لغة هؤلاء العبرية) آنذاك لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وفي شرقي الأردن ومنهم العمالقة والمديانيون وغيرهم من الأقسام العربية في المنطقة حتى صارت كلمة (عبري) مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام"^(٢٩)، وبهذا المعنى تكون كلمة (العبري) غير محصورة على سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وإنما تشمل كل من نزح من موطنه الأصلي يطلق عليه (عبري)^(٣٠).

ثانياً: تسمية بني إسرائيل بالإسرائيليين:

لقد ذكرت فيما سبق في التعريف ببني إسرائيل أنهم ينتسبون إلى أبيهم إسرائيل وهو سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-، وبينت معنى كلمة (إسرائيل) وأنها مركبة من (إيل) وهو الله و (إسرا) وهو عبده فيكون معنى (إسرائيل) بمعنى عبد الله، وبهذه التسمية لأبيهم -عليه السلام- سمي أولاد سيدنا يعقوب -عليه السلام- ببني إسرائيل، وشاع هذا الاصطلاح بين الناس منذ القديم، فعرفوا بهذا الاسم لصلة القرابة الأبوية والنسل، كما ذكرت أيضاً، أن هذه التسمية وردت في العهد القديم والقرآن الكريم منسوبة، إلى سيدنا يعقوب -عليه الصلاة والسلام-، ومن بعد أبناء سيدنا يعقوب -عليه السلام- وذريتهم من بعدهم، تكونت أمة بني إسرائيل^(٣١).

^{٢٧} - المرجع نفسه، ص ٣٢٣

^{٢٨} - فائز فارس، اللغة العبرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٧، ص ٢٠.

^{٢٩} - أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط ١٩٨١، م، ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

^{٣٠} - المرجع نفسه، ص ٤٩٥.

^{٣١} - أنظر، ص، ٦، ٧، ٨.

ثالثاً: تسمية بني إسرائيل باليهود:

تأتي هذه التسمية في المرتبة الثالثة من التسلسل التاريخي، غير أن لهذه التسمية دلالة عامة ودلالة خاصة، وقبل أن أعرض هذه الدلالات أود أن أقف عند دلالة هذه الكلمة (اليهود) لغة:

يذكر أصحاب المعاجم أن كلمة (اليهود) من (هودا) والهُود: التوبة، قال الله - عز وجل -: ﴿إنا هدنا إليك﴾^(٣٢)، أي تبنا إليك، والهُود: اليهود، هادوا يهودون هوداً، وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا، أي تابوا، ويقال نسبوا إلى يهوذا، وهو أكبر ولد لسيدنا يعقوب - عليه السلام -، وحولت الذال إلى الدال حين عربت^(٣٣)، ويرى بعض الباحثين في مقارنة الأديان أن تسمية اليهود كانت في سنة (٥٣٨ ق.م)، وذلك لما "احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين، وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود، واطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بني إسرائيل"^(٣٤).

وقال ابن دريد: "وهاد الرجل يهود هوداً إذا أناب ورجع"^(٣٥)، وقال صاحب لسان العرب: "الهُود: التوبة، هاد يهود هوداً، وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد، والمتهود المتقرب، والتهود: التوبة والعمل الصالح... ويهود: اسم للقبيلة، والهود: اليهود، وهود الرجل: حوله إلى ملة يهود، والتهويد: أن يصير الإنسان يهودياً وهاد وتهود: إذا صار يهودياً"^(٣٦)، ويرى بعض أن معنى (هاد) إذا رجع من خير إلى شر أو شر إلى خير، ويذهبون إلى القول بأن يهود اسم للقبيلة، وأهلها يهود معرب بقلب الذال دالاً، فقالوا: اليهود، فأدخلوا الألف، واللام فيها على إرادة النسب^(٣٧)، وقيل إن كلمة يهود عربية مشتقة من الهود وهو التوبة والرجوع^(٣٨)، وبهذا يكون معنى كلمة (يهود) رجوع من شر إلى خير، ويرى بعض أنها مأخوذة من (يهوذا) أحد أسباط بني إسرائيل، أو دولة يهوذا التي كانت في فلسطين، بعد سيدنا سليمان - عليه السلام -^(٣٩)، والقول الصحيح أن اشتقاق تسمية اليهود ليست من اللغة العربية، وإنما هي نسبة إلى يهوذا، والملاحظ أن هذا الاسم وهو اليهود لم يذكر في العهد القديم إلا في سفر عزرا، الذي يتحدث عن فترة سبي شعب دولة يهوذا إلى بابل،

^{٣٢} - سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

^{٣٣} - الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، (ت ١٠٠ - ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السام راني، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ج ٤، د. ط. د. س. ن، ص ٧٦.

^{٣٤} - الساموك، في مقارنة الأديان، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن دراسة أكاديمية، المرجع السابق، ص ١٠٣.

^{٣٥} - محمد بن الحسين ابن دريد أبو بكر الأزدي البصري، (ت ٣٢١هـ)، كتاب جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد الظاهر، ج ٢، د. ط. د. س. ن، ص ٣٠٦.

^{٣٦} - محمد بن مكرم ابن منظور أبو الفضل، (ت ٧١١هـ)، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، إشراف عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٧٠٢.

^{٣٧} - شوقي، إبراهيم علي عبد الله، مقارنة الأديان، محوث في اليهودية وتاريخها وعقائدها وأهم فرقها، وموقف الإسلام منها، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ٧.

^{٣٨} - سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، د. ط. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٣٥.

^{٣٩} - الخلف، دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، المرجع السابق، ص ٣٥.

وكانت الأسفار قبله تطلق عليهم اسم الشعب وإسرائيل ولكن بعد السبي صاروا يلقبون باليهود وما ذلك، إلا لأنهم شعب دولة (يهودا)، وعلى هذا الاصطلاح عند الباحثين في اليهودية من وجهة نظر ربطوها بالدين والعقيدة، باعتبارهم من وجهة النظر اليهودية أنهم أتباع سيدنا موسى - عليه السلام -، وكتابهم التوراة، المسمى بالعهد القديم، وأن هذه التسمية استخدمت بداية العصر المسيحي للدلالة على الدين والشعب الذين يدين باليهودية^(٤٠)، وقد جاء في العهد الجديد بكلام بولس عن نفسه "أنا رجل يهودي طرسوسي"^(٤١)، وقال أيضاً: "أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس"^(٤٢)، وفي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه"^(٤٣)، ومعناه "أنهما يعلمانه دين اليهودية أو النصرانية ويدخلانه فيه، وقد أشرت فيما مضى أن للمصطلح اليهودي دلالة عامة ودلالة خاصة، فسأقف عند هذه الدلالات كما يراها الباحثون في الأديان، قبل أن أتحدث عن استخدام الكتب السماوية لهذا المصطلح.

أولاً: الدلالة العامة للتسمية اليهودية:

تطلق اليهودية على كل من يدخل في الديانة اليهودية ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها، فهي دلالة دينية خالصة ومثلها مثل نسبة المسيحي إلى الديانة المسيحية، ونسبة مسلم إلى الديانة الإسلامية، فهذه التسمية تشير إلى الانتماء إلى كيان ديني خاصة، له أفكاره الدينية وتعليماته الخاصة له، و كما له أنظمة اجتماعية وفكرية وحياتية خاصة له^(٤٤).

ثانياً: الدلالة الخاصة لهذه التسمية: وأما الدلالة الخاصة للمصطلح اليهودي فهي تشير

إلى الانتماء إلى كيان سياسي جغرافي واجتماعي، وأصلها ترجع إلى يهودا أحد أبناء سيدنا يعقوب - عليه السلام -^(٤٥)، الذي كان من أسباط بني إسرائيل، وكان لهذا الكيان السياسي دور كبير في تنظيم مسيرة الشعب الإسرائيلي وتحديد مبادئه العامة والخاصة، -على وجهة نظر أصحاب هذه الأنساق- منذ تأسيس مملكة يهودا في الجنوب^(٤٦)، ومهما يكن من الأمر، فإن بني إسرائيل هم أولاد سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم والد سيدنا إسحاق - عليهم السلام -، ومنهم تكونت - هؤلاء أحفاد سيدنا إبراهيم عليه السلام - أمة بني إسرائيل ونسبت إليهم بعد وفاة أبيهم سيدنا يعقوب - عليه السلام - الذي سكن في منطقة فلسطين، وكان ينتقل وعائلته من مكان إلى مكان يعيش فيها

^{٤٠} - المرجع نفسه، ص ٣٥.

^{٤١} - سفر أعمال الرسل، الإصحاح: ٢١: ٣٩.

^{٤٢} - سفر أعمال الرسل، الإصحاح: ٢٢: ٣، وطرسوس: مدينة مشهورة في مقاطعة كيليلية، سفر أعمال الرسل، الإصحاح: ٢١: ٣٩.

^{٤٣} - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ترميم وترتيب، محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين،

حديث رقم ١٣٨٥، دار ابن الهيثم، القاهرة، ص ١٥٧.

^{٤٤} - محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ٢٩.

^{٤٥} - هذه الاعتبار على حسب الذين يرون أن اليهود مأخوذ من كلمة يهودا أحد أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام، أنظر، ص ١١ من هذا البحث.

^{٤٦} - حسن، تاريخ الديانة اليهودية، المرجع السابق، ص ٢٩.

حياة البداوة، إلى أن جاءوا بهم إلى حياة الحضرة في مصر^(٤٧)، وعلى الرغم من وضوح جذورهم وأنهم من سلالة سيدنا يعقوب -عليه السلام-، إلا أنه أصبح هذا الاسم يطلق على كل من دخل في دين اليهود أو في دولة يهوذا، دون اعتبار بالمفهوم الأول لهذه التسمية، واختلط هذا المصطلح عند بعض الناس ولم يفرق بعضهم بين مصطلح اليهود ومصطلح بني إسرائيل، مع أن الفرق بين هذين المصطلحين كبير، ورغم ذلك فإن التلمود قد استعمل إسرائيل واليهود، بمفهوم واحد^(٤٨)، والصواب أن يفرق بينهما، لأن مفهوم اليهود هو مفهوم ديني، في حين أن مفهوم بني إسرائيل مفهوم نسبي ولا أكثر من ذلك.

وعلى هذا فإن التفرقة في الدلالة بين الكلمتين ودلالاتهما، نجدها في العهد القديم والقرآن الكريم، وقد جاء في العهد القديم أن إسرائيل لقب سيدنا يعقوب -عليه السلام- وأن سبب تسميته بهذا اللقب هو مجاهدته مع الله سبحانه وتعالى، ومع الناس، "فقال له الله: لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل"^(٤٩)، أي عبد الله، وإذا كان يوجد في العهد القديم إشارات إلى العلاقة بين هذين المصطلحين فإنه يجب أن تدرس بدقة لبيان الفرق بين المصطلحين، وهو أن بني إسرائيل مفهوم نسبي وأن اليهود مفهوم ديني، بالاعتبار أن هذا المصطلح أطلق على الذين اعتنقوا اليهودية، وأما في القرآن الكريم فنجد أنه عندما يتحدث عن بني إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- أو كان يشير إلى بعض ما وقع لهم وعليهم قبل البعثة أو في سياق الرضا والعتاب، كان يطلق عليهم (بنو إسرائيل) وعندما يتحدث عنهم في مواجعتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة بعد هجرته إليها ويكشف عن أقوالهم وأحوالهم كان يطلق (اليهود)^(٥٠)، فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن الجانب التاريخي والإشارة إلى إيمان بعض منهم يستخدم تسمية (بني إسرائيل) وذلك كما في قوله تعالى: ﴿سَلِّ بْنِ إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةِ بَيْنَةٍ﴾^(٥١).

^{٤٧} - الخلف، دراسات في الأديان، المرجع السابق، ص ٣٩.

^{٤٨} - كوهن، التلمود، عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول "الأخلاق، الأدب، الدين، التقاليد، القضاء" ترجمة إلى اللغة الفرنسية، جاك مارتى، نقله

إلى العربية، سليم طنوس، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١١٣.

^{٤٩} - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٢: ٢٨.

^{٥٠} - الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، المرجع السابق، ص ٣٨.

^{٥١} - سورة البقرة، الآية ٢١١.

ب - بنو إسرائيل في مصر:

يرى بعض المؤرخين أن نزوح سيدنا يعقوب -عليه السلام- وأهله من أرض كنعان إلى مصر كان قرابة القرن التاسع عشر قبل الميلاد، على إثر مجاعة أصابت مناطق غرب آسيا، وأصيبت أرض كنعان ومراعيها بجذب وقحط وجفاف، في حين مرت بمصر سنوات من الرخاء فاض خلالها إنتاجها وادخر الكثير منه، فلما حلت المجاعة في أرض كنعان وما جاورها، لم يجد الإسرائيليون أمامهم سوى أن يهاجروا إلى مصر التي سمعوا عن وفرة غذائها وغنى مراعيها، إلا أن هجرة سيدنا يعقوب -عليه السلام-، وأهله إلى مصر قد سبقها أحداث تاريخية في حق سيدنا يوسف -عليه السلام-، وهو أول من دخل مصر من أولاد سيدنا يعقوب -عليه السلام-، وذلك لما بيع إلى ملك مصر آنذاك، فيذكر العهد القديم، عن دخول سيدنا يوسف -عليه السلام- مصر: " وأخذ الإسماعيليون يوسف إلى مصر فاشتراه منهم مصري، يدعى فوطيفاركان خصي فرعون ورئيس الحرس"^(٥٢)، وأما في القرآن فقد جاء ذكر هذه الأحداث التاريخية عن دخول سيدنا يوسف -عليه السلام- مصر، حيث يعتبر الحلقة الأولى لدخول سيدنا يعقوب -عليه السلام-، وأهله مصر، قال الله تعالى ﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأرْسَلُوهُا وَارِدَهُمْ فآدَلِي دَلُوهُ قَالَ يَا بَشْرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرُوهُ بِثَمْنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٥٣)، وتربى سيدنا يوسف -عليه السلام- في بيت ملك مصر الذي اشتراه مكرماً محبوباً إلى أن بلغ أشده آتاه الله الحكمة والعلم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٥٤)، وكان لسيدنا يوسف -عليه السلام- رغبة في العدل وإقامة الحق والإحسان، ولذا طلب من ملك مصر تفويض خزائن الأرض إليه، واستجاب الملك إلى طلبه، وولاه أمر مصر، وأوفى رغبته في العدل وتلطف بالناس لما فوض أمر مصر إليه، وجعل يدعو الناس إلى الإسلام حتى آمن به من آمن من أهل مصر، وفي تلك الفترة كان أبناء سيدنا يعقوب -عليه السلام- يترددون على مصر لقصد التجارة وطلب القوت، فتعرفوا على أخيه يوسف -عليه السلام-، الذي كان في ذلك الوقت أميناً على خزائن مصر فأكرمهم وطلب منهم أن يحضروا جميعاً، ومعهم أبوهم يعقوب -عليه السلام- إلى أرض مصر؛ ليعيشوا فيها، ويهجروا فلسطين^(٥٥)، وقد استقبل المصريون هؤلاء الضيوف استقبالاً طيباً كعادتهم دائماً، وسمحوا لهم بالاستقرار في الإقليم القريب من نهر النيل^(٥٦)، ويرى بعض المؤرخين أن الإسرائيليين دخلوا مصر ضمن قبائل الهكسوس التي زحفت على البلاد إثر

^{٥٢} - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٩: ١.

^{٥٣} - سورة يوسف، الآيات ١٩-٢٠.

^{٥٤} - سورة يوسف، الآية ٢٢.

^{٥٥} - طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ١٤-١٥، وانظر، الخلف، دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، المرجع السابق، ص ٣٩.

^{٥٦} - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٣.

المجاعة، وذلك عام (١٧٣٠) قبل الميلاد^(٥٧)، ويذكر بعضهم، أن دخولهم مصر كان في عام (١٦٥٠) قبل الميلاد^(٥٨)، وجاء في العهد القديم أن عدد الإسرائيليين حين دخلوا مصر لا يزيد عن سبعين نفساً^(٥٩)، وبالتحديد حسب ما جاء فيه هو: "وكان عدد جميع الأشخاص الخارجين من صلب يعقوب، ممن وفدوا إلى مصر ستة وستين شخصاً ما عدا زوجات أبنائه، وأبناء يوسف اللذان ولدا له في مصر هما شخصان، فيكون عدد نفوس بيت يعقوب التي قدمت إلى مصر سبعين نفساً"^(٦٠)، وقد أكرم سيدنا يوسف -عليه السلام- مثنى أبيه وإخوته، ورقق عليهم قلب ملك مصر في تلك الفترة، وتذكر المصادر أن الإسرائيليين طلبوا من ملك مصر^(٦١)، بأن يسكنهم في أرض جاسان^(٦٢)، فاعتزلوا عن المصريين ومعبوداتهم وعقائدهم، فكانوا شعباً مؤمناً بين وثنيين، فاستقلوا بناحية من الأرض أعطاهم إياها فرعون مصر^(٦٣)، وجاء في العهد القديم: "لقد جاء إليك أبوك وإخوتك وأرض مصر أمامك، فانزل أباك وإخوتك في أفضل الأرض، دعهم يقيمون في أرض جاسان"^(٦٤)، قال الله تعالى: ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين﴾^(٦٥)، وعاش الإسرائيليون القادمون من كنعان سعداء في أفضل أرض بمصر وتكاثر عددهم، عاماً بعد عام، فصاروا شعباً، حتى جاءهم سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- لإخراجهم^(٦٦).

ويرى بعض المؤرخين، أن عدد بني إسرائيل تكاثروا حتى بلغ (٦٠٣٥٠٠) ابتداءً من سن العشرين، "ومعنى هذا أن تعدادهم العام يتجاوز المليونين، وكانوا لا يزالون في عزلتهم ولكن العزلة آنذاك أصبحت تستلقت نظر المصريين، وتثير خوفهم، فهي لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال والنساء ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة"^(٦٧)، و هناك من يذهب من الباحثين أن سيدنا يوسف -عليه السلام- دعا الناس إلى دين الإسلام أثناء حكمه، واستجاب له بعض من

^{٥٧} - محمد أبو رحمة، الإسلام والديانة المصرية القديمة، دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م، ص ١٣، وانظر كامل

سغان، اليهود، تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، د.م.ن.ط، ١٩٨١م، ص ١٠.

^{٥٨} - عبد الله، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ١٤.

^{٥٩} - المرجع نفسه، ص ١٥.

^{٦٠} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤٦: ٢٦.

^{٦١} - محمد الفقي، قصص الأنبياء، أحداثها وعبرها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

^{٦٢} - تقع جاسان بمحافظة الشرقية بمصر.

^{٦٣} - الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، المرجع السابق، ص ٣٩، وانظر شلي مقارنة الأديان، اليهودية، المرجع السابق، ص ٤٤، ومظهر، قصة الديانات،

المرجع السابق، ص ٣٢٣.

^{٦٤} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤٧: ٥-٦.

^{٦٥} - سورة يوسف، الآية ٩٩.

^{٦٦} كنعان، بنو إسرائيل واليهود، المرجع السابق، ص ٣٠، وانظر، مظهر قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٣، وانظر سليم حسن، مصر القديمة، مطابع الهيئة المصرية

العامية للكتاب، القاهرة ج ١، د.ط، سنة ١٩٩٣م، ص ١٤٠.

^{٦٧} - شلي، مقارنة الأديان اليهودية، المرجع السابق، ص ٤٥.

المصريين، مع وجود تعدد الآلهة أيضاً في مصر بشكل كبير^(٦٨)، ولكن بوجود الإسرائيليين في مصر وبدعوة سيدنا يوسف -عليه السلام- وجدت في مصر جماعة توحّد الله -سبحانه وتعالى- في العبادة^(٦٩)، وهم الإسرائيليون الذين هم في الأصل مسلمون، و بعض المصريين الذين استجابوا لدعوة سيدنا يوسف -عليه السلام-، وأمنوا بالإسلام.

ومضت الأيام وتوفي سيدنا يعقوب -عليه السلام- بمصر، بعد أن مكث فيها مذ جاءها ليلتي بابنه سيدنا يوسف -عليه السلام-، ودفنوه حيث ولد في فلسطين، وكان قبل وفاته قال لابنه سيدنا يوسف -عليه السلام- حسب ما جاء في التلمود: "ولما دنا أجل يعقوب دعا ابنه يوسف وقال له إن أصبت حظوة في عينك فضع يدك تحت فخذي وأصغ إلي رحمة وفاء، لا تدفني في أرض مصر"^(٧٠)،

وجاء في العهد القديم، ثم أوصاهم قائلاً: "قريباً انضم إلى آبائي فادفنوني إلى جوارهم في مغارة حقل عفرون الحثي، التي في حقل المكفيلة المواجهة لممر، في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثي لتكون مدفناً"^(٧١).

ويرى المؤرخون أنه كان في مصر جماعات تسمى الهكسوس من الرعاة نشأوا في آسيا ثم اندردوا إلى مصر في سنوات القحط والمجاعة، التي حلت ببلادهم فعاشوا في مصر حوالي سنة (٢٠٩٨) إلى سنة (١٥٨٧ ق.م)، وفي هذه الفترة الأخيرة وقع الشقاق والنزاع بين هذه الجماعات الهكسوسية، والأسرة عشرة، وكان فرعون حاكم هذه الأسرة يسمى (أحمس)، الذي قام بطرد الهكسوس خارج مصر، وأقام حكماً وطنياً قوياً، ولم يتعرض أحمس لبني إسرائيل بسوء، كما لم يتعرضوا لسوء في القرن السادس عشر ق.م^(٧٢).

ولكن يبدو أن قوم فرعون، رغم أنهم لم يتعرضوا لبني إسرائيل بسوء، إلا أنهم كانوا يلاحظون عزلة بني إسرائيل عن مجتمع مصر وعدم اختلاطهم بهم، مع زيادة تكاثرهم، مما رَوَّع المصريين وخافوا من بني إسرائيل بأن يتآمروا ضد سلامة الدولة^(٧٣)، فلما قامت الأسرة التاسعة عشرة، ومن ملوكها (رمسيس الثاني)، بدأ ظهور العدوان ضد بني إسرائيل، وذلك بعد وفاة سيدنا

^{٦٨} - أرمان أدولف، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، د.ط، د.س.ن، ص ١٣١.

^{٦٩} - أحمد بمحت، أنبياء الله، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٦٦، ١٤٠٨-١٩٨٧م، ص ١٨٣.

^{٧٠} - كوهن، التلمود، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

^{٧١} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤٩: ٢٩-٣١.

^{٧٢} - شلي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ٤٥، وانظر طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ٢٠.

^{٧٣} - شلي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ٢٠، وانظر أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص ١٠٥.

يوسف - عليه السلام - بسنين، فتغير الحال على بني إسرائيل وانقلب عليهم فرعون ظلماً وطغياناً وعتوا^(٧٤)، وتذكر المصادر أن فرعون مصر استدعى كهنته وحكماءه وسألهم عما يفعله ببني إسرائيل قبل أن يزداد عددهم، ويستفحل خطرهم على البلاد^(٧٥)، فكان رأي الحكماء بأن يستعبدهم، حتى لا يفكروا لأنفسهم، بل لكي يفكروا كما يفكر فرعون وقومه، ويعتقدون كما يعتقد أهل مصر في عبادة الأصنام و ممارسة الطقوس الدينية^(٧٦)، وأخذ فرعون بنصيحة الحكماء، وتم استعباد بني إسرائيل، وأخذ بنو إسرائيل - تحت طغيان فرعون - يتحولون بالتدرج عن عقيدتهم الوحداية، عقيدة أبيهم إبراهيم وجميع الأنبياء - عليهم السلام -، وبدؤوا يكفرون بالطريقة التي يكفر بها المصريون ويعبدون الآلهة والأصنام التي عبدها المصريون^(٧٧)، وجاء في العهد القديم في وصف بداية استعباد بني إسرائيل: "وما لبث أن قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: "ها بنو إسرائيل أكثر منا وأعظم قوة، فلنتأمر عليهم لكيلا يتكاثروا إلى أعدائنا إذا نشب قتال ويحاربونا ثم يخرجوا من الأرض"^(٧٨)، هكذا خشي فرعون من تزايد عدد بني إسرائيل و خشي أن ينظموا أنفسهم ويهددوا مملكته^(٧٩)، فاستعبد فرعون وقومه بني إسرائيل بعنف وقسوة، وعاشوا في تلك الفترة حياة عبودية قاسية، ويعملون بكل عمل في الطين واللبن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذْبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾^(٨٠)، والطائفة المذكورة في الآية هم بنو إسرائيل بدليل ما جاء في القرآن الكريم في الحديث عن بني إسرائيل عن نقمة فرعون وطغيانه على بني إسرائيل، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ...﴾^(٨١)، وفي هذه الحالة من العذاب وأنواع العبودية القاسية على بني إسرائيل، أراد الله - سبحانه وتعالى - بأمر كان مفعولاً، أن يبعث إلى فرعون رسولاً، يدعو إلى التوحيد وأن يكف العذاب والعبودية على بني إسرائيل، فأنعمهم الله - تعالى - بالنعمة العظيمة بولادة سيدنا موسى - عليه السلام -، وحمل ميلاده خوفاً عظيماً لأمه التي خافت عليه من القتل، فراحت ترضعه في السر ثم جاءت عليها ليلة مباركة أوحى الله - تعالى - إليها فيها^(٨٢)، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ، فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ

^{٧٤} - الخلف، دراسات في الأديان، المرجع السابق، ص ٣٩.

^{٧٥} - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٤.

^{٧٦} - المرجع نفسه، ص ٣٢٤.

^{٧٧} - المرجع نفسه، ص ٣٢٤.

^{٧٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ١: ٨-١١.

^{٧٩} - بروس بارتون وأصحابه، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب شركة ماستر ميديا عمارة برج الجزائر، القاهرة، ص ١٣٠.

^{٨٠} - سورة القصص، الآية ٤.

^{٨١} - سورة البقرة، الآية ٤٩.

^{٨٢} - أحمد بجمت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ١٨٥، وانظر مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٥.

ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين»^(٨٣)، فاستجابت أم سيدنا موسى -عليه السلام- لهذا الأمر الإلهي، وألقت الطفل في اليم، فالقطه آل فرعون، ووضع الطفل بين يدي فرعون الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل، إلا أن زوجة فرعون اقترحت عليه أن يتبنوه^(٨٤)، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾^(٨٥)، وهنا يوجد اختلاف بين النص التوراتي وما ورد عند مفسري القرآن الكريم على من عثر على الطفل من اليم، قال الله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾^(٨٦)، وقال أيضاً: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك﴾^(٨٧)، لكونها هي التي عثرت على الطفل، فتريد أن يكون قرة عين لها^(٨٨)، وأما العهد القديم فقد ورد فيه أن التي عثرت على الطفل هي ابنة فرعون، "وأقبلت ابنة فرعون لتستحم في النهر بينما راحت وصيفاتها تتمشين على ضفة النهر، فرأت السفط بين الحلفاء... ففتحته ورأت الطفل"^(٨٩)، ومهما يكن من شيء، فإن سيدنا موسى -عليه السلام- تربي في قصر فرعون قوي البدن وعظيم القوة، ثم هاجر إلى مدين، لسبب الأمن، فصلته الكتب السماوية، وعند عودته إلى مصر وفي الطريق أرسله الله -سبحانه وتعالى- إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى توحيد الله وحده، وليرسل معه بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾، إلى قوله تعالى: ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾^(٩٠)، وجاء في العهد القديم في إرسال سيدنا موسى -عليه السلام- إلى فرعون وإخراج بني إسرائيل من مصر: "فهلّم الآن لأرسلك إلى فرعون، فتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر"^(٩١).

٨٣ - سورة القصص، الآية ٧.

٨٤ - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٥.

٨٥ - سورة القصص، الآية ٩.

٨٦ - سورة القصص، الآية ٨.

٨٧ - سورة القصص، الآية ٩.

٨٨ - محمد بن أحمد ابو عبد الله القرطبي، (ت ٦٧١م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٣، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٦٨.

٨٩ - سفر الخروج، الإصحاح: ٢: ٥.

٩٠ - سورة طه، الآيات ٩-٢٤.

٩١ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ١٠.

ج- الهجرة السكانية وأبعادها العقدية والاجتماعية:

الهجرة فعل حضاري له أبعاده المتعددة في التاريخ الإنساني، وفيها تمتع وسمو، وذلك لأن الإنسان يألف الهجرة من طول ما تلازمه، فحياته سلسلة من الهجرات الطبيعية^(٩٢).

معنى الهجرة لغة:

الهجرة في اللغة من المادة "ه.ج.ر"، قال الفراهيدي: والهجرة والهجران: ترك ما يلزمك تعهده، ومنه اشتقت هجرة المهاجرين لأنهم هجروا عشائرهم فنقطعوهم في الله - عز وجل -^(٩٣)، والهجرة ضد الوصل، والهجران، وهاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية^(٩٤)، وفي الحديث: "لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"^(٩٥).

وظاهرة الهجرة ارتبطت بالإنسان منذ أولى لحظة وجود الإنسان على وجه الأرض وهي ظاهرة إنسانية في الحياة، وجرت سنة الله العليم، على ابن آدم، ينتقل من مكان إلى مكان بسبب من الأسباب الحياتية، ويلجأ إلى ترك مكانه الأول أو بلده ليرتحل إلى مكان آخر بحثاً عن السعادة والراحة النفسية.

وقد ورد ذكر الهجرة في العهد القديم بالمعنى الذي ذكرته سابقاً، وقد جاء فيه: "وقال الرب لإبرام: اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التي أريك... فشرع أبرام ينتقل في الأرض إلى الأرض إلى أن بلغ موضع (شكيم) إلى سهل (مورة)"^(٩٦)، وجاء في المقطع الآخر: "وعمت تلك البلاد"^(٩٧) مجاعة فانحدر أبرام مصر ليتغرب فيها لأن المجاعة كانت شديدة في الأرض"^(٩٨)، كما جاء في المقطع الآخر، في الحديث عن سيدنا يعقوب - عليه السلام -، وقال الرب ليعقوب: "عد إلى أرض آبائك وإلى قومك وأنا أكون معك"^(٩٩)، وفي المقطع الآخر يحدثنا العهد القديم عن ارتحال إسرائيل وأهله، من كنعان إلى مصر، "وارتحل إسرائيل وكل ماله حتى وصل إلى بئر سبع وقدم ذبائح إلى إله أبيه إسحاق"^(١٠٠)، وفي المكان الآخر يذكر العهد القديم هجرة بني إسرائيل من مصر وما جاء فيه: "وارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس الثاني، إلى سكوت

^{٩٢} - محمد تقي القمي، "حياة كلها هجرة" في مجلة رسالة الإسلام، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، عدد ١، السنة الثانية، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، ص ٣٧٤.

^{٩٣} - الفراهيدي، كتاب العين، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨٧.

^{٩٤} - أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ج ٦، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٣٤.

^{٩٥} - مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري، (٢٠٤ - ٢٦١هـ) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الحجر فوق ثلاثة أيام، بلا عذر شرعي، حديث رقم ٦٥٣٤، دار السلام، الرياض، ودار الفحاء، دمشق، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١١٢٣.

^{٩٦} - سفر التكوين، الإصحاح ١٢ : ١ - ٦.

^{٩٧} - المقصود بالبلاد هنا البلاد الواقعة في غرب آسيا.

^{٩٨} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٢ : ١٠.

^{٩٩} - سفر التكوين، الإصحاح: ٣١ : ٣.

^{١٠٠} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤٦ : ١.

فكانوا نحو ست مائة ألف من الرجال المشاة ما عدا النساء والأولاد^(١٠١)، وكل هذه النصوص من العهد القديم تفيد معنى الهجرة من مكان إلى مكان آخر.

وأما في القرآن الكريم، فقد جاء فيه لفظة الهجرة في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى، على لسان سيدنا إبراهيم -عليه السلام-: ﴿فَأَمِّنْ لَهُ لَوْطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٠٢)، ويذكر بعض الباحثين أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كان أول من ذكره القرآن الكريم ممن هاجر، وترك مكان عبادة الأصنام إلى مكان آخر، يتمكن فيه عبادة الله وحده لا شريك له^(١٠٣)، ومن الآيات التي جاء فيها الحديث عن الهجرة، قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾^(١٠٤) هذا جاء عن سيدنا موسى -عليه السلام-.

والجدير بالذكر أن الأنبياء -عليهم السلام- جميعاً قد مثلت الهجرة عنصراً أساسياً من حياتهم، وما من نبي إلا وقد هاجر إلى الله -عز و جل- معنوياً أو بدنياً، فإن شاء الله سأذكر بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى هجرة الأنبياء -عليهم السلام-.

فقد شهد العالم أعداداً كبيرة، من الهجرات لأسباب، منها عقديّة واجتماعية متعددة، وهي عبارة عن تحركات الناس من بلد إلى آخر، وهي ظاهرة قديمة قدم الإنسان، ترتبط بتاريخ الإنسان منذ العصور الأولى البعيدة، غير أن البعد الاجتماعي للهجرة لم تكن بالظاهرة الخطيرة في الماضي بالنظر لأعداد السكان المحدودة التي كانت تتميز بالبساطة وقلة التعقيد، إلا أن الهجرة كظاهرة اجتماعية مؤثرة وفعالة في البنيان الاجتماعي، بدأت تأخذ شكلاً متفاقماً، ووضعاً خطيراً معقداً منذ الثورة الصناعية^(١٠٥)، وقد كان القحط والجفاف والمجاعة هي أساس الهجرة في العصور الأولى، وفي العصور الوسطى تدفق عدد من شعوب الدول الأوروبية إلى قارة آسيا وإفريقيا بأعداد رهيبية إثر المجاعة التي ضربت قارة أوروبا، فهرب سكانها إلى

^{١٠١} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢ : ٣٧.

^{١٠٢} - سورة العنكبوت، الآية ٢٦.

^{١٠٣} - أحزمي سمعون حزولي، الهجرة في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ٣٠، وقوله هذا، يحتاج إلى تحدد في أي عصر عاش سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، بمقارنة الآخرين الذين هاجروا بالسبب العقدي وذكرهم القرآن الكريم، مثل أصحاب الكهف، فليس لدينا معلومات حولهم، هل عصرهم قبل سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أو بعده؟.

^{١٠٤} - سورة القصص، الآية ٢١.

^{١٠٥} - أحمد الربابعة، دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان، د. ط. ١٩٨٧م، ص ٣، ٤، وانظر:

القارات المجاورة بحثاً عن لقمة العيش، ولإيجاد حياة طيبة في الأرض الخصبة والزراعية^(١٠٦). ومن المناسب أن أعرض بعض دوافع الهجرة، وهي:

١- **البعد العقدي للهجرة:** يتأثر الإنسان بما يحيط به من ثقافات ومعتقدات ومن ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وقد تمثل تهديداً لحياته أو عقيدته مما يفرض على المؤمن اعتزال كل ما يشوب عقيدته من الفساد، و يدفعه إلى أن يهاجر من المكان الذي لم يتمكن فيه الحفاظ على عقيدته، إن عرف أنه لا يستطع الهجرة المعنوية^(١٠٧)، ولهذا البعد العقدي صور تدفع المؤمن للهجرة وترك مكانه الأول إلى الآخر، قال الله تعالى: ﴿فَأَمِنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٠٨)، يذكر المفسرون أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، هاجر من أرض (كوثا) وهي قرية من سواد الكوفة إلى حران وإلى الشام، ثم إلى فلسطين، ويرون أنه أول من هاجر من أرض الكفر^(١٠٩)، وقد هاجر سيدنا إبراهيم -عليه السلام- إلى حيث أمره الله سبحانه وتعالى بالهجرة إليه^(١١٠)، ليعبده فيه سبحانه وتعالى، وما ورد أيضاً من الهجرة العقدية، في القرآن الكريم، من البيئة التي لا يعبد أهلها عبادة خالصة لله وحده لا شريك له، ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ اعْتزَلْتُمُوهُمَ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَىٰ الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾^(١١١)، وقد هاجر أصحاب الكهف عن العابدين للأصنام، واعتزلوا معبودات أهلهم، فلبثوا إلى الكهف ليعبدوا الله فيه وحده، فهم لم يعبدوا غير الله سبحانه وتعالى، واعتزلوا قومهم اعتزالاً عقدياً جسمانياً بالالتجاء إلى الكهف^(١١٢).

وأما في العهد القديم فقد جاء فيه ما يشير إلى أن الهجرة قد تكون فراراً بالعقيدة إلى الله الخالق، ويظهر ذلك في موقف سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع قومه: "وقال الرب لأبرام "أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التي أريك فاجعل منك أمة كبيرة

^{١٠٦} - نورمان ف كانتور، التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الأول، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط٥، ١٩٩٧م، ص١٤٨.

^{١٠٧} - الهجرة المعنوية هي: "هجرة النفس من صفة إلى صفة، ومن خصلة إلى خصلة، ومن خلق إلى خلق، ومن درجة أدنى إلى درجات أعلى، ومن عادات ضارة إلى أخرى مفيدة، ومن تقاليد فاسدة إلى غيرها صالحة، ومن تعصب للسخافات إلى تعشق للتسامح، وتطلع للكمال. تقي القمي "حياة كلها هجرة" في مجلة رسالة الإسلام، المرجع السابق، ص ٣٧٥.

^{١٠٨} - سورة العنكبوت، الآية ٢٦.

^{١٠٩} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج١٣، ص ٢٢٥.

^{١١٠} - محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم جار الله الرزخشي، (ت ٤٦٧ - ٥٣٨م) تفسير الكشاف، ترتيب محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٤٣٦.

^{١١١} - سورة الكهف، الآية ١٦.

^{١١٢} - محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠م)، فتح القدير، مراجعة هشام البخاري، وخضر عكاري، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٣٤٠، ٣٤١.

وتتبارك فيك جميع أمم الأرض^(١١٣)، وما جاء في العهد القديم، بالنص الصريح يشير إلى الهجرة العقديّة، ويظهر ذلك في موقف سيدنا موسى -عليه السلام- أمام فرعون الطاغية، فقد جاء فيه: "...أطلق شعبي ليعبدني"^(١١٤)، وجاء في مقطع آخر: "أطلق الشعب ليعبدوا الرب إلههم"^(١١٥)، فبعد الهجرة، على حسب العقيدة، هجرة النفس المؤمنة عن كل الآثام والموبقات والبيئات التي تعبد فيها الأصنام، وتوظينها على كل هدي وتقوى وصلاح، فعلى المؤمن أن يهجر كل ما نهى الله تعالى عنه^(١١٦)، وفي الحديث: "المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه"^(١١٧)، فالهجرة نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله يترك العبد كل ما له من أهل وبلد و مال.... ليهاجر إلى مكان يتمكن فيه القيام بأوامر الله رب العالمين، وقد يهاجر هجرة معنوية.

٢ - البعد الاقتصادي للهجرة: منذ العصور الماضية كانت الظروف الاقتصادية تشكل عاملاً كبيراً في ظاهرة الهجرة، وقد كثر عدد المهاجرين في العصور المتأخرة بسبب عوامل الجذب والدفع، تحدد ضغوطات الهجرة فتأثر الفرد من أفراد الدول المستهلكة، من القارة الإفريقية، وآسيا، والأمريكية اللاتينية، في الهجرة إلى الدول الصناعية الكبرى، لطلب فرص العمل، فالصورة تغيرت، في الماضي كان سكان الدول الكبرى في العصور المتقدمة، -أي قبل القرن الثامن عشر-، يهاجرون إلى الدول المتقدمة اقتصادياً ونظامياً وإنسانياً واجتماعياً، التي تعتبر اليوم نامية، وأما في هذه العصور، فيتحرك المهاجرون من هذه الدول المستهلكة، بطرق عشوائية في أنحاء العالم^(١١٨)، إلى الدول الأخرى تحت ضغط الظروف الاقتصادية، وتكمن العلاقة بين الهجرة والظروف الاقتصادية بعدم كفاية الموارد الاقتصادية أو عدم كفاية فرص التقدم الاقتصادي للفرد فيتجه إلى المناطق التي تتوفر فيها هذه الفرص^(١١٩).

٣ - البعد السياسي للهجرة: يحدث في العالم الإنساني كثير من الضغوط السياسية فيتترك آلاف من الأشخاص أوطانهم فيلجؤون إلى الدول الأخرى، فيعيشون خارج بلدانهم لأسباب تتعلق بالعرق أو الديانة أو القومية أو الحزبية فيبحثون عن مكان آمن في ظل حماية القانون^(١٢٠)، وقد تكون

^{١١٣} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٢: ١-٢، ويبدو أن هذا النصف مبدؤه تبريك لسيدنا إبراهيم عليه السلام بالدرجة الأولى قبل كل شيء، وكان من المفترض أن يذكر النص السبب العقدي لهجرة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أولى من ذكر التبريك له، لأن هجرة الأنبياء -عليهم السلام- كلها في سبيل الله رب العالمين، للدعوة ونشر توحيد الألوهية.

^{١١٤} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠: ٣.

^{١١٥} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠: ٧.

^{١١٦} - جزولي، الهجرة في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٤٥.

^{١١٧} - سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو داود، (ت ٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ترميم الأبواب، هشام بن نزار تميم، كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل

انقطعت؟، حديث رقم ٢٤٨١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٥٧٦.

^{١١٨} - مارتن فليب وأصحابه، الهجرة الدولية تحد عالمي، ترجمة فوزي سهاون، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٢٢.

^{١١٩} - الربابعة، دراسات في نظرية الهجرة، المرجع السابق، ص ٤٨.

^{١٢٠} - مارتن، الهجرة الدولية تحد عالمي، المرجع السابق، ص ٣٣.

الهجرة تحت الضغط السياسي نتيجة للحروب الطاحنة، التي ترتبط غالباً بجذور سياسية ودينية، وهذه الهجرات من شأنها أن تغير وجه الحياة في المدن والمناطق التي هجرت، وكما أنها تعمل على نقل المركز الحضاري من مدينة إلى أخرى^(١٢١)، وقد شهد نصف القرن الأخير من القرن العشرين هجرة أعداد كبيرة من العالم النامي لأسباب، منها سياسية، حتى أصبح عدد المهاجرين منه يعد بالملايين كما هجرت عقول وعلماء الدول النامية ومفكريهم بلدانهم دون وعي منهم بالعواقب الثقافية والبشرية من تلك الدول التي تركوها^(١٢٢).

^{١٢١} - الربايعة، دراسات في نظرية الهجرة، المرجع السابق، ص ٥٤، ٥٥.

^{١٢٢} - عبد المجيد النجار، البعد الحضاري لهجرة الكفاءات، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، عدد ٨٩، ط ١، جماد الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م،

ص ٤٣.

الفصل الأول:

خروج بني إسرائيل من مصر في العهد القديم

المبحث الأول: أسباب الخروج في العهد القديم.

المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته العهد القديم.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج في العهد القديم.

المبحث الأول:

أسباب الخروج في العهد القديم

- المطلب الأول: السبب الديني للخروج في العهد القديم.
- المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في العهد القديم.
- المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في العهد القديم.

المطلب الأول: السبب الديني للخروج في العهد القديم:

كان دين بني إسرائيل عند دخولهم مصر، هو الإسلام، دين أبيهم سيدنا يعقوب -عليه السلام- الذي جاء به جميع الأنبياء -عليهم السلام-، فقد كانوا موحدين الله -سبحانه وتعالى- عند إقامتهم في مصر، فترة من الزمن بقيادة الرسل -عليهم السلام- الذين بعثهم الله -عز وجل- فيهم وعلى رأسهم سيدنا يعقوب -عليه السلام- أول من سمي باسم إسرائيل.

أشارت بعض نصوص العهد القديم إلى أن بني إسرائيل عبدوا الله وحده، فدينهم دين التوحيد^(١٢٣)، ولكن مع طول بقائهم في مصر، حيث توجد معبودات غريبة مذهلة، وكان لهم عدد من الأصنام لم يوجد مثلها عند شعب آخر، من شعوب تلك الأيام، فتذكر المصادر أن معابد مصر وقصورها وبيوت المصريين مليئة بالأصنام من كل نوع وحجم وكان من الطبيعي أن يكره المصريون بني إسرائيل الذين لم يشاركوهم عبادة آلهتهم المتعددة^(١٢٤)، وقد ازدادت كراهية المصريين على بني إسرائيل، مع مضي الوقت، وتكاثر عدد بني إسرائيل، وضافت بهم الأرض، ففي هذه الفترة من الزمن تعددت العقائد في أوساط بني إسرائيل، بسبب مؤثرات الضغوط العقدي والاجتماعية من قبل فرعون الطاغية وجنوده، الذين أجبروا بني إسرائيل على ممارسة الطقوس الدينية التي كان يعتقدونها المصريون، وابتلي بعض بني إسرائيل بعبادة الأوثان المنتشرة في مصر، والتي من العسير تحديد تاريخ بدايتها، وأياً ما كان الشأن فإن بني إسرائيل عبدوا الأوثان بعد سيدنا يوسف -عليه السلام-، كما كان المصريون يعبدونها^(١٢٥)، ومن المعلوم أنه كان لكل عائلة من المصريين إله، وكما كان لكل قرية أو مدينة إله خاص لهم، يعبدونه في أوقات معينة، وكان لكل طبقة أو مركز اجتماعي رب خاص بهم، له أوقات معينة لعبادته، وكما عبدوا حيوانات وطيوراً وأسماكاً وزواحف وقوى الطبيعة الكبرى وكائنات عديدة، وزعموا أن كل مظاهر الطبيعة المختلفة هي نتائج لأعمال وقوى كائنات أخر، فإذا زاد الماء في النهر وفاض على القرى وأهلك الماشية ودمر مخزون الحبوب، كان ذلك بفعل قوى غير مرئية وغير صديقة للإنسان، وأما إذا ارتفع الماء إلى الحد الذي يسمح لهم بري أرضهم الزراعية، فإن ذلك يكون إما بفعل قوى صديقة للإنسان أقوى من تلك التي كانت سبب الهلاك والدمار والفساد، فأوقفت قواها العدائية، لأن روح النهر في هذه المناسبة بالذات راضية عنهم^(١٢٦)، تلك العقيدة التعددية المنبعثة من الخير والشر بالاعتبارات والأفكار الوثنية انتقلت إلى بعض بني إسرائيل، فمارسوها بالتواتر من جيل إلى جيل، وأشير هنا،

^{١٢٣} - إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها مع غير اليهود، ترجمة حسن خضر، دار مينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص ٥٠.

^{١٢٤} - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٢٤، وانظر هنري برستد جيمس، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، مكتبة

مديبولي، القاهرة، د. ط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٣٦، ٣٧.

^{١٢٥} - بدج السير ولس، الديانة الفرعونية، ترجمة يوسف سامي اليوسف، دار منارة عمان، ط١، ١٩٨٥، ص ١١٩.

^{١٢٦} - المرجع نفسه، ص ١١٩.

إلى أن بعض المصريين وبني إسرائيل كانوا يوحدون الله - عز وجل - ويعرفون أن الله واحد لا شريك له، في ملكوته وفي عبادته، فكانوا يوحدونه بالعبادة، وليس ما ذهب إليه إريك هورنونج حيث قال: "لم يتضمن المفهوم المصري للإله أبداً إشارات توحيدية باصطلاحها الفني"^(١٢٧)، فهو يؤكد أن المصريين لم يعرفوا الإله الواحد الخالق للسموات والأرض في أي زمن من الزمان، فهذا القول باطل وغير مسلم به، فالتاريخ يشهد أن سيدنا إدريس وسيدنا إبراهيم وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف، -عليهم السلام-، كانوا في مصر، وقد دعوا إلى عبادة الله تعالى، فاستجاب لدعوتهم بعض المصريين، وقد جاءت في العهد القديم الإشارات إلى إيمان فرعون في زمن سيدنا يوسف -عليه السلام-، ومما جاء فيه: "وقال فرعون لعبيده "هل نجد نظير هذا رجلاً فيه روح الله" ثم قال فرعون ليوسف: "من حيث أن الله قد أطلعك على كل هذا فليس هناك بصير وحكيم نظيرك"^(١٢٨).

وعلى كل حال، فقد ذكرت المصادر أن بني إسرائيل كان لهم أوثان يعبدونها وأن أشهر معبوداتهم التي قدسوها إله (عزازيل) وإله (المؤابيين) المعروف باسم (كموش)^(١٢٩)، ومع كل ما قام به بنو إسرائيل من خضوع لأوامر فرعون، واعتبار فرعون إلهاً وثنياً يعبد لم يذوقوا يوماً من الراحة النفسية والجسمية، وقد نسي فرعون مصر وقتئذ، ما قدمه سيدنا يوسف -عليه السلام- لمصر، من رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمصر، فقد سخر بني إسرائيل بالأعمال القاسية، ومنعهم من عبادة الله وحده، إله آبائهم، وفي هذه الحالة، من الله -جل جلاله- عليهم بالنعمة الكبرى، وهي ولادة سيدنا موسى -عليه السلام-، وعندما ولد -عليه السلام-، خبأته أمه ثلاثة أشهر^(١٣٠)، ولما لم تستطع أن تخفيه وضعته بين الحلفاء^(١٣١)، على ضفة النهر حسب رواية العهد القديم وجاء فيه: "فحملت المرأة وأنجبت ابناً وإذ راقها جماله خبأته ثلاثة أشهر ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، أنت بسفط من البردى وطلته بالخمير والزفت وأضجعت الطفل ووضعته بين الحلفاء، على ضفة النهر"^(١٣٢)، ثم إن أم سيدنا موسى -عليه السلام- أمرت أخته لتراقب الطفل، "ووقفت أخته من بعيد لتري ما يحدث له"^(١٣٣)، ويذكر العهد القديم أن التي انتشلت سيدنا موسى -عليه السلام- من النهر هي ابنة فرعون: "وأقبلت ابنة فرعون، لتستحم في النهر بينما راحت وصيقاتها يمشين على ضفة النهر فأرسلت وصيقاتها لتأتي به ففتحتته ورأت الطفل"^(١٣٤)، فخافت أخت سيدنا موسى -عليه

^{١٢٧} - إريك، ديانة مصر الفرعونية والوحدانية والتعددية، ترجمة محمد ماهر طه وصاحبه، د.د. د.م.ن، د.ط، د.س.ن، ص ٧٥.

^{١٢٨} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤١: ٣٨-٣٩.

^{١٢٩} - فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، د.م.ن، د.س.ن، د.ط، ص ٢٣.

^{١٣٠} - Illustrated Dictionary et concordance of the Bible, Macmillan publishing, New York, and, Collier -

Macmillan publishers, London, 1986, p339.

^{١٣١} - الحلفاء: نبات أغلث تنبت في الماء، ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج ٤، مادة (ح ل ف)، ص ١٩٧.

^{١٣٢} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢: ٢-٣.

^{١٣٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢: ٤.

^{١٣٤} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢: ٥-٦.

السلام- على أخيها من أن يمسه السوء من فرعون^(١٣٥)، وتذكر المصادر أن اسمها مريم، فلما رأت مريم أخت موسى ابنة فرعون وقد اكتشفت مكان موسى وسرعان ما بادرتها باقتراح أن تذهب وتدعو لها مرضعة^(١٣٦)، فقالت أخته لابنة فرعون: "هل أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد"^(١٣٧)، وهكذا تم الأمر كما قدر، فاحتضنت أم موسى طفلها مرة أخرى بإرادة من الله -عز وجل-^(١٣٨)، وتربى سيدنا موسى -عليه السلام- في قصر فرعون، وعندها هاجر إلى مدين، قام فيها عدة سنوات، فبينما سيدنا موسى -عليه السلام- يرمى غنم حميه يثرون كاهن مديان، قدم الغنم إلى ما وراء الطرف الأقصى من الصحراء حتى جاء إلى حوريب جبل الله، هناك تجلى له ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة^(١٣٩)، و حسب رواية العهد القديم، كانت تلك الساعة، بداية ظهور الله -عز وجل- لسيدنا موسى -عليه السلام-، لحمل الرسالة إلى فرعون الطاغية، وإلى بني إسرائيل الذين عبد بعضهم الأوثان وخرجوا من دين آبائهم إبراهيم ويعقوب ويوسف -عليهم السلام-، دين الإسلام، فقال له الله تعالى: "أنا هو إله أبائك إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب... فهلم الآن لأرسلك إلى فرعون، فتخرج شعب بني إسرائيل من مصر"^(١٤٠)، هكذا ظهر الله -سبحانه وتعالى- لسيدنا موسى -عليه السلام- ليرسله إلى فرعون وليبلغه بأن يطلق بني إسرائيل ليخرجوا من مصر، وليرتحلوا إلى الأرض المقدسة ليعبدوا الله رب العالمين فيها ويرجعوا إلى ملة أبيهم إبراهيم -عليه السلام-، وهذا الظهور يبدو فيه تجسيم الله -سبحانه وتعالى-، وقد ذكر العهد القديم، أن الله تعالى يريد أن يخرج بني إسرائيل من مصر إلى الجبل، ليعبدوا الله وحده في ذلك الجبل وإليك النص "ومتى أخرجت الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل فتكون هذه لك العلامة أنني أرسلتك"^(١٤١)، فذهب سيدنا موسى -عليه السلام- إلى مصر لتبليغ رسالة الله -عز وجل- وإخراج بني إسرائيل من مصر، ليعبدوا ربهم في البرية وليرشداهم إلى الطريق الأقوم وليعودوا إلى دين أجدادهم، فيذكر العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- طلب من الله -عز وجل- بأن يرسل معه من يشاء، وما جاء فيه هو: "يا سيدي أتوسل إليك أن ترسل من تشاء غيري... وقال: أليس هارون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه يحسن الكلام وها هو أيضاً قادم للقائك..."^(١٤٢)، وعندما التقى سيدنا هارون بسيدنا موسى -عليهما السلام- فأطلعه سيدنا موسى -عليه السلام- على جميع كلام الرب الذي حمله إياه وما كلفه به من آيات ثم انطلق موسى وهارون وجمعا كل

١٣٥- Illustrated Dictionary et concordance of the Bible, p339-

١٣٦ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٣٢

١٣٧ - سفر الخروج، الإصحاح: ٢: ٧.

١٣٨ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٣٢.

١٣٩ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ١.

١٤٠ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ٦- ١٠.

١٤١ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ١٢.

١٤٢ - سفر الخروج، الإصحاح: ٤: ١٢-١٤.

شيوخ بني إسرائيل فحدثهم هارون بجميع ما قاله الرب لموسى وأجرى المعجزات أمامهم فآمن الشعب وعندما سمعوا إن الله قد افتقدهم ونظر إلى مذلتهم انحنوا ساجدين^(١٤٣).

وعندها دخل سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- على فرعون وأخبراه رسالة الله وأن إله إسرائيل يقول له أطلق شعبي ليعبدوني في البرية^(١٤٤)، و كما جاء في العهد القديم: "أطلق شعبي ليحتفل لي في البرية"^(١٤٥)، ولكن فرعون رفض طلب سيدنا موسى -عليه السلام- بسبب طغيانه، وبدعوى أنه لا يعرف توحيد الألوهية الذي يدعو إليه سيدنا موسى -عليه السلام-، ويذكر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أنه: "كان يعرف العديد من الآلهة ولكنه لم يسبق له أن سمع عن (يهوه)^(١٤٦)، وظن فرعون أن يهوه هو إله الإسرائيليين المستعبدين، فلا بد أنه ليس إلهاً قوياً، ولذلك لم يهتم فرعون إطلاقاً برسالة سيدنا موسى -عليه السلام- التي بعثه بها (يهوه) لأنه لم يكن قد رأى أي دليل على قوته"^(١٤٧)، وقد أصر فرعون على كفره وطغيانه، فرفض إطلاق بني إسرائيل مع كل ما أراه سيدنا موسى -عليه السلام- من المعجزات، فأصدر أحكاماً قاسية لعقاب بني إسرائيل، و عن ذلك يقول سيدنا موسى -عليه السلام- حسب رواية العهد القديم: "قمنذ أن جنئت لأخاطب فرعون باسمك، أساء إلى الشعب وأنت لم تخلص شعبك على الإطلاق"^(١٤٨)، فأنزل الله القهار على فرعون عقاب الدم بأن حول مياه النيل دماً وصعود الضفادع، وغزو البعوض، وغيرها من العقاب، ليكشف لفرعون عن ذاته^(١٤٩)، وفي كل مرة من أنواع ذلك العقاب، يطلب فرعون من سيدنا موسى -عليه السلام- بأن يسأل ربه أن يرفع عنه العقاب، ولكنه كلما رفع عنه العذاب عاد إلى كفره وضلاله، و قالت حاشية فرعون: "إلى متى يظل هذا الرجل شركا لنا؟ أطلق الشعب ليعبدوا الرب إلههم ألم تعلم أن مصر قد عمها الخراب"^(١٥٠)، ثم عند الضربة التاسعة، بالظلام الكثيف^(١٥١)، جاء الإذن المشروط من فرعون بإطلاق الشعب، فقال فرعون لسيدنا موسى -عليه السلام-،: "اذهبوا واعبدوا الرب، ولكن اتركوا وراءك ماشيتكم وقطعانكم"^(١٥٢)، ولكن فرعون أخلف وعده، فرفض إطلاق سراح بني إسرائيل لأن الله صلب قلبه، وقال لسيدنا موسى -عليه السلام-:

١٤٣ - سفر الخروج، الإصحاح: ٤: ٢٨-٣١.

١٤٤ - محمد قاسم محمد، التناقض في تواريخ في أحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، مطابع ستار برس للطباعة والنشر، قطر، ١٩٩٢م، ص ١٣١.

١٤٥ - سفر الخروج، الإصحاح: ٥: ١.

١٤٦ - يهوه: بمعنى سأكون الذي وعدت أن أكونه أي سأكون معك كما وعدتك وأساعدك في إخراج بني إسرائيل من مصر، أنظر، عبد الرحمن غنيم، اليهودية بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ط، ١٠٠٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٤٣.

١٤٧ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٣٩.

١٤٨ - سفر الخروج، الإصحاح: ٥: ٢٣.

١٤٩ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٤٤.

١٥٠ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠: ٧.

١٥١ - حسب رواية العهد القديم، أن هذا الظلام عند سيدنا موسى بأمر الله جل جلاله، انظر، سفر الخروج، الإصحاح: ١٠-٢١.

١٥٢ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠ - ٢٤.

"أذهب عني واحذر لنفسك"^(١٥٣)، وبعد الحوار الطويل بين الطرفين، المؤمنين ويقودهم سيدنا موسى، وبمساعدة سيدنا هارون -عليهما السلام-، والكافرين، وعلى رأسهم فرعون الطاغية، اتّضح أمر فرعون وقومه أنهم لا يؤمنون ولا يتركون بني إسرائيل ليعبدوا ربهم، فماذا فعل سيدنا موسى - عليه السلام-؟، يقول العهد القديم، أن سيدنا موسى -عليه السلام- "استدعى كل شيوخ إسرائيل وقال لهم: "أذهبوا وانتقوا حملاناً بحسب عائلاتكم واذبحوا حمل الفصح"^(١٥٤)... لأن الرب سيجتاز ليلاً ليهلك المصريين... فحنى الشعب رؤوسهم ساجدين، فمضى بنو إسرائيل وفعلوا تماماً كما أمر الرب موسى وهرون"^(١٥٥)، هكذا هلك فرعون وجنوده، ونجا سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه من بني إسرائيل والمؤمنين، وتعتبر تلك الليلة تحولاً دينياً لبني إسرائيل من عبادة الأوثان إلى عبادة الله - عز وجل-، ورجوعاً إلى دين الإسلام.

^{١٥٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠ - ٢٨.

^{١٥٤} - سيأتي الحديث عن عيد الفصح إن شاء الله في المباحث التالية.

^{١٥٥} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢ : ٢١ - ٢٨.

المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في العهد القديم

لقد أرسل الله - سبحانه وتعالى - سيدنا موسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل لينقذهم من ذل العبودية والمعاناة^(١٥٦) التي كانوا عليها عند إقامتهم في مصر بعد أن وصلوا في عهد سيدنا يوسف - عليه السلام - إلى أعلى الدرجات، فقد سكنوا في أخصب بقاع مصر وظلت سلالات بني إسرائيل في مصر حيناً من الدهر تنعم بكرم المصريين ورعايتهم، وتقديراً لجهودهم وكفايتهم^(١٥٧)، وبدأ بنو إسرائيل يتكاثرون في تلك الأرض حتى خاف المصريون الزيادة في عدد بني إسرائيل، فتغير موقف المصريين منهم إلى نقيض ما كان عليه، فأصبحوا موضع مقتهم واضطهادهم، يسومونهم سوء العذاب، وحسب رواية العهد القديم، أن الفرعون الذي حكم مصر وقتئذ استعبد بني إسرائيل^(١٥٨)، ونسي ما قدمه سيدنا يوسف - عليه السلام - لمصر من خدمات، وكان ذلك الفرعون صارماً وقاسياً، وكانت لبني إسرائيل - وقتئذ - قابلتان، أمرهما فرعون بقتل كل ذكر تلده امرأة من بني إسرائيل، ولكنهما لم يمتثلا لأمر فرعون، ولما دعاهما إليه وسألهما عن عدم تنفيذهما أمره^(١٥٩)، قالتا له: "إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات، فإنهن قويات يلدن قبل وصول القابلة إليهن"^(١٦٠)، وعندئذ أصدر فرعون الطاغية قانوناً جديداً برمي مواليد بني إسرائيل الذكور في نهر النيل، حسب رواية العهد القديم، وبهذا القانون زرع يأساً في بني إسرائيل^(١٦١)، وفي ذلك يذكر العهد القديم: "أطرحوا كل ابن عبراني يولد في النهر، أما البنات فاستحيوهن"^(١٦٢)، أمر من فرعون الطاغية برمي ذكور بني إسرائيل في النيل، لأن بني إسرائيل عبيد له وليس لهم حقوق اجتماعية لحمايتهم وكانوا عملاء فرعون قد سلبوا منهم أبسط الحقوق الإنسانية العادية وأرغموهم على أكثر الأعمال مشقة وقسوة^(١٦٣)، وقد ذكر الإصحاح الأول من سفر الخروج ما كان من نمو بني إسرائيل وتكاثرهم وامتلاء الأرض منهم، وخشية ملك مصر عواقب ذلك واضطهاده لهم وتسخيرهم في بناء المدن^(١٦٤)، وقد جاء في رواية العهد القديم: "ونما بنو إسرائيل وتوالدوا وتكاثروا وعظموا جداً

^{١٥٦} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٣٢.

^{١٥٧} - علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، مكتبة غريب، القاهرة، د. ط ١٩٧٠، ص ١٠٣.

^{١٥٨} - Illustrated Dictionary et concordance of the Bible, p339.

^{١٥٩} - كسيل ليوتاء التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة، حسان ميخائيل إسحاق، د.د.م، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٦٧.

^{١٦٠} - سفر الخروج، الإصحاح: ١ : ١٩، وفي هذا القول يقول مفسر كتاب التفسير التطبيقي: "لقد بارك الله القابلات لعدم عصيانهن شرعية الله الأسمى الذي يمنع قتل حياة الأبرياء" التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق ص ١٣١، ويبدو لي أن قانون عدم قتل الأبرياء غير مطبق، فليت أن يكون منطبقاً ليعم السلام في الأرض

^{١٦١} - كسيل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، المصدر السابق، ص ١٦٧.

^{١٦٢} - سفر الخروج، الإصحاح: ١ - ٢٢.

^{١٦٣} - كسيل، التوراة، كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، المصدر السابق، ص ١٦٧.

^{١٦٤} - ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، المرجع السابق، ص ٨٩.

حتى اكتظت بهم الأرض^(١٦٥)، وأجمع المؤرخون على أن بني إسرائيل كانوا مضطهدين سخرهم المصريون بأعمال بناء مدن (فيتون ورعمسيس) وتشغيلهم بالطين واللبن والزراعة والأعمال الشاقة الأخرى، مثل: الخدمة في المعابد، وتأزمت العلاقات الاجتماعية بين بني إسرائيل والمصريين، فكانت إذا حلت بعض المحن أو الشدائد على إحدى الجماعات تنكر بعضهم ببعض وترصوا بهم الدوائر، وشاعت الكراهية بين الشعبين، وشاع الحذر والحيطه بينهم^(١٦٦)، وأثناء هذه الفترة والبؤس الاجتماعي صرخ بنو إسرائيل طالبين إقامة العدالة الاجتماعية، فتوجهوا إلى ربهم بأن يوفي وعده الذي وعده لجدهم سيدنا إبراهيم - عليه السلام -، و يذكر سفر التكوين ومفاده أن سيدنا يوسف - عليه السلام - أخبر بني إسرائيل، وهو على وشك الموت، أن الله - عز وجل - سيرجع بني إسرائيل إلى أرض كنعان، ثم قال يوسف لإخوته: "أنا موشك على الموت، ولكن الله سيفتدكم ويخرجكم من هذه الأرض ويردكم إلى الأرض التي وعد بها بقسم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب"^(١٦٧)، وفي هذا الجو الحزين الذي يعيش عليه بنو إسرائيل أرسل الله العلي، سيدنا موسى - عليه السلام - إلى فرعون يطلب منه إطلاق شعبه، وكان إرساله حسب آراء المؤرخين قرب جبل (حوريب) جبل موسى "إذ بصوت السماء يناديه من شجرة مشتعلة أن عد إلى إخوتك في مصر لتخرجهم منها وتقتدّم من عنت فرعونها"^(١٦٨)، فيقول العهد القديم: "وأما موسى فكان يرعى غنم حميه يثرون كاهن مديان فقاد الغنم إلى ما وراء الطرف الأقصى من الصحراء حتى جاء إلى حوريب جبل الله وهناك تجلى له ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة..."^(١٦٩)، وكان محتوى رسالة سيدنا موسى - عليه السلام - إلى فرعون، هو إنقاذ بني إسرائيل من سوء الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه، لأن الله - عز وجل - نظر إلى مذلة شعبه ونزل إلى إنقاذهم وإخراجهم إلى الأرض الطيبة التي تدر لبناً وعسلاً وهي أرض الكنعانيين، وأمر سيدنا موسى - عليه السلام - بالذهاب إلى مصر ليطلب من فرعون إطلاق الشعب الإسرائيلي^(١٧٠)، وفي ذلك يذكر العهد القديم ومفاده، أن الله - عز وجل - يقول لسيدنا موسى - عليه السلام - "اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم إن الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد تجلى لي قائلاً: إنني قد تفقدتكم وشهدت ما أصابكم في مصر وها أنا قد وعدت أن أخرجكم من ضيقة مصر إلى أرض الكنعانيين... هذه الأرض تفيض لبناً وعسلاً"^(١٧١)، وعندما عاد سيدنا موسى - عليه السلام - إلى مصر لتحرير بني إسرائيل المستعبدين وقد أیده الله - سبحانه

١٦٥ - سفر الخروج، الإصحاح: ١: ٧.

١٦٦ - رجا عبد الحميد عربي، سفر التاريخ اليهودي، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ١١٦، وانظر يوسف محمود يوسف، إسرائيل،

البداية والنهاية، د.د. : د. م.، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٤١، ٤٢.

١٦٧ - فتاح، اليهود عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٢٩.

١٦٨ - فتاح، المرجع نفسه، ص ٢٩.

١٦٩ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ١-٥.

١٧٠ - محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل، من أسفارهم، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، طبعة جديدة، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، ص ٦٦.

١٧١ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ١٦-١٧.

وتعالى- بمعجزة العصا لإقناع فرعون وبني إسرائيل أنه رسول الله الحكيم الخبير^(١٧٢)، وعززه بسيدنا هارون -عليهما السلام- لفصاحة لسانه، ولقي سيدنا هارون -عليه السلام- عند عودته إلى مصر، هو وشيوخ بني إسرائيل وأخبرهم بما رآه وسمعه من مضايقة المصريين على بني إسرائيل، ولذلك جاء ليخرجهم من مصر إلى أرض كنعان الطيبة^(١٧٣)، "وأجرى موسى المعجزات أمامهم فأمن الشعب، وعندما سمعوا أن الله قد افتقدهم ونظر إلى مذلتهم انحنوا ساجدين"^(١٧٤)، وفي الموعد المحدد ذهب سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- إلى قصر فرعون وكان مع فرعون، كبار رجال الدولة والجند، ولما وصلا سألهما فرعون ما خطبهما فأخبره سيدنا موسى -عليه السلام- برسالة رب العالمين وإطلاق بني إسرائيل ليخرجوا من مصر إلى أرض كنعان^(١٧٥)، وأن يحرر شعبه من العبودية ليذهبوا إلى البرية، وليكف عنهم العذاب، ولكن فرعون الطاغية رفض، فقال لهما: "إنما يعطلان الشعب عن أعماله فاذهبوا إلى إشكالكما، وأمر بتشديد العذاب على بني إسرائيل وتكليفهم بأشق مما كانوا يكلفون به، ومع كل المعجزات التي أراها سيدنا موسى لفرعون، ولكن فرعون طغى وعصا ربه ولم يرض إطلاق بني إسرائيل"^(١٧٦)، وقال فرعون لسيدنا موسى -عليه السلام-، لن أدع بني إسرائيل يخرجوا من أرضي فهم عبيدي وعبيد شعبي، ومضت كل محاولات سيدنا موسى -عليه السلام- لهداية فرعون وشعبه دون أن يستفيد منها فرعون وطائفته، فعلى الرغم من معجزة العصا وتحويل يده إلى النور، إلا أن هذا تجاهله فرعون كله^(١٧٧)، وفي هذه الفترة أنزل الله القهار على فرعون وجنده الكوارث العشر من الدم والضفادع والجراد، وعندها وافق فرعون على تحرير إسرائيل بشرط أن يبقوا مواشيهم وقطعانهم^(١٧٨)، وفي الليلة التي وعد الله - سبحانه وتعالى- سيدنا موسى -عليه السلام- بإخراج بني إسرائيل، حدث في نصف الليلة، أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون، فقام فرعون ليلاً وكل جنوده، وكان صراخ عظيم في مصر، لأنه لم يكن هناك بيت ليس فيه ميت، فدعا فرعون سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- ليلاً وقال لهما اخرجوا من بين شعبي أنتما وبني إسرائيل جميعاً، وألح المصريون أيضاً على الشعب الإسرائيلي ليخرجوا عاجلاً من الأرض^(١٧٩)، وخرج بنو إسرائيل في تلك الليلة، أمام عيون فرعون وملئه، ويذكر العهد القديم أن عددهم عند الخروج، كان الرجال منهم فقط عدا

١٧٢ - جورج كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، ص. ٥٠٥. بيروت، ط ١، ١٩٧٧م، ص ٤٢.

١٧٣ - دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المرجع السابق، ص ٦٦.

١٧٤ - سفر الخروج، الإصحاح: ٤: ٣٠ - ٣١.

١٧٥ - يوسف، إسرائيل البداية والنهاية، المرجع السابق، ص ٦١.

١٧٦ - قاسم، التناقض في تواريخ وأحداث التوراة، المرجع السابق، ص ١٣٢، وانظر مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٣٣.

١٧٧ - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٣٢.

١٧٨ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠: ٢٤.

١٧٩ - يوسف، إسرائيل البداية والنهاية، المرجع السابق، ص ٦٣.

الأولاد والنساء نحو ستمائة ألف رجل^(١٨٠)، فيقول العهد القديم: "وارتحل بنو إسرائيل من رمسيس إلى سكوت فكانوا نحو ست مائة ألف من الرجال المشاة ما عدا النساء والأولاد"^(١٨١)، ولكن فرعون بعد خروج الشعب، بذل كل ما لديه من الجهد لإرجاعهم إلى مصر، ولكن الشعب قد نجا، عندما شق الله -عز وجل، بطريقة معجزة-، مياه البحر الأحمر^(١٨٢)، وليس لفرعون سوى مطاردة بني إسرائيل، لأن قلبه وقلوب حاشيته تحولت ضد بني إسرائيل بعد أن أطلقهم وقالوا: "ماذا دهانا حتى أطلقنا بني إسرائيل من خدمتنا؟، فأعد مركبته واصطحب جيشه معه... فطارد بني إسرائيل الذين غادروا مصر... فأدركوهم وهم متجمعون عند البحر بالقرب من فم الجبوت مقابل بعل صفون"^(١٨٣)، وواجه بنو إسرائيل وهم محصورون أمام البحر جيش فرعون الزاحف عليهم ليقتلهم، وظنوا أن الموت قادم لا محالة، ومع كل ما رأوا من آيات الله الكبرى ومعجزاته الباهرة، التي أظهرها الله -سبحانه- على سيدنا موسى -عليه السلام-^(١٨٤)، قالوا لسيدنا موسى -عليه السلام-: "هل لافتقار مصر للقبور أخرجتنا إلى الصحراء لنموت فيها؟ ماذا فعلت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟، فقال موسى للشعب: لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يجريه لكم اليوم..."^(١٨٥) كانت هذه الكلمات الطيبة لتطمين بني إسرائيل من الحزن والخوف التي ملئت قلوبهم ومن شكواهم من سيدنا موسى -عليه السلام-، وعلى حد تعبير العهد القديم، إن الله -سبحانه وتعالى- أمر سيدنا موسى -عليه السلام- فقال له: "ارفع عصاك وابسط يدك فوق البحر وشقه فيجتاز بنو إسرائيل في وسط البحر اليابسة... وبسط موسى يده فوق البحر فأرسل الرب طوال تلك الليلة ريحاً شرقية قوية ردت البحر إلى الورا وحولته إلى يابسة، وهكذا انشق البحر؛ فاجتاز الإسرائيليون في وسط البحر على ارض يابسة، ولحق بهم المصريون ودخلوا وراءهم وسط البحر... وقال الرب لموسى: "ابسط يدك فوق البحر ليرتد الماء على المصريين، فبسط موسى يده فوق البحر عند انبثاق الصباح فارتد البحر إلى موضعه على المصريين، وأغرقت المركبات والفرسان وكل جيش فرعون، فلم يفلت منهم ناجٍ واحد"^(١٨٦).

هكذا نجا بنو إسرائيل من المعاناة الاجتماعية التي كانوا عليها في مصر، فأراد الله -سبحانه وتعالى- أن يصلح مجتمعهم وليكون هذا الإصلاح الاجتماعي نتيجة مباشرة لإصلاح الدين لبني إسرائيل بأن يعبدوا الله وحده في البرية على حد تعبير العهد القديم.

١٨٠ - الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، المرجع السابق، ص ٤١.

١٨١ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢: ٣٧.

١٨٢ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٥٦.

١٨٣ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٤: ٩-٥.

١٨٤ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٥٩.

١٨٥ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٤: ١١-١٤.

١٨٦ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٤: ١٦-٢٨.

المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في العهد القديم

يبدأ تاريخ بني إسرائيل بمرحلة الرعي منذ العصور القديمة وكان سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وهو جد سيدنا يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - والذي يذكر المؤرخون أنه عاش (٢٠٠٠ ق.م) وكان ينتقل من مكان إلى آخر إلى أن دخل كنعان القرن الثاني عشر ق.م.^(١٨٧)، وعلى منوال جدهم كان بنو إسرائيل خلال الألف الثانية قبل الميلاد رعاة، ينتقلون خلف قطعانهم من المعز والضأن، بمحاذاة الحدود الصحراوية في الأماكن الخصبة في سومر وسوريا وكنعان ومناطق الأعشاب، يحطون الرحال من حين إلى حين ويتعقبون مواسم الأمطار، ويقومون حينما رحلوا لمدة تقصر أو تطول حسبما يتوافر المرعى ويتكاثر الكلاً، ففي هذه الفترة كانت الأغنام هي العنصر الجوهري لثروة بني إسرائيل، به يعد مقدار ما يملك الإنسان، فنادر ما تؤكل، إلا بشيء استثنائي، في صورة أضاحي مقدسة لتقديم الذبيحة الطقسية للرب، ويعيشون على لبنها ويرتدون فراءها^(١٨٨)، وفي هذا يشير سفر صموئيل الأول إلى هذه الحرف التي كان يمارسها الإسرائيليون من الرعي واعتبار الأغنام أول الثروة لهم، بل إن حياة الرعاة إنما كانت الحياة المثالية للمجتمع الإسرائيلي تعتمد على ثروة الأغنام، ومما جاء في ذلك: "وكان هناك رجل ثري مقيم في مدينة معون ذو أملاك في الكرمل حيث كان يجز غنمه وكانت ثروته طائلة جداً..."^(١٨٩)، "وغادر أبرام مصر وتوجه هو وزوجته ولوط وكل ما كان له نحو منطقة النقب وكان إبرام يملك ثروة طائلة من المواشي والفضة والذهب"^(١٩٠).

وعلى هذا، فإن كل عشيرة بني إسرائيل تسير خلف قطعانها بزعامة رئيسها، وقد تنقسم الأسرة إلى جماعتين بسبب القحط المفاجئ، وتستقل كل منها بنفسها وتذهب إلى سبيلها، كما حدث بين سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط -عليهما السلام- لما زاد عدد الغنم عن كمية العشب^(١٩١)، وفي ذلك يذكر العهد القديم: "فضاقت بهما الأرض لكثرة أملاكهما فلم يقدر أن يسكنا معاً..."^(١٩٢)، ويلاحظ أن الأرض بالنسبة إلى بني إسرائيل تستخدم كوسيلة مؤقتة، تزول قيمتها بجفاف عشبها، ولذلك ما عُرِفَت ملكية الأرض لبني إسرائيل وإنما عرفوا ملكية القطعان^(١٩٣)، وحسب رواية العهد القديم أن

^{١٨٧} - ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، الجماعات البدائية، بنو إسرائيل، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د. س، ص

١٣٧.

^{١٨٨} - المرجع نفسه، ص ١٤٧، وانظر، محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل الحضارة، الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٤، د. ط، ١٩٩٩م، ص ٦٦٣.

^{١٨٩} - سفر صموئيل الأول، الإصحاح: ٢٥: ٢.

^{١٩٠} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٣: ٢.

^{١٩١} - مهران، بنو إسرائيل، الحضارة، المرجع السابق ج٤، ص ٦٦٣.

^{١٩٢} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٣: ٦.

^{١٩٣} - الأسيوطي، نظام الأسرة، بين الاقتصاد والدين، المرجع السابق، ص ١٥٠.

بني إسرائيل يعتبرون الأرض ملك مؤقت، ومن ذلك ما جاء في تسوية النزاع الخطير بين سيدنا إبراهيم وابن أخيه سيدنا لوط -عليهما السلام-، فلما واجها النزاع قال سيدنا إبراهيم لسيدنا لوط: "لا يكن نزاع بيني وبينك ولا بين رعائي ورعاتك لأننا نحن أخوان، أليست الأرض كلها أمامك فاعتزل عني، إن اتجهت شمالاً أتجه أنا يميناً، وإن تحولت يميناً أتحول أنا شمالاً"^(١٩٤)، ونفس الشيء حدث مع سيدنا إسحاق -عليه السلام- عاش في أرض غريبة عنه، وفي ذلك تقول رواية العهد القديم: "فظهر له الرب قائلاً: لا تمضي إلى مصر، بل امكث في الأرض التي أعينها لك، أقم في هذه الأرض فأكون معك وأباركك... فأقام إسحاق في مدينة جرار، وزرع إسحاق في تلك الأرض فحصد في تلك السنة مائة ضعف لأن الله باركه"^(١٩٥)، ونفس الحياة الاقتصادية عاش ابن إسحاق سيدنا يعقوب -عليهما السلام- مع الغربة لكثرة انتقالهم^(١٩٦)، والعمل مشروع في التعاليم الدينية عند بني إسرائيل، ومن تلك التعليمات الدينية، ما جاء في التلمود "ضد الحياة التي كان يسلكها أولئك الذين كانوا يمتنعون عن القيام بأي عمل زمني ليصرفوا اهتمامهم فقط للتفكير والتأمل الروحيين"^(١٩٧)، ومن أقوالهم ما جاء في كتبهم قولهم: "عندما تقترح بعمل يديك فأنت سعيد وغني"^(١٩٨)، فالعمل أساس، لوجود البشرية، وهو السبب لدفع عجلة الاقتصاد، ومن هنا كان أوائل بني إسرائيل يهتمون بالعمل تديناً للوصول إلى الحياة السعيدة، وهكذا تتدرج حياة بني إسرائيل، وتتدرج الحياة في صور متعددة يصب بعضها في بعض دون وجود الفواصل الحادة، ويتوقف مصيرهم على كمية المطر خاصة في المناطق المتوسطة بين الزراعة والصحراء والجفاف، فقد تدعوا سنوات متعاقبة من المطر جماعات الرعاة إلى الزراعة والاستقرار، كما قد تدفعهم سنوات أخرى من القحط والجفاف إلى الهجرة والترحل^(١٩٩).

ولقد تطور اقتصاد بني إسرائيل خلال هذه العصور التاريخية من الرعي إلى الزراعة، وإلى التجارة، وصاحبها تطور مائل في نمط الحياة الاقتصادية من الترحل من منطقة إلى أخرى مع أغنامهم وكل ما يمتلكون، وإلى الاستقرار ثم إلى الهجرة^(٢٠٠)، هكذا هاجر الإسرائيليون إلى مصر واستقروا فيها سنوات، وفي خلال هذه السنوات كانت أحوال بني إسرائيل قد تحسنت في البداية، لأن مفاتيح خزائن مصر كانت في يد سيدنا يوسف -عليه السلام-، وكان مخطط اقتصاد مصر

^{١٩٤} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٣ : ٨-٩.

^{١٩٥} - سفر التكوين، الإصحاح: ٢٦ : ٢-١٢.

^{١٩٦} - خالد حميد النعيمي، دور الجيش والاقتصاد في التجمع والاقترام الصهيوني، دراسة في المشروع التوراتي الجديد، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩م، ص ٤٤.

^{١٩٧} - كوهن، التلمود، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

^{١٩٨} - المصدر ذاته، ص ٢٦٠، ٢٦١.

^{١٩٩} - الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، المرجع السابق، ص ١٢٦.

^{٢٠٠} - الأسيوطي، المصدر ذاته، ص ١٣٧.

ومدبراً لأموورها، وكان يجول في جميع أرجاء البلاد لجمع الطعام وتخزينه وكان يجمع حسب ما يسمح له النظام الاقتصادي، وفي ذلك يقول العهد القديم: "وفي سنوات الخصب السبع غلت الأرض بوفرة، فجمع كل طعام السنوات السبع المتوافر في أرض مصر وخزنه في المدن فاخترن في كل مدينة غلات ما حولها من حقول، وادخر يوسف كميات هائلة من القمح حتى كف عن إحصائها لوفرتها العظيمة"^(٢٠١)، ولكن في سنوات المجاعة استطاع سيدنا يوسف -عليه السلام- أن يشتري جميع ممتلكات المصريين لفرعون وقتئذ، فقد اشترى جميع ذهبهم وفضتهم وأغنامهم وأراضيهم، وكل ما يملكون، وذلك من سياسته الزراعية والاقتصادية^(٢٠٢)، فيذكر العهد القديم ذلك فيقول: "... وهكذا قايض جميع مواشيهم بالخبز في تلك السنة"^(٢٠٣)، وهكذا كانت الحياة الاقتصادية لبني إسرائيل في أيام سيدنا يوسف -عليه السلام، ولكن لما توفي سيدنا يوسف -عليه السلام- تغيرت الحياة الاقتصادية لبني إسرائيل من السعادة وطيب الحياة إلى الحياة السيئة، وتحولوا من تجار إلى عبيد وعمال، "فقد عمد المصريون إلى استخدام إسرائيل في بناء المدن في أرض جاسان غرب الإسماعيلية"^(٢٠٤)، وظلوا في تلك الحياة القاسية، إضافة إلى تزايد عددهم المستمر مع المعاناة من الفقر إلى ما يعيشون فيه من ألوان الجوع والمشقة^(٢٠٥)، وكان فرعون وحاشيته يسخرون بني إسرائيل في الأعمال التي لا تكون فيها مصلحة الشعب عامة، بل لمصلحة فرعون وللملأ من حوله خاصة، وأمل بنو إسرائيل زوال هذا النظام الاقتصادي غير العادل، فأرسل سيدنا موسى -عليه السلام- إلى فرعون و بني إسرائيل في صميمها دعوة لتحرير بني إسرائيل خاصة، حسب رواية العهد القديم^(٢٠٦)، فيذكر العهد القديم: "ثم قال الرب لموسى "امض إلى فرعون وقل له هذا ما يعلنه اله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدني لأنك إن أبيت أن تطلقهم وحجزتهم لديك فان يد الرب ستهلك مواشيك التي في الحقول والخيول والحمير والجمال والثيران والغنم بوباً شديداً جداً، وأميز بين مواشي إسرائيل ومواشي المصريين فلا يهلك شيء لبني إسرائيل"^(٢٠٧)، وفي هذا النص أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يخرج بني إسرائيل من مصر حيث كانوا يعانون اقتصادياً من قبل فرعون وملئه، فأراد الله -سبحانه وتعالى- أن يحسن معيشتهم في البرية ليشعروا بنعمة الله عليهم وليعبدوه وحده لا شريك له، ولكن فرعون أصر على إبقاء بني إسرائيل في مصر، ولذا أشار الله -عز وجل- حسب رواية العهد القديم إلى إنزال وباء على

^{٢٠١} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤١: ٤٧-٤٩.

^{٢٠٢} - عبد الرحمن غنيم، اليهود بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم، المرجع السابق، ص ١٨٤.

^{٢٠٣} - سفر التكوين، الإصحاح: ٤٧: ١٧.

^{٢٠٤} - الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، المرجع السابق، ص ١٣٠، تقع جاسان في غرب الإسماعيلية في زمننا الحاضر.

^{٢٠٥} - مظهر، قصة الديانات، ص ٣٢٩.

^{٢٠٦} - دعوات الرسل ورسالاتهم لعامة الناس، ولا تخص شعباً دون شعب.

^{٢٠٧} - سفر الخروج، الإصحاح: ٩: ١-٤.

مواشي المصريين عقاباً لفرعون لأنه رفض إخراج بني إسرائيل من مصر ويجيء الوباء ويضرب اقتصاد أهل مصر دون أن يمس ممتلكات بني إسرائيل^(٢٠٨)، وجاء في المقطع الآخر ما يشير إلى أن مواشي المصريين الذين لم يؤمنوا قد هلكت بينما نجت مواشي الذين آمنوا بسيدنا موسى - عليه السلام-، ومواشي بني إسرائيل، فيذكر العهد القديم: "فكل من خاف كلمة الرب من رجال فرعون لاذ بعبيده وماشيته بالبيوت أما الذين استخفوا بكلام الرب فقد تركوا عبيدهم ومواشيهم في الحقل... وأتلف كل نبات نام في الحقل وكسر جميع الأشجار، أما أرض جاسان حيث يقيم بنو إسرائيل، فإنها وحدها لم يسقط فيها برد"^(٢٠٩).

فقد خرج بنو إسرائيل مع جميع مواشيهم وزهدهم وفضتهم، على الرغم أن فرعون شرط لهم بأن يخرجوا ويتركوا مواشيهم وأن يأخذوا شيئاً من الذهب والفضة والملابس، إلا أنهم حسب رواية العهد القديم، خرجوا مع مواشيهم، بل إنهم نهبوا واحتالوا على شعب مصر عند الخروج، لأن سيدنا موسى - عليه السلام- أخبر نساء بني إسرائيل بأن تستعير كل واحدة منهن من جاريتها المصرية أمتعة من الفضة والذهب والملابس ثم يغادروا دون رد المستعارات إلى أهلها، حسب رواية العهد القديم^(٢١٠).

وفي ذلك يذكر العهد القديم: "واجعل هذا الشعب يحظى برضى المصريين، فلا تخرجون فارغين حيث تمضون، بل تطلب كل امرأة من جاريتها أو نزيلة بيتها جواهر فضة وذهب وثياباً تلبسونها بنينكم وبناتكم فتغنمون ذلك من المصريين"^(٢١١)، "لأن نساء بني إسرائيل لم يرددن ما أخذن من المصريات، عندئذ جمع فرعون عدداً كبيراً من الجنود وسار بهم يتبع بني إسرائيل ليردهم إلى عبوديته"^(٢١٢)، وبعد أن نجا بنو إسرائيل مع كل ما يملكون، حسب رواية العهد القديم فقد فضلوا الشبع مع العبودية على الجوع مع الحرية، وذلك في برية سيناء، وقالوا لسيدنا موسى - عليه السلام-: "ليت الرب أمانتنا في أرض مصر فهناك كنا نجلس حول قدور اللحم نأكل خبزاً حتى الشبع وها أنتما قد أخرجتانا إلى هذه الصحراء لتميتنا كل هذه الجماعة جوعاً"^(٢١٣)، هذا ما قاله بنو إسرائيل، وما سأحدث عنه -إن شاء الله عز وجل- كيف كانوا في صحراء سيناء، وما الآثار المترتبة عليهم في صحراء سيناء.

^{٢٠٨} - محمد علي الخولي، التحريف في التوراة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، صويلح، د. ط، ٢٠٠٢، ص ٣٤.

^{٢٠٩} - سفر الخروج، الإصحاح: ٩: ٢٠ - ٢٦.

^{٢١٠} - الخولي، التحريف في التوراة، المرجع السابق، ص ٣٣، وحاشا لله - أن يكون سيدنا موسى - عليه السلام- هو الذي أمر بالسرقه والنهب والاحتيال.

^{٢١١} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣: ٢١-٢٢.

^{٢١٢} - مظهر، قصة الديانات، المرجع السابق، ص ٣٣٤.

^{٢١٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٦: ٣.

المبحث الثاني:

زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته العهد القديم.

المطلب الأول: زمن الخروج في العهد القديم.

المطلب الثاني: جغرافية الخروج في العهد القديم.

المطلب الأول: زمن الخروج في العهد القديم:

كانت سلطة الفراعنة في مصر سلطة قوية وراثية يرثها الابن من الأب الحاكم، وترجع بأصلها إلى اعتقاد بعض الفراعنة بأنهم آلهة تعبد من دون الله. وقد حرص المؤرخون على تجلية زمن خروج بني إسرائيل من مصر، فجاءت الأقوال متضاربة تصب في تحديد فرعون الخروج، وفي أي عصر حدث ذلك الحدث التاريخي العظيم، وفي هذا الصدد يمكن أن أعرض الأحداث التي سبقت عصر الخروج، والتي كان لها علاقة مباشرة بخروج بني إسرائيل من مصر، اعتماداً على آراء المؤرخين المهتمين بعلم الآثار، وعلى هذا فإن زمن الخروج سبقته حروب على الشعوب الأخرى مثل معركة قادش^(٢١٤)، ويرى المؤرخون أن فرعون المسمى برمسيس الثاني قد انتصر في تلك المعارك، ولعل هذا الانتصار، دفعه إلى تسخير بني إسرائيل بالأعمال الشاقة، وخاصة لما قام فرعون بالحملات العسكرية القوية على جماعة الهكسوس، فذهب بعض المؤرخين إلى أن طرد الهكسوس كان في بداية حكم كاموس، آخر ملوك السلسلة السابعة عشرة في حدود (١٥٤٠ ق.م)^(٢١٥)، وفي ظل هذه الأوضاع الحربية ذهب المؤرخون إلى تحديد زمن الخروج من مصر إلى أبعد حد بالقول أن المقصود بالخروج خروج الهكسوس من مصر^(٢١٦)، وهذا الرأي لا أساس له، فيما أجمع عليه الكتابان السماويان، -العهد القديم، والقرآن الكريم-، في الحديث عن الخروج، فلم يذكر الكتابان قط شيئاً عن أي معلومات تاريخية تتعلق بالهكسوس، لذلك لا يعتبر هذا الرأي، من ضمن آراء خروج بني إسرائيل، لأنه بعيد عن حقيقة الخروج الذي تحدث عنه الكتب السماوية، وقد تعددت النصوص التوراتية التي تؤكد على أن حدث خروج بني إسرائيل هو المقصود في تاريخ الأديان، وفي ذلك بدأت التوراة روايتها للخروج بالتذكير بزمن دخول بني إسرائيل مصر مع سيدنا يعقوب -عليه السلام- لملاقاة سيدنا يوسف -عليه السلام-^(٢١٧)، وما جاء فيه هو: "وما لبث أن قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: "ها بنو إسرائيل أكثر منا وأعظم قوة، فلنتأمر عليهم لكي لا يتكاثروا"^(٢١٨)، وأما زمن الخروج بحد ذاته فيذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان في القرن السادس عشر قبل الميلاد، وهذا الرأي ينسب إلى (مانيتو) المؤرخ المصري اليوناني

^{٢١٤} - سليم حسن، مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٢م، ج٦، ص ٢٤٧.

^{٢١٥} - لؤي فتوحى شذى الدرزي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكر، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص ٣٣. يجب أن يدرس بنو إسرائيل من الناحية الدينية من الكتب السماوية، لأنه قد يتغير ما تم اكتشافه، فعلم الآثار أدلته ناقصة.

^{٢١٦} - جمال محمد سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ط، د.س، ص ٤٣.

^{٢١٧} - بوكاي موريس، التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.س، ص ٢٦٣.

^{٢١٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ١: ٨. إن شاء الله -عز وجل- سأذكر الآيات القرآنية التي تدل على أن المقصود بالخروج هو خروج بني إسرائيل من مصر، عند

الحديث عن الخروج في القرآن الكريم.

عاش حوالي عام (٢٥٠ ق.م)^(٢١٩)، وكان فرعون ذلك العصر هو (أحمس الأول)، وبهذا الرأي يكون هو فرعون موسى^(٢٢٠)، فيكون زمن طرد الهكسوس هو نفس زمن خروج بني إسرائيل.

وأما الرأي الثاني، فيذهب أصحابه إلى أن خروج بني إسرائيل كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأنه كان في زمن فرعون (تحتس الثالث) أو في زمن (أمنوفيس الثاني)^(٢٢١)، ويعتمد هذا القول بأنه في سنة (٤٨٠) من خروج بني إسرائيل في السنة الرابعة من حكم سيدنا سليمان -عليه السلام-، فقد تم بناء البيت للرب، وحكم سيدنا سليمان -عليه السلام- يقع ما بين (٩٧٢ - ٩٣٦ ق.م)، وبهذا تكون السنة الرابعة من حكمه هي (٩٦٧ ق.م)، فيكون الخروج قد تم في سنة (١٤٤٧ ق.م) أي في عهد (تحتس الثالث)، وقد اعتمدوا لوضع هذا التاريخ لما عثرت عليه البعثة الأثرية التي عملت تحت إشراف (جارستانج) في أريحا على الاكتشافات الأثرية تثبت أن ولادة سيدنا موسى كانت في سنة (١٥٢٧ ق.م)، وترى في القصر^(٢٢٢).

وأما الرأي الثالث: فيرى أصحابه أن الخروج تم بعد عصر أخناتون (أمنوفيس الرابع) وصاحب هذا الرأي هو (سيجموند فرويد)، وقد ذهب إلى أبعد من ذلك بالقول أن سيدنا موسى -عليه السلام- من أهل مصر وليس عبرانياً، وقام بعقد المقارنة بين الديانة المصرية ودين الإسلام الذي جاء به سيدنا موسى -عليه السلام-، فالديانة المصرية عرفت التوحيد بينما دين سيدنا موسى -عليه السلام- كان متعدد الآلهة، وأن المصريين بذلوا جهداً كبيراً لتأمين حياتهم بعد الموت، ولم يرد لها ذكر في التوراة، ويرى أن العقيدة التي جاء بها سيدنا موسى -عليه السلام- تطورت من عقيدة الشمس، وهي عقيدة أختانونية، وأن أخناتون قد أضاف إلى فكرة الإله، وهي فكر التوحيد والوحدانية، وقد عرض عبارات أختانون التي تشير إلى الوحدانية، وعقد التشابه بينها وبين ما جاء في العهد القديم نسبة إلى أختانون، و هي عبارته التي تحمل هذا المعنى: "اللهم إنك أنت الإله الواحد الذي ليس معه سواه" وحرّم أختانون ومنع التعدد وأزال كل ما يؤدي إلى هذا من نصوص^(٢٢٣).

ويرى أن ما جاء في سفر التثنية مأخوذ من نص أختانون فهو تطور الديانة الأختانونية، وأما النص التوراتي الذي يشابهه بنص أختانون هو "اسمعوا يا بني إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد

٢١٩ - عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ج٤، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٣٦.

٢٢٠ - محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٢، ط١، ١٩٩٥م، ص ٢٣٣.

٢٢١ - المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ج٤، ص ١٣٥.

٢٢٢ - سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٤٧.

٢٢٣ - فرويد سيجموند، موسى والتوحيد، ترجمة، جورج طرايشي، دار الطلعة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م، ص ٣٠-٣٢، نقلًا عن، سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٤٩.

فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم"^(٢٢٤)، وهكذا ذهب فرويد إلى عقد المقارنة بين الديانتين، وعلى كل حال فإن ما ذهب إليه فرويد يقوم على افتراضات وظنون.

وأما الرأي الرابع، فيذهب قائله إلى أن الخروج قد تم في الفترة (١٢٧٥ - ١٢٥٠ ق.م.)، وأنها كانت أثناء حكم رمسيس الثاني، ورمسي مشتق من اسم المدينة (رعسيس) بناها بنو إسرائيل في أيام الاضطهاد^(٢٢٥)، ويرى بعض المؤرخين أن فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني (١٣٠١ - ١٢٣٤ ق.م.) وأما فرعون الخروج هو منفتح الذي خلف أباه رمسيس الثاني، وعلى هذا حددوا خروج بني إسرائيل من مصر حوالي سنة (١٢١٣ ق.م.)^(٢٢٦)، ويذكر المؤرخون أنه كان (لرمسيس الثاني) أولاد كثيرون منهم (منفتح)، وأنه ربما كان ولياً للعهد حين كان سيدنا موسى -عليه السلام- في قصر فرعون ثم هاجر سيدنا موسى -عليه السلام- إلى مدين فلما عاد إلى مصر كان زمام أمرها قد آل إلى منفتح، الذي قاد المعارك الكثيرة، وأن ما يسر لبني إسرائيل الخروج من مصر، وجود الارتباك بين المصريين والقوات الغازية، وعندها وجد بنو إسرائيل شيئاً من الحرية واستطاعوا في تلك الفترة الخروج من مصر، وكان ذلك في أول القرن الثاني عشر، حيث انتزعت الحكم أسرة جديدة هي الأسرة العشرون التي حكمت من سنة (١٢٠٠ إلى سنة ١٠٩٠ ق.م.)^(٢٢٧).

ومهما يكن من أمر، فإن قضية زمن خروج بني إسرائيل لا يمكن القطع في تحديدها لأن كتاب العهد القديم لم يذكر اسم فرعون الخروج، وكل ما ذكره المؤرخون يظل تخميناً متساوفاً مع سير أحداثهم، وأحداث مصر أيضاً، التي وجدوها من معطيات الآثار الغامضة، لم تذكر وجود بني إسرائيل في مصر أو خروجهم منها^(٢٢٨)، ولعل عدم ذكر اسم فرعون الخروج في العهد القديم يرجع إلى كثرة ما عانى منه بنو إسرائيل في مصر، من الاضطهاد والعبودية والاستبداد و أنواع العقوبات، وفقدان العدالة الاجتماعية، في عصر فرعون الاضطهاد، ولذا اهتم العهد القديم بالجانب الاجتماعي لبني إسرائيل أكثر من كل جوانب الحياة الأخرى.

ومن الجهة الأخرى يذهب بعض المؤرخين إلى أن الخروج قد تم في فصل الربيع^(٢٢٩)، وهذا الرأي له علاقة بالأعياد التي يحتفل بها بنو إسرائيل في الأوقات المعينة، وعلى الرغم من

^{٢٢٤} - سفر التثنية، الإصحاح: ٦: ٤ .

^{٢٢٥} - المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ص ١٣٦. وانظر، Adin Steinsaltz, Biblical Images, Basic Books, New York, 1984, p344.

^{٢٢٦} - أحمد شليبي، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج ١، ط ٦، ١٩٨٢م، ص ٦٤، وانظر عبد الرحيم فودة، قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، د.س، ص ٣٩.

^{٢٢٧} - دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المرجع السابق، ص ٦٨، وانظر، فودة، قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، المرجع السابق، ص ٣٩، وسعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٥١.

^{٢٢٨} - دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المرجع السابق، ص ٦٨.

^{٢٢٩} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي (هامش) المرجع السابق، ص ١٤٠.

عدم تحديد اسم فرعون الخروج في العهد القديم، يلاحظ أنه وجد فيه تحديد المدة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر، ومما جاء فيه هو: "وكانت مدة غربة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر أربع مائة وثلاثين سنة، وفي اليوم الأخير بالذات في ختام أربع مائة وثلاثين سنة خرج جميع أجناد الرب من أرض مصر هي ليلة تكرس للرب إذ أخرجهم فيها من أرض مصر، هذه الليلة هي للرب يكرسها بنو إسرائيل في جميع أجيالهم"^(٢٣٠)، وبهذا النص ذهب بعض المؤرخين إلى أن بني إسرائيل دخلوا مصر في عهد الأسرة (١٦) إلى خروجهم عهد الأسرة (١٩) ولكن بعض المؤرخين يرون أن مدة إقامتهم في مصر كانت حوالي (٢١٥) سنة^(٢٣١)، ونلاحظ من النص التوراتي أن الخروج كان في الليل، وأن تلك الليلة لها ذكرى سنوية لكل جيل من أجيال بني إسرائيل، و هي من أعيادهم التي سأحدث عنها فيما يأتي إن شاء الله - عز وجل-، وفي النص الآخر يذكر العهد القديم أن الخروج كان في منتصف الليل، وأن الرب ضرب في تلك الليلة كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون، وفي هذه الكارثة خرج بنو إسرائيل^(٢٣٢)، وإليك النص التوراتي: "وفي منتصف الليل أهلك الرب كل بكر في بلاد مصر من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر الحبيس في السجن، وأبكار البهائم جميعاً أيضاً فاستيقظ فرعون وحاشيته وجميع المصريين وإذا عويل عظيم في أرض مصر، لأنه لم يوجد بيت ليس فيه ميت، فاستدعى موسى وهرون ليلاً قائلاً " قوموا واخرجوا من بين الشعب أنتما وبنو إسرائيل، وانطلقوا اعبدوا الرب كما طلبتم"^(٢٣٣)، ويلاحظ أن هذا النص يشير إلى أن سيدنا موسى -عليه السلام- استغل الفرصة لإخراج بني إسرائيل، في تلك الليلة التي وقعت فيها الضربة القاسية على فرعون الطاغية وجنوده، واهتم فرعون والمصريون بتلك الضربة، ولذا استطاع سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه أن يخرجوا من مصر ناجين، وكان صباح تلك الليلة عيد الفصح الذي يقع في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول (العبري)^(٢٣٤).

^{٢٣٠} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢: ٤٠-٤١.

^{٢٣١} - عبد الله، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ١٦.

^{٢٣٢} - فتوحى، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، المرجع السابق، ص ١٤٣.

^{٢٣٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢: ٢٩-٣١.

^{٢٣٤} - سفر العدد، الإصحاح: ٣٣: ٣.

المطلب الثاني: جغرافية الخروج في العهد القديم

يشكل التوزيع الجغرافي دوراً مهماً للأنظمة الدينية، لإبراز مدى التوسع الاجتماعي الديني لأقوام معينة، ربما البيئة المكانية هي الآلية التي تنظم فيها الأديان جميع معتققي تلك الديانات^(٢٣٥)، وعلى هذا فإن الأرض تؤلف سجلاً كاملاً للدين ومعرضاً للمعطيات الجغرافية، لتفسير مدى دقة بعض المسائل الدينية التي تتفاعل ثقافياً بين الثقافات والبيئة للمجتمع البشري^(٢٣٦)، فخروج بني إسرائيل من مصر له أنظمة دينية مرتبطة بتلك الأماكن التي مروا بها عند خروجهم، فهي تعتبر الأصول الأولية لديانة بني إسرائيل والمسألة المركزية للعهد القديم الذي يحتوي المسائل الدينية والاجتماعية لبني إسرائيل، وكل ما يعالجه العهد القديم هو المكان الذي ينقل الكتاب المقدس لدى بني إسرائيل وأن أحداثه قد وقعت ضمن أماكن الخروج^(٢٣٧)، ومن ثم فإن انطلاق بني إسرائيل من مصر يبدأ بالتحديد من مدينة (رعسيس) التي بناها بنو إسرائيل تحت ضغوط العبودية، ومنها سلكوا طريق الوادي حتى مشارف أرض كنعان^(٢٣٨) فتذكر المصادر أنهم بعد انطلاقهم من رعسيس وصلوا إلى سكوت وإيثام، وفم الحيروث بين مجدل والبحر، أمام بعل صفون عند بحر سوف، كما كانوا في بركة ثور ومروا أيضاً مارة، وإيليم، وبرية سين التي بين إيليم وسيناء، و نزلوا، رفيديم في مدين عند جبل الله حوريب في جزيرة وسيناء^(٢٣٩).

فيقول العهد القديم "وارتحل بنو إسرائيل من رعسيس إلى سكوت"^(٢٤٠)، هذه هي أول المرحلة لبني إسرائيل في طريقهم إلى الأرض المقدسة ويرون أن تلك الأمكنة لها أحداث التي يستطيعون من خلالها فهم دينهم أو تحديد أعيادهم الدينية في زمن معين مرتبط بمكان معين، وجاء في سفر العدد، التصوير الكامل لمراحل رحلة بني إسرائيل، وإليك نصه "وتوجه بنو إسرائيل من رعسيس وخيموا في سكوت، ثم ارتحلوا من سكوت وحلوا في إيثام المجاورة لطرف الصحراء، ثم ارتدوا من إيثام إلى فم الحيروث مقابل بعل صفون ونزلوا أمام مجدل، بعد ذلك انطلقوا من أم الحيروث واجتازوا في وسط البحر إلى الصحراء وتقدموا مسيرة ثلاثة أيام في صحراء إيثام وأقاموا في مارة، ثم ارتحلوا من مارة وأقبلوا على إيليم، حيث وجدوا فيها اثنتي عشرة عين ماء وسبعين نخلة فخيّموا هناك وما لبثوا أن مضوا من إيليم ونزلوا عند البحر الأحمر، وانطلقوا من جوار البحر

^{٢٣٥} - سوفي دافيد، جغرافية الأديان، ترجمة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ١١.

^{٢٣٦} - المرجع نفسه، ص ٧.

^{٢٣٧} - المرجع نفسه، ص ١٨.

^{٢٣٨} - أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٤٥.

^{٢٣٩} - السقاف، المرجع السابق نفسه، ص ١٤٦، وانظر دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المرجع السابق، ص ٦٧.

^{٢٤٠} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢: ٣٧.

الأحمر وخطوا رحالهم في صحراء سين ثم توجهوا من صحراء سين وأقاموا في دفقة وانتقلوا من دفقة ونزلوا في الوش وتقدموا من الوش ونصبوا خيامهم في رفيديم، ولم يجد الشعب هناك ماءً للشرب، ثم مضوا من رفيديم وأقاموا في صحراء سيناء، وانطلقوا من صحراء سيناء وخيموا في قبروت هتاوة وغادروا قبروت هتاوة ونزلوا في حضيروت وانتقلوا من حضيروت وخطوا رحالهم في رثمة ثم ارتحلوا من رثمة وتوقفوا في رمون فارص ومضوا من رمون فارص وخيموا في لبنة وتقدموا من لبنة وأقاموا في رسمة، ثم انطلقوا من رسمة ونصبوا خيامهم في قهيلاته وتوجهوا من قهيلاته ونزلوا في جبل شافز وانتقلوا من جبل شافز وخطوا رحالهم في حرادة، ثم ارتحلوا من حرادة وتوقفوا في مقهيلوت وسافروا من مقهيلوت وخيموا في تاحت ومضوا من تاحت وأقاموا في تارح وانطلقوا من تارح ونزلوا في مثقة وتوجوا من مثقة ونصبوا خيامهم في حشمونة، ثم انطلقوا من حشمونة وتوقفوا في مسيروت وتقدموا من مسيروت وخطوا رحالهم في بني يعقان، وغادروا بني يعقان وخيموا في حور الجد جاد، وسافروا من حور الجد جاد وأقاموا في يطبات ومضوا من يطبات ونزلوا في عبرونة، وانطلقوا من عبرونة ونصبوا خيامهم في عصيون جابر، ثم توجهوا من عصيون جابر وتوقفوا في صحراء صين وهي قادش، وانتقلوا من قادش وخطوا رحالهم في جبل هور في طرف ارض أدوم^(٢٤١).

ورعسيس: هي مقر فرعون وعاصمة الإمبراطورية المصرية وقت ذاك، ويرى بعض المؤرخين أنها تقع مكان قرية (قنتير) على مبعدة (١٩) كيلاً إلى الجنوب من صان الحجر، وعلى مبعدة (٩) كيلاً إلى الشمال الشرقي من فاقوس شرقية^(٢٤٢)، والمكان الثاني الذي وصلوا إليه عند خروجهم هو (سكوت) فتذكر المصادر أنهم لما خرجوا من رعسيس في منتصف الليل توجهوا شرقاً نحو الطريق الذي سلكه سيدنا موسى -عليه السلام- عند عودته من مدين^(٢٤٣) ويرون أن مكان سكوت هو أرض متاخمة لبلدة (بررع موسى) وأنها في اتجاه الصحراء وفيها قلعة تدعى (ختم سكوت)، وأما (إيثام) فيقال أنها (أدوم)، وكان يسمى سكانها بـ (شاسو) والمكان الآخر هو (قم الحيروث) بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند (بحر سوف) في (قم الحيروث) وهو مصب فرع من النيل بين بحيرات البلح في الجزء الجنوبي الشرقي لبحيرة المنزلة وكان هذا الفرع من النيل، وتقع قرب بلدة (تل أبو صيفة)^(٢٤٤)، ومنها استمروا في طريقهم إلى مجدل وهي بلدة تقع في شرق (تارو) ثم وصلوا إلى (بعل صفون) ويرى أنها بلدة دافني^(٢٤٥)، ويرى بعض المؤرخين أنهم بعد أن

^{٢٤١} - سفر العدد، الإصحاح: ٣٣: ٥ - ٣٧.

^{٢٤٢} - مهرا، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٣٧. وانظر، السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، المرجع السابق، ص ١٤٦.

^{٢٤٣} - يوسف، إسرائيل البداية والنهاية، المرجع السابق، ص ٦٥.

^{٢٤٤} - السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، المرجع السابق، ص ١٤٧.

^{٢٤٥} - المصدر نفسه، ص ١٤٧، ١٤٨.

غادروا (بعل صفون) وصلوا إلى البحر الأحمر^(٢٤٦)، وهذا الرأي موافق باسم البحر الذي جاء ذكره في العهد القديم الترجمة العربية أن ذلك البحر هو الذي عبره بنو إسرائيل، ومما جاء فيه: "وأغرق خيرة قادة فرعون في البحر الأحمر"^(٢٤٧)، وفي المقطع الآخر جاء فيه "ثم ارتحل موسى بإسرائيل من البحر الأحمر وتوجهوا نحو صحراء شورة"^(٢٤٨)، ويرى بعض المؤرخين أن البحر الذي عبروه ليس البحر الأحمر وأن القائلين بأنهم عبروا البحر الأحمر اعتمدوا على النسخة الكاثوليكية من العهد العتيق، حيث ذكرت تلك النسخة بأن المقصود بالبحر هو البحر الأحمر، الذي هو (بحر القلزم) حسب رأيهم^(٢٤٩).

والمقصود بالبحر ليس البحر الأحمر، وإنما هو جزء من بحيرة وأن هذه البحيرة هي بالتحديد (بحيرة المنزلة)، وأنه حصل الخطأ في ترجمة (السفر) عن اللغة اليونانية إلى اللغات الشرقية والغربية ووضعوا بدلاً من كلمة (يم) التي كانت فيه في أصله العبري كلمة (بحر)، ثم ألحق بكلمة (القلزم) عبارة عن البحر الأحمر، وعلى هذا ذهبوا إلى المقصود بالبحر هو بحر سوف الذي معناه بالعبرية هو (بحيرة البوص)، وإذا لاحظنا ما جاء في سفر الخروج والأسفار الأخرى في تسمية أسماء الأماكن نجد أن سفر الخروج يذكر أن بني إسرائيل لما ارتحلوا من البحر الأحمر توجهوا نحو صحراء شور وظلوا يجوبون الصحراء ثلاثة أيام من غير أن يجدوا ماء^(٢٥٠)، وأما سفر العدد فيذكر أنهم لما انطلقوا من جوار البحر الأحمر حطوا رحالهم في صحراء سين ثم توجهوا إلى صحراء سين وأقاموا في دفقة^(٢٥١)، ويبدو لي أن (صحراء شور، وصحراء سين) تختلفان بدليل أن سفر الخروج ذكر (صحراء سين) بعد ذكر صحراء شور، وما جاء فيه هو "ثم انتقلت كل جماعة إسرائيل من إيليم حتى اقلوا إلى صحراء سين"^(٢٥٢)، ونلاحظ أن ما جاء في سفر العدد يدل على تسلسل حبكة مسار بني إسرائيل، وليس المقصود فيه حذف بعض الأمكنة للاختصار، فوقع التباين والتعارض بين السفرين، وعلى أية حال فإن بني إسرائيل استمروا مسيرهم إلى أن وصلوا برية سيناء مقابل سيناء ويسمى أيضاً جبل موسى الذي نزلت فيه شريعة سيدنا موسى -عليه السلام-^(٢٥٣).

^{٢٤٦} - محمد أبو الغيض المنوفي الحسيني، الدين المقارن، دار تحضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.س، ص ١١٨.

^{٢٤٧} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٥ : ٤.

^{٢٤٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٠ : ٥.

^{٢٤٩} - السقاف، المرجع السابق، ص ١٤٩ - ١٥٠، وانظر بوكاي، التوراة والأنجيل والقرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٦٥، وربيع، الكتب المقدسة بين الصحة

والتحريف، المرجع السابق، ص ٨٩، ٩٠.

^{٢٥٠} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٥ : ٢٢.

^{٢٥١} - سفر العدد، الإصحاح: ٣٣ : ١١ - ١٢.

^{٢٥٢} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٦ : ١.

^{٢٥٣} - عربي، سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق، ص ١٥٣.

جبل سيناء: يرى المؤرخون أن جبل سيناء يقع في شبه جزيرة سيناء وأن اسم ذلك الجبل هو (حوريب) ويسمى أحياناً (جبل الله) أو (جبل الإله في حوريب) وهو الجبل الذي صعد سيدنا موسى عليه السلام لميقات ربه ليسلم الوصايا العشر، ويرى بعض الباحثين، أن سيدنا موسى - عليه السلام - صعد جبل سريال القريب منه، ويعد جبل سيناء ومعه جبل صهيون الجبلين المقدسين اللذين يتركز عليهما العالم روحياً في الرؤية الدينية، لبني إسرائيل، ومما جاء في المصادر أنه لو أن أعضاء جماعة بني إسرائيل وقفوا أمام الجبل لسقطت الدنيا وتهدمت، ويرجع تسمية باسم (جبل الله) لأن الإله كشف عن قدسيته عليه، وهو (جبل سيناء) لأن الإله كره (بالعبرية سانا)، أهل السماوات وفضل عليهم أهل الأرض من بني إسرائيل وأعطاهم التوراة، وهو (حوريب) لأن التوراة التي تسمى (حوريب) أي (سيف) قد نزلت هناك وثمة تفسير ديني آخر هو أن كره الاغيار لبني إسرائيل بدأ هناك في سيناء^(٢٥٤).

وأما شبه جزيرة سيناء فتقع شمال شرقي في مصر، ويرى أن اسمها مشتق من اسم إله القمر (سين) معبود أهل شبه جزيرة العرب وتبلغ مساحته أربعة وعشرين ألف ميل مربع، وكانت سيناء دائماً حلقة الوصل بين آسيا وإفريقيا^(٢٥٥)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تصور لأية حدود جغرافي في تلك العصور القديمة يبدو أن معظمه ستعطي أكثر من مؤشر، على تحديد أماكن مرور بني إسرائيل في طريقهم إلى الأرض المقدسة الموعودة لهم، هذا فإن بني إسرائيل مكثوا في شرق سيناء قرب جبل سيناء - حسب الروايات - حوالي السنة^(٢٥٦)، ومنها انطلقوا من صحراء سيناء ونزلوا في (قبروت هتاوة) ومنها إلى (حضيروت)، ثم (رثمة)^(٢٥٧)، ولكن الإصحاح الاثني عشر من سفر العدد يذكر أنهم لما ارتحلوا من حضيروت نزلوا في صحراء (فاران) وليس (رثمة) كما ذكره الإصحاح الثالث والثلاثون من نفس السفر، وعلى أية حال، فإن بني إسرائيل لما نزلوا صحراء (فاران) بدؤوا يشعرون بالخوف من الاعتداء عليهم ولذا كان عليهم أن يثبتوا خلف الأعداء من المناطق التي يريدون اجتيازها، فبرسلوا الجاسوس أولاً قبل دخولها، وعلى هذا الاستكشاف يذكر العهد القديم أنهم لما كانوا في صحراء فاران قال الرب لموسى "أرسل جواسيس إلى أرض كنعان التي أنا واهبها لبني إسرائيل، أرسل رئيساً من كل سبط ممثلاً له"^(٢٥٨)، ويذكر الإصحاح الثالث عشر أن المدة التي قضاها الجواسيس لاستكشاف الأرض الموعودة بلغت أربعين

^{٢٥٤} - المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ج٤، ص ١١٤.

^{٢٥٥} - المرجع نفسه، ص ١١٤.

^{٢٥٦} - عرابي، سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق، ص ١٦٧.

^{٢٥٧} - سفر العدد، الإصحاح، ٢٣، ١٦ - ١٨.

^{٢٥٨} - سفر العدد، الإصحاح: ١٣: ١-٣.

يوماً^(٢٥٩)، ومن المعلومات التي حددها سيدنا موسى -عليه السلام- لهم، يستوجب للشعب معرفتها قبل دخول الأرض الموعودة، ولاتخاذ أدق الخطوات لدخولها^(٢٦٠)، وكان مما جاء به الجواسيس هو أن الأرض الموعودة: "تفيض حقاً لبناً وعسلاً... غير أن الشعب المتوطن فيها بالغ القوة ومدنه منيعة وعظيمة جداً، كما شاهدنا هناك بني عناق فالعمالقة مقيمون في أرض الجنوب والحيثيون واليوسيون والأموريون متمنعون في الجبل والكنعانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأرض"^(٢٦١)، ويبدو أن هذه الصفات لهذه الشعوب سبب الانقسام بين بني إسرائيل، فيذكر العهد القديم أن المعلومات التي جاء بها الجواسيس قرع في قلوبهم الروع والخوف وتمردوا على سيدنا موسى -عليه السلام- "فرغ الشعب كله صوته وبكى في تلك الليلة، وتذمر على موسى وهارون، وقالوا ليتنا متنا في ديار مصر أو ليتنا متنا في الصحراء..."^(٢٦٢)، ولكن سيدنا موسى و سيدنا هارون -عليهما السلام- "خرا ساجداً وطلبوا هو ويشوع بن نون وكالب بن يفنة من الشعب الاستقرار والهدوء وإلا يجزعو من شعب الأرض ولأن الرب معهم"^(٢٦٣)، ومهما يكن من أمر فإن الشعب استمروا في رحلتهم حتى نزلوا في (أوبوت)^(٢٦٤) واستمروا حتى وصلوا إلى مدن الأموريين واستولوها بعد أن هزموا أهلها^(٢٦٥) ولم يتوقفوا بمسيرهم، بل استمروا حتى نزلوا في سهول مؤاب شرقي الأردن مقابل أريحا، استعداداً لدخول الأرض المقدسة الموعودة، ومن مؤاب بالقرب من نهر الأردن مقابل أريحا عبر الشعب نهر الأردن نحو أرض كنعان، فيذكر العهد القديم في ذلك فيقول: "وقال الرب لموسى في سهول مؤاب بالقرب من نهر الأردن مقابل أريحا: "أوصى بني إسرائيل وقال لهم: "إنكم لا بد عابرون نهر الأردن نحو أرض كنعان فاطردوا جميع أهل الأرض من أمامكم ودمروا تماثيلهم المنحوتة.. واملكوا الأرض واستوطنوا لأنني قد وهبتكم الأرض لكي تراثوها..."^(٢٦٦) وفي المقطع الآخر قال الرب لسيدنا موسى عليه السلام:- "إنكم داخلون إلى أرض كنعان وهذه هي حدود الأرض التي تكون نصيباً لكم تشكل صحراء حين المتاخمة لبلاد آدوم الجزء الجنوبي من الأرض وتبدأ الحدود الجنوبية من طرف البحر الميت إلى الشرق وتمتد نحو عقبة العقارب..."^(٢٦٧) وهذه الرواية حسب ما جاء في العهد القديم، وفيها نظر لمعرفة مدى دقتها، ومن المفترض أن تتوافق معلومات الأسفار حول القضية الواحدة التي تعالجها، إذا اعتبرنا أن مصدر

٢٥٩ - سفر العدد، الإصحاح: ١٣ : ٢٥.

٢٦٠ - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٣٠٠.

٢٦١ - سفر العدد، الإصحاح: ١٣ : ٢٧- ٢٩.

٢٦٢ - سفر العدد، الإصحاح: ١٤ : ١- ٤.

٢٦٣ - سفر العدد، الإصحاح: ١٤ : ٥- ٩.

٢٦٤ - سفر العدد، الإصحاح: ٢١ : ٢١- ٣٠.

٢٦٥ - سفر العدد، الإصحاح: ٢١ : ١٠- ١٥.

٢٦٦ - سفر العدد، الإصحاح: ٢٢ : ١- ٨.

٢٦٧ - سفر العدد، الإصحاح: ٣٤ : ٢- ١٥.

تلك المعلومات واحد، وهو الله -سبحانه وتعالى-، ولا يمكن أن يحصل التناقض ما كان مصدره من عند الله -سبحانه وتعالى-، وعلى كل حال، فهذا هو ما رسمه العهد القديم من جغرافية خروج بني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة الموعودة.

- ١- مصر: "Egypt" يرى على الأرجح أنه مشتق من اسم منفيس في اللغة المصرية القديمة وهو (حي - كو - بتاح) ومعناها (بيت روح بتاح)، وتقع مصر في الشمال الشرقي من قارة إفريقيا، ويحدها في الجنوب السودان، وفي الشرق البحر الأحمر وفلسطين، وفي الشمال البحر الأبيض المتوسط وفي الغرب ليبيا^(٢٦٨).
- ٢- أرض جاسان (مدينة رعسيس)، منطقة خصيبة في مصر، كثيرة المرعى للقطعان والمواشي، واقعة شرق الدلتا وتعرف الآن بالشرقية، الممتدة من جوار أبي زعل إلى البحر، ومن برية جعفر إلى وادي تمويلات^(٢٦٩).
- ٣- سكوت: يرى أن معناه بالعبرية (مضلات) وهو أول مكان مر فيه بنو إسرائيل، بعد خروجهم من مصر، ويقع في القسم الأسفل من وادي (طميلات)، ويرى بعض المؤرخين أن ذلك المكان غير معروف بالضبط، إلا أنه كانت على سفر يوم، من رعسيس، ويرى بعضهم أنه (تل المسخوطة)، أما الآخرون فيرون أنه المدينة المحيطة (بفيثوم)^(٢٧٠).
- ٤- إيثام : تقع إيثام على شرقي سكوت، ويرجح أن مكانها في الوقت الحاضر، هو تل المسخوطة، والتي تقع على طرف الصحراء، ومنها سار بنو إسرائيل ثلاثة أيام في برية إيثام، بعد أن عبروا البحر الأحمر إلى أن وصلوا مارة^(٢٧١).
- ٥- البحر الأحمر، وهو البحر الذي يفصل آسيا عن إفريقيا ويسمى أيضاً بحر مصر، وبحر سوف، وأطلق عليه اليونانيون بالخليج العجمي، وينقسم إلى خليجين، خليج العقبة إلى الشرق وخليج السويس، إلى الغرب، ويرجح أن بني إسرائيل عبروا هذا البحر، عند خروجهم من مصر وبتحديد خليج السويس بالقرب من طرفه الشمالي^(٢٧٢)، على مسافة (٣) أيام من موضع عبور بني إسرائيل البحر وفيها وجدوا يبيعاً مراً وجعله سيدنا موسى عليه السلام عذبا^(٢٧٣).

٢٦٨ - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٨٩٢.

٢٦٩ - المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

٢٧٠ - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٤٠. وانظر حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٤٨.

٢٧١ - المرجع نفسه، ص ١٤٠.

٢٧٢ - المصدر نفسه، ص ١٦٢، ١٦٣-١٦٤.

٢٧٣ - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٨٣١.

- ٦- إيليم: معناه بالعبرية (أشجار) وهو اسم المكان الثاني الذي نزل فيه بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر، ويقع بين (مارة) وبرية (سين)، ويرى أن مكانه الحالي هو واحة وادي (غرندل) ويبعد مسافة ٦٣ ثلاثة وستين ميلاً جنوبي شرقي السويس^(٢٧٤).
- ٧- برية سين: وهي أول برية سيناء وصل إليها بنو إسرائيل بعد أن عبروا البحر من إيليم، ويرى أن مكانها اليوم هو (دبة الرملية) وهي (كومة رمال) عند سفح جبل التيه^(٢٧٥).
- ٨- سيناء: اسم جبل يطلق عليه أيضاً جبل حوريب واسم البرية المحيطة به على حسب رواية العهد القديم أن بني إسرائيل وصلوا إليه بعد خروجهم من مصر بثلاثة أشهر^(٢٧٦)، ويبعد عن (قادش برنيع) مسيرة أحد عشر يوماً، ويرى أنهم مكثوا فيه سنة كاملة^(٢٧٧)، وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق.
- ٩- قادش برنيع: معنى قادش بالعبرية أي (مقدس) وقادش برنيع، تدعى أيضاً (عين مشفاط) وهي أشهر مكان بعد جبل سيناء في تاريخ تيه بني إسرائيل، ويرى أنهم تمركزوا فيها مدة (٣٨) سنة من سني تيههم الأربعين، وكان مركزاً عاماً يرجع إليه الشعب لأجل العبادة، والقضاء وحل المشاكل الكبرى، وتقع طرف برية (صين) إلى الجهة الغربية من وادي العربة قرب (التخم) الجنوبي لأرض سبط يهوذا أو الحد الجنوبي لبني إسرائيل، وهي على مسيرة أحد عشر يوماً من حوريب ومن قادش عبروا إلى بلاد مؤاب^(٢٧٨).

^{٢٧٤} - المرجع نفسه، ص ٤٩٨.

^{٢٧٥} - المرجع نفسه، ص ٤٩٨.

^{٢٧٦} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٩: ١.

^{٢٧٧} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصادر السابق، ص ٤٩٨.

^{٢٧٨} - المرجع نفسه، ص ٧٠٨.

خريطة

المبحث الثالث:

الآثار المترتبة على الخروج في العهد القديم.

المطلب الأول: الآثار العقدية للخروج في العهد القديم.

المطلب الثاني: الآثار التشريعية للخروج في العهد القديم.

المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية والنفسية للخروج في العهد القديم.

المطلب الأول: الآثار العقديّة للخروج في العهد القديم:

العقيدة هي الهيكل التنظيمي للحياة البشرية، عليها تقوم المبادئ القيميّة، والفكر للأنظمة الاجتماعيّة، فتسود الحياة لمجتمع ما، يثري فيه التفاعل مع الكون الحسي والمشاعر، والمعارف الفكرية.

فالإنسان يميل إلى التدين بفطرته التي خلق عليها، يبحث عن القوة الروحية التي تتصل بالقوى الغيبية المسيطرة على الكون ونظام الحياة، تلك القوة الروحية هي التي تجعل الإنسان يذعن لسلطان الله الأعلى ويؤمن به ويحبه ويداوم على تقواه وطاعته^(٢٧٩).

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن العقيدة كانت سبباً أساسياً لخروج بني إسرائيل من مصر، لكي يظهروا قلوبهم من الآثار الوثنية التي تسربت إليها في مصر، ومع ذلك فقد ظهرت جملة الآثار العقديّة في جماعة بني إسرائيل وهم في رحلتهم إلى الأرض الموعودة، منها ما هو متعلق بالعقيدة، ومنها ما هو متعلق بالشريعة ومنها ما هو متعلق بالأخلاق والنفسية.

فمن المؤكد أن العهد القديم أشار إلى توحيد الألوهية الذي قامت عليه دعوة سيدنا موسى -عليه السلام-، وإن كان تلك الإشارات تبدو غامضة، وإلى جانب هذه الإشارات إلى توحيد الألوهية، نجد فيه إشارات تدل على تسرب الآثار الوثنية المصرية إلى عقيدة بعض بني إسرائيل، تلك الوثنية التي تأثروا بها تحت ضغط العبودية، فأخذهم الله -تعالى- وجاوز بهم البحر إلى البرية، حيث وجدوا الحرية والحياة الكريمة، وكان من المنتظر أن يحسوا بتلك الحرية، وينتهوا من عبادة الأصنام والحيوانات باعتبار أن خروجهم من مصر نقطة البداية في حياتهم الجديدة مع الله، إلا أن فكرة توحيد الألوهية ظلت مضطربة وغامضة عند بعضهم، لذلك نجدهم يطلبون من قادتهم أشياء لا تليق مع توحيد الألوهية، وصاحبته المواقف العديدة، ظهرت منهم التصورات العقديّة العجيبة، مع علمهم بوجود الرب معهم، فالرب يسير أمامهم حسب رواية العهد القديم، "وكان الرب يتقدمهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم"^(٢٨٠)، وهذا ليعلموا أن الله معهم نهاراً وليلاً^(٢٨١)، وقد أنزل المن والسلوى فيهم، لما تدمروا في الصحراء، وفي ذلك يقول العهد القديم: "سمعت تذر بني إسرائيل فقال لهم في المساء تأكلون لحماً وفي الصباح

^{٢٧٩} - السيد أحمد فوج، مقال في الإنسان و التوحيد، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، د.م، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص ١٠٩.

^{٢٨٠} - سفر الخروج الإصحاح: ٢١: ١٣-٢٢.

^{٢٨١} - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس المصدر السابق، ص ١٥٨.

تشبعون خبزاً فتعلمون إنني أنا الرب إلهكم" (٢٨٢)، يشير هذا النص إشارة واضحة، لتوحيد الله في العبادة، فقد ربط شعور النعمة بإثبات وجوده سبحانه، المستحق بتفريد العبادة، ومن نعمه تعالى عليهم ليهتدوا وليتمكنوا التخلص من الوثنية، انبثاق الماء من الحجر، هو معجزة في أعين الشعب في حالة التيه، والابتهاال والخوف، أظهرها الله - عز وجل - على الشعب ليشكروا نعمته عليهم وليعبده وحده، وفي ذلك يقول العهد القديم: "ثم بلغوا إيليم حيث كانت اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة..." (٢٨٣)، وجاء في نص آخر: "وإذا لم يتوافر ماء للشعب اجتمعوا على موسى وهارون وخاصموا موسى قائلين له: ليتنا هلكنا كإخواننا الذي أهلكهم الرب...، وقال الرب لموسى خذ العصا واجمع الشعب أنت وأخوك هارون وأمر الصخرة على مشهد منهم أن تعطي ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة فيشرب الشعب... ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فتفجر ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها" (٢٨٤). هذه هي بعض نعمة الله على بني إسرائيل ليشكروا بوجوده تعالى وقدرته على كل شيء وأنه معهم أينما كانوا وهو الذي يستحق العبادة وحده.

ومن المعلوم، وبدون أدنى شك أن دين سيدنا موسى - عليه السلام - دين التوحيد، وليس ديناً تعددياً، كما ذهب إلى ذلك الذين حجبت عقولهم ومنعتهم التصور السليم في حقيقة الألوهية والربوبية، ولم يتدبروا في آثار الكون على الأقل، لاستدلال وجود الله الخالق، وخاضوا فيما ليس لهم فيه علم، ومن هؤلاء فرويد الذي تأثر بتحليلاته النفسية التي تعتمد على التخمينات الوهمية، وتجاهل كل الرسل السابقين لسيدنا موسى - عليهم السلام -، واعتمد في آرائه على ما أعلنه أخناتون، في أن مصر كانت بحاجة إلى توحيد الآلة من أجل توحيد الاقطاعات، والمعابد، والآلهة المتعددة، وعلى هذا الأساس زعم أن دين سيدنا موسى - عليه السلام - تطوير ديانة أخناتون، ويزيد فرويد ابتعاداً عن الحقائق حيث يقول في سيدنا موسى - عليه السلام - أنه مصري، وليس عبرانياً، تربي في البلاط الفرعوني وتسلم مراتب قيادية (٢٨٥)، ولم يتحدث عن دين سيدنا إبراهيم - عليه السلام -، وعن عقيدته ودعوته إلى توحيد الألوهية الذي سبق أخناتون بسنوات، على الرغم أن العهد القديم، لم يذكر أخناتون، بل تحدث عن الأنبياء لم يذكره فرويد في تحليلاته دعوة سيدنا موسى - عليه السلام -، مع أنه يقول أن مصدره في ذلك هو العهد القديم إذ يقول: "ونحن لا نملك عنه (أي موسى) من معلومات سوى تلك التي تقدمها لنا الكتب المقدسة والمأثورات اليهودية

٢٨٢ - سفر الخروج الإصحاح: ١٦: ١٢-١٥.

٢٨٣ - سفر الخروج الإصحاح: ١٥: ٢٧.

٢٨٤ - سفر الخروج الإصحاح: ٢٠: ٢-١١.

٢٨٥ - فرويد و موسى و التوحيد، المرجع السابق. ص ٩-١٤. وأنظر موفق محادين، دورة اليهودي، دار الكونز الأدبية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٧٥ -

المكتوبة^(٢٨٦)، إذاً من أين جاء بآرائه الباطلة؟!، والكتب المقدسة لم تذكر بأن سيدنا موسى -عليه السلام- مصريةً ولا أن دينه مستمد من دين أخناتون، والمآثورات اليهودية تعتمد على العهد القديم، فأدلة فرويد ليست إلا افتراءً على الرسل -عليهم السلام-، وكان عليه أن يقول إن دين سيدنا موسى مستمد من دين سيدنا إبراهيم -عليهما السلام-^(٢٨٧).

فإن عقيدة التوحيد قد انتشرت في مصر قبل ولادة أخناتون، وكان من الأولى أن يقول فرويد إن أخناتون أخذ فكرة التوحيد عن بني إسرائيل، مع أن أخناتون أصلاً لم يكن موحداً لله في العبادة، وإنما ما قام به أخناتون هو توحيد المصريين على عبادة الشمس، هذا من جهة، من جهة أخرى فقد رفض فرويد جميع ما جاء به الرسل -عليهم السلام-، وحتى الرسالة المحمدية، فيقول في كتابه: "بيد أن معرفته المحدودة تبيح له أن يضيف بأن تأسيس ديانة محمد يبدو له تكراراً مختصراً للديانة اليهودية التي تقولت بقالبها"^(٢٨٨).

كما أن الذين خرجوا مع سيدنا موسى -عليه السلام- أصناف، منهم المؤمنون حق الإيمان، مثل: يشوع بن نون ومنهم من لم تتضح في ذهنه عقيدة التوحيد^(٢٨٩)، كما أنهم ليسوا كلهم من بني إسرائيل فمنهم الأمم الأخرى^(٢٩٠)، فهم بعد أن اجتازوا البحر، وأغرق فرعون وجنده وهم يشاهدون، وبدأت حلقة جديدة لهم، ففي أثناء إقامتهم في سيناء لم يجد بعضهم فيما تقدمه الديانة الجديدة ما يشبع حاجتهم الروحية، ولم يمض الوقت حتى ظهرت فيهم تأثير الديانة المصرية القديمة، تلك الديانة التي تمكنت من نفوسهم إبان إقامتهم في مصر، وتحت ضغط المصريين عليهم وإكراههم على عبادة آلهتهم^(٢٩١)، ويذكر العهد القديم أن بعضاً منهم طلبوا من سيدنا هارون -عليه السلام-، أن يصنع لهم إلهاً^(٢٩٢)، ويذكر (Steinsaltz) أن سيدنا هارون -عليه السلام- صنع لبني إسرائيل، العجل ليكتسب سلطة القيادة منهم^(٢٩٣)، وكان ذلك عند غياب سيدنا موسى -عليه السلام-، حيث ذهب للقاء مع الرب، وفي ذلك يذكر العهد القديم: "ونزل الرب على قمة جبل سيناء ونادى موسى ليصعد إلى قمة الجبل"^(٢٩٤)، وفي ذلك الجبل أتى الله -عز وجل- الشعب

٢٨٦ - فرويد، و موسى و التوحيد، المرجع السابق، ص ٧.

٢٨٧ - حسن تاريخ الديانة اليهودية، المرجع السابق، ص ٥٩، وأنظر جميل خرطيل ونقد الدين اليهودي، دار الأوتار، م. د، ط. ٢٠٠٢م، ص ص ٣٠-٣١.

٢٨٨ - فرويد، و موسى و التوحيد، المرجع السابق، ص ١٢٩، وأنظر عرابي، سفر التاريخ اليهودي، المرجع السابق، ص ١٣٠.

٢٨٩ - سفر العدد، الإصحاح: ١٤: ٥-٧.

٢٩٠ - سفر العدد، الإصحاح: ١١: ٤.

٢٩١ - مهرا، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٣٣٥.

٢٩٢ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ١-٦.

٢٩٣ - Adin Steinsaltz, Biblical Images, , p77.

٢٩٤ - سفر الخروج، الإصحاح: ١٩: ٢٠-٢٥.

الوصايا العشر، وعقد معهم العهد أن يكون إلهاً لهم وأن يكونوا شعباً له^(٢٩٥)، وتلك الشريعة وضعت لقيادة بني إسرائيل إلى حياة القداسة العملية وإرشاد الشعب إلى سد حاجات كل فرد فيهم بأسلوب يتميز بالمحبة والمسؤولية حسب آراء مفسري الكتاب المقدس^(٢٩٦)، ولكن هل حافظوا على ذلك العهد مع الله - عز وجل -، أم أن بعضهم نقضوا عهد الله - سبحانه وتعالى -؟، ومهما يكن من أمر فإن هذه الوصايا ذكرها العهد القديم، وفي ذلك يقول: "ثم نطق الله بجمع هذه الأقوال: "أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض ديار عبوديتك، لا يكن لك آلهة أخرى سواي لا تتحت لك تمثالاً ولا تصنع صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من أسفل الأرض، لا تجد لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأبدي إحساناً نحو ألوف من محبي الذين يطيعون وصاياي، لا تتطرق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلاً أذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك، أما اليوم السابع فتجعله سبباً للرب إلهك فلا تقم فيه بأي عمل أنت أو ابنك أو ابنتك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل المقيم داخل أبوابك لأن الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، لهذا بارك الرب يوم السبت وجعله مقدساً، أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك، لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد زوراً على جارك لا تشته بيت جارك ولا زوجته ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما له"^(٢٩٧)، هذا هو النص التوراتي الطويل الذي يتمثل عقيدة بني إسرائيل التي سيأتي الحديث عنها إن شاء الله - عز وجل - عن أركانها وتصورها عند الشعب، وانسياقها للأفكار الدينية التي تراكمت عبر العصور وشريعتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم مع الله - عز وجل -، وهي تخطيط خاص لهم للعبادة، التي كانت السبب الأساسي للخروج، وكان للشعب أن يبقوا على صلة وثيقة بالله - عز وجل - عن طرائق ممارستهم لشعائر العبادة، دون اتخاذ أي قرار يخالف تعليمات سيدنا موسى - عليه السلام - التي آتاهم إياها، قبل صعوده الجبل^(٢٩٨)، ولكن تأثر الشعب الشديد بالمعبودات المصرية أدت إلى ظهور طائفة من بني إسرائيل خالفت تعليمات سيدنا موسى - عليه السلام -، ولم تكن فكرة الألوهية واضحة في عقولهم، فلم يستطع بعضهم تصور الله - تعالى - إلا في الصورة المجسمة، التي اعتادوا عليها في مصر^(٢٩٩)، فمعية الإله بينهم كما يعتقد (كوهن) في صورة مجسدة ملموسة، تساعد تلك الفئة على إدراك محبة الله

^{٢٩٥} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٤٩٨.

^{٢٩٦} - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٧١.

^{٢٩٧} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٠: ١-١٦.

^{٢٩٨} - بالكين جون، وأصحابه، مدخل إلى الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣٨.

^{٢٩٩} - وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، المرجع السابق، ص ٢٧.

للشعب واهتمامه بهم، وأما دون الأجسام فلا تستطيع عقول تلك الفئة معرفة حقيقة الألوهية^(٣٠٠)، فالرغبة المتأصلة في قلوب بعضهم لعبادة الأصنام المرئية، ولم يمض أسابيع من غياب سيدنا موسى -عليه السلام- عنهم، أو كما يقول العهد القديم: "واختفى موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل حيث مكث أربعين يوماً وأربعين ليلة"^(٣٠١)، وفي هذه الفترة ارتفعت أصواتهم مطالبة بوثن يعبدونه، ففكرة الألوهية يجب أن تكون مجسدة وأن يكون الإله على شكل الشيء الملموس على غرار ما ألفوه في مصر، إله يسير أمامهم حتى يتمكنوا من تصور وجوده معهم ويتمثلوا بأمره، هذا، وقد رأوا أن وجودهم دون سيدنا موسى -عليه السلام-، هو بمثابة وجودهم دون الله -سبحانه وتعالى-^(٣٠٢)، ولأن التماثيل تساعدهم على تصور الإله غير المنظور وعبادته، وعلى هذا الطلب "جمع هارون الحلي الذهبية منهم بعد إلحاح شديد منهم وصهرها وصبها على هيئة تمثال كان يعد تجسداً للإله"^(٣٠٣)، وفي ذلك يذكر العهد القديم فيقول: "ولما رأى الشعب أن موسى قد طالت إقامته على الجبل اجتمعوا حول هارون وقالوا له "هيا اصنع لنا إلهاً يتقدمنا في مسيرنا، لأننا لا ندرى ماذا أصاب هذا الرجل موسى الذي أخرجنا من ديار مصر، فأجابهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم... فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلاً عندئذ قالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر، وعندما شاهد هارون ذلك شيد مذبحاً أمام العجل وأعلن غداً هو عيد للرب"^(٣٠٤)، نزعوا كل أقراط الذهب التي كانت معهم وأتوا بها إلى سيدنا هارون -عليه السلام- وصنع بها عجلاً هذا ما رواه العهد القديم وأثبتته كتاب الديانة اليهودية^(٣٠٥)، وكيف يمكن أن يصنع النبي صنماً يعبد من دون الله سبحانه وتعالى؟!، وعلى كل حال، فإن بعض بني إسرائيل عبدوا العجل بغياب سيدنا موسى -عليه السلام-، وذلك لأن الإيمان بالله وحده الذي دعا إليه سيدنا موسى -عليه السلام- لم يرسخ في قلوبهم ولم يستطيعوا التخلص ما اعتادوا عليه في مصر، حيث كانوا يعبدون الأصنام، ولذلك قالوا: إن هذه هي الآلهة التي أخرجتهم من مصر، بمعنى أن العجل كان من آلهة المصريين (أبيس)^(٣٠٦)، مثل الإله: "أبيس" في منف، من أقدم

^{٣٠٠}- كوهن، التلمود، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٦.

^{٣٠١}- سفر الخروج، الإصحاح: ٢٤: ٢٨.

^{٣٠٢}- فرنسيس وأصحابه، تفسير الكتاب المقدس، دار منشورات التفسير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦م، ص ١٧. وأنظر الميسر موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ٤٩، ص ١٥٦، وفراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات الميثولوجيا، والديانات الشرقية، دار علماء الدين، دمشق، د. ط، د. س، ص ٢٥٤. ومحمد السيد، تاريخ اليهود القدم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د. ط، ٢٠٠٤م، ص ١٣، وانظر، حبيب، وأصحابه، دائرة المعارف الكتابية دار الثقافة، القاهرة، ج ٥، ط ١، ١٩٩٥م، ص ١٧٠.

^{٣٠٣}- المسيرى، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، المرجع السابق ج ٤، ص ١٥٦.

^{٣٠٤}- سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ١-٦.

^{٣٠٥}- صموئيل حبيب وأصحابه، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج ٥، ص ١٧٠، وأنظر السقاف، إسرائيل و عقيدة الأرض الموعودة، المرجع السابق، ص ١٨١.

^{٣٠٦}- غنيم، اليهود بين القران و التوراة ومعطيات التاريخ القديم، المرجع السابق، ص ٢١٤.

عبادات الحيوان في مصر وكانت جزءاً أساسياً من الديانة المصرية^(٣٠٧)، فكانت عبادة العجل الذهبي لا تزال حية في ذاكرة بعض بني إسرائيل.

ولما رأى الله -سبحانه-، أن الشعب خرجوا ما ترك عليهم سيدنا موسى -عليه السلام، أمره بالنزول من الجبل، وفي ذلك يقول العهد القديم: "فأمر الرب موسى، قم وأنزل فان الشعب الذي قد أخرجته من ديار مصر قد فسد إذ انحرفوا سريعاً عن الطريق الذي أمرتهم به"^(٣٠٨)، ويتتابع العهد القديم في عرض ذلك الحدث المنحرف عن طريق الهدى من الشعب، فيقول: "ثم نزل موسى وانحدر من الجبل حاملاً في يده لוחي الشهادة (الوصايا العشر)، وقد نقشت كتابة على وجهي كل منهما... وسمع يشوع هتاف الشعب فقال لموسى: "هذا صوت تأهب لقتال في المخيم، فأجابه موسى، هذا ليس هتاف نصرة ولا صراخ هزيمة لكن ما أسمع هو صوت غناء، وما إن اقترب موسى من المخيم وشاهد العجل والرقص حتى احتدم غضبه وألقى باللوحين من يده وكسرها عند سفح الجبل ثم أخذ العجل الذهبي وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وأرغمهم على الشرب منه"^(٣٠٩)، كما تشير نصوص العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- أبصر العجل الذهبي تمرح حوله جماعة بني إسرائيل راقصة ويذهب بها المرح من حوله كل مذهب كما أبصر سيدنا هارون -عليه السلام- الذي صنع العجل الذهبي بيده واقفاً أمام العجل، وعندها حمي غضب سيدنا موسى -عليه السلام- وطرح اللوحين من يده وكسرها^(٣١٠)، وفي ذلك يقول العهد القديم: "وخاطب موسى هارون، ماذا فعل بك هذا الشعب حتى جلبت عليه هذه الخطيئة العظيمة؟ فأجاب هارون: " لا يحتدم غضب سيدي إنك تعرف شر هذا الشعب لقد قالوا لي اصنع لنا إلهاً... فقلت لهم من لديه ذهب فليزعه ويعطني إياه فطرحته في النار فخرج هذا العجل"^(٣١١)، ونلاحظ أن هناك نص آخر ومفاده أن الله -سبحانه وتعالى- أمر سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- بصعود الجبل وصعدا الجبل ومعهم سبعون رجلاً من شيوخ إسرائيل فهناك رأوا الله جهرة وأكلوا وشربوا، وثمة شيء آخر أنه ورد في العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- ترك الرجال السبعين في مكان من الجبل ثم صعد هو وخادمه يشوع إلى قمة الجبل، ثم أنه ترك أيضاً خادمه يشوع في مكان للقاء ربه حيث كلمه الرب^(٣١٢)، وهنا يُطرح السؤال، كيف يكون سيدنا

^{٣٠٧} - أومان، ديانة مصر القيمة، المرجع السابق، ص ١٧٢، وأنظر جفري بارند، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة عبد الفتاح. مكتبة مد بولي للنشر و التوزيع، القاهرة، ٢٢، ١٩٩٦م، ص ٧٢، ومحمد أبو القاسم الحاج، البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط ١، ١٤٠٢هـ-١٩٩٠م، ص ٦٧.

^{٣٠٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ٧-١٤.

^{٣٠٩} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ١٥-٢٠.

^{٣١٠} - السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، المرجع السابق، ص ١٨٢.

^{٣١١} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ٢١-٣٩.

^{٣١٢} - سفر الخروج، الإصحاح: ١: ٢٤-١٨.

هارون -عليه السلام- مع الشيوخ الذين صعدوا إلى الجبل وفي نفس الوقت هو الذي صنع العجل للشعب الذي بلغ عددهم (٦٠.٠٠٠)؟!، وكيف يعمل هذه الخطيئة وقد رأى الرب وهو نبي؟!.

ومهما يكن من أمر، فإن سيدنا موسى -عليه السلام- بعد أن كسر اللوحين جاءه وحي الرب يأمر بني إسرائيل بالافتتال فيما بينهم، حتى يفنوا بعضهم بعضاً، ولا يميز أحدهم أبناءه أو إخوته^(٣١٣)، ويقول العهد القديم: "ولما رأى موسى أن الشعب غارق في مجونه بعد أن أفلت هارون زمامهم فصاروا بذلك مثار سخرية أعدائهم وقف في باب المخيم وصاح: كل من يتبع الرب فليقبل إلي هنا فاجتمع حوله اللاويون فهتف بهم، هذا ما يعلنه الرب إله بني إسرائيل ليتقلد كل واحد سيفه... واقتلوا كل داعر سواء أكان أمماً أم صاحباً أم قريباً... فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل"^(٣١٤)، هذه هي التوبة عن الخطيئة التي ارتكبتها الشعب، فتقرب سيدنا موسى -عليه السلام- إلى الرب متضرعاً لطلب الشفاعة عن الشعب وطلب من الله -سبحانه وتعالى- ألا يفني هذا الشعب حتى يشمت بهم المصريون وألا يغير مقاصده حيث أخرجهم من مصر لكي يعبدوه في البرية، وبهذا الابتهاال جدد الرب عهده مع الشعب^(٣١٥)، ويذكر العهد القديم: "وفي الغد قال موسى للشعب، لقد ارتكبتم خطيئة عظيمة وها أنا أعود إلى الجبل لأمثل أمام الرب لعلي أحظى لكم بغفرانه ورجع موسى إلى الرب وتضرع قائلاً: "يارب لقد اقتترف هذا الشعب خطيئة عظيمة وصاغوا لأنفسهم إلهاً من ذهب والآن إن شئت اغفر لهم إلا فامحني من كتابك الذي كتبت، فأجاب الرب موسى الذي أخطأ إلي أمحوه من كتابي والآن اذهب وقد الشعب إلى المكان الذي ذكرته لك، وها هو ملاكي يتقدمك ولكن لا بد من معاقبة الشعب على خطيئتهم في يوم قضائي وضرب الرب الشعب بالوباء عقاباً لهم على عبادة العجل الذي صنعه هارون"^(٣١٦)، ثم إن الرب أمرهم بترك المكان الذي عبدوا فيه العجل الذهبي وأن ينزعوا زينتهم في ذلك المكان، فخلع الشعب زينتهم عند جبل حوريب"^(٣١٧)، وأخذ سيدنا موسى خيمة الاجتماع ونصبها بعيداً خارج المخيم ودعاها خيمة الاجتماع، فكان كل ملتصق للرب يسعى إلى خيمة الاجتماع القائمة خارج المخيم"^(٣١٨).

^{٣١٣} - السواح، الأسطورة والمعنى، المرجع السابق، ص ٢٥٤.

^{٣١٤} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٥: ٢٩-٣٢.

^{٣١٥} - فرنسيس، تفسير الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.

^{٣١٦} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ٣٠-٣٥.

^{٣١٧} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٣: ١-٦.

^{٣١٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٣: ٧-٨.

١- خيمة الاجتماع:

كانت خيمة الاجتماع في العقيدة اليهودية، المكان الذي يجتمع فيه الله -سبحانه وتعالى- مع بني إسرائيل ويكونون على يقين من حضور الله -سبحانه وتعالى- بينهم^(٣١٩)، وفيها يتشاور الرب والنبي ويتلقى النبي تعليمات الرب وتوجيهاته وأوامره^(٣٢٠)، وتسمى هذه الخيمة بالعبرية (مشكن) أي (مسكن)، وكذلك (أوهيل موعيد) أي (خيمة الاجتماع)، وكانوا يحملونها في تجوالهم وترحلهم، وتقام خارج المضارب ليسكن الإله فيها، لذا تسمى أحياناً بـ (بيت الإله) وهي تعتبر مقدسة لأن الإله أظهر ذاته على هيئة السحابة غطت الخيمة وملأتها في يوم اكتمال بنائها، وبعد ذلك تحولت السحابة إلى عمود يسير أمام أعضاء بني إسرائيل في رحلاتهم، فكان إذا وقف العمود فوق الخيمة ينزل الشعب وإذا انتقل نُقلت الخيمة، وتبع بني إسرائيل السحابة وفي الليل كانت السحابة تستحيل إلى عمود نار فيكون الإله سائراً أمامهم، وتودع فيها ألواح الناموس والشهادة، وقد صنعت من المواد الأولية التي وجدت في النواحي المجاورة من شجرة السنط^(٣٢١)، وجلود الحيوانات والذهب والفضة والنحاس^(٣٢٢)، وقد جاء ذكر هذه الخيمة في العهد القديم و في ذلك يقول: "وأخذ موسى خيمة ونصبها بعيداً خارج المخيم"^(٣٢٣).

٢- تابوت العهد:

وهو صندوق صنعه سيدنا موسى -عليه السلام- على رواية العهد، وقد أمره الله -سبحانه وتعالى- بصنعه وكان طوله ذراعين ونصف، وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وكان مصنوعاً من خشب السنط ومغشي بصفائح ذهب نقي من داخل ومن خارج، ويحرسه بنو فهات من اللاويين، ويودع في التابوت الوعاء الذي يحتوي على المن وعصا هارون -عليه السلام- التي أفرخت، ولوحي العهد، وعليهما وصايا الله العشر المكتوبة بأصابع الله -سبحانه وتعالى-، ويضع بجانبه كتاب التوراة، ويحمل أمام الشعب وإذا حمل التابوت يقول: "قم يارب فلتتبد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك"، وإذا حل التابوت يقول أيضاً: "ارجع يارب إلى ربوات ألوفا إسرائيل"^(٣٢٤)، وجاء ذكره في العهد القديم في عدة مواضع، منها: "يصنعون تابوتاً من خشب السنط"^(٣٢٥)، وأما

^{٣١٩} - بالكين، ومدخل إلى الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٣٨.

^{٣٢٠} - محادين، دورة الدين اليهودي، المرجع السابق، ص ١٧٩.

^{٣٢١} - السنط شجر ينبت في البرية أخذوه في جزيرة سيناء، أنظر، عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

^{٣٢٢} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٣٥٢-٣٥٤، وأنظر حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ص ١٥٧، وعراي، سفر التاريخ

اليهودي، المرجع السابق، ص ١٨٠، وأنظر فرنسيس، تفسير الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٢٧١.

^{٣٢٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٣: ٧-١٧، وأنظر سفر الخروج، الإصحاح: ٩: ١٥-٢٣.

^{٣٢٤} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠، وأنظر محادين، دورة الدين اليهودي، المرجع السابق، ص ١٧٩.

^{٣٢٥} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٠: ٢٥-١٦، وأنظر سفر العدد، الإصحاح: ٣: ٢٩-٣١.

العهد المضاف إلى التابوت، عهد الله - سبحانه وتعالى - مع بني إسرائيل بأن يخرجهم إلى البرية ليعبدوه، "وبهذا الاسم سمي العهد القديم والعهد الجديد للتوراة والإنجيل، ويتألف العهد القديم من تسعة وثلاثين سفرًا^(٣٢٦)، عند البرتستانت، ومن ستة وأربعين سفرًا، عند الكاثوليك، ومن ثلاثة وأربعين سفرًا عند الأرثوذكس، فيها عقائدهم، التي يؤمنون بها باعتبارها منزلة على سيدنا موسى - عليه السلام - في (جبل حوريب) هي مقتبسة من العهد القديم والتلمود، ولا يوجد فيهما أي تحديد واضح لأركان الإيمان أو أعمده، كما لم يوجد في العهد القديم التعريف بالدين بمعنى العقيدة، ومعظم ما جاء فيه هو التلميحات الغامضة، قد لا يفهم مرادها، وهذا لا يمنع وجود مفاهيم إيمانية عامة مثل: ضرورة الإيمان بوحداية الإله والوصايا عشر^(٣٢٧).

ولم تتوضح أركان العقيدة اليهودية بصورة واضحة إلا عند ما لخصها موسى بن ميمون^(٣٢٨):

على النحو التالي:

١. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه موجود وخالق مدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال.
٢. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه واحد ليس لوجدانيته مثل على أي وجه كان (مبدأ التوحيد).
٣. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، ليس تجسيدا وهو منزه عن أعراض الجسد وليس له شكل مطلقاً (نفي التشبيه والتجسيم).
٤. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الله وحده تليق الصلاة والعبادة ولا تليق بغيره (توحيد الربوبية).
٥. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه هو الأول والآخر.
٦. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن كل كلام الأنبياء حق.
٧. أنا أوؤمن أن نبوة موسى عليه الصلاة والسلام حقيقة، وأنه كان أباً للأنبياء الذين كانوا قبله والذين بعده.
٨. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن الشريعة الموجودة بأيدينا هي المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام.
٩. أنا أوؤمن إيماناً تاماً أن هذه الشريعة لا تغير ولا تكون شريعة من لدن الخالق تبارك اسمه (إنكار النسخ في الشرائع).

^{٣٢٦} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٦٤٣-٦٤٤.

^{٣٢٧} - المسيرى، موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ص ٢٤، وأنظر محمد الحسيني إسماعيل، الإنسان والدين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ-

٢٠٠٤م.

^{٣٢٨} - نقلاً عن فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٨٧.

١٠. أنا أوّمن إيماناً تاماً أنه عالم بكل أعمال بني البشر وأفكارهم.
١١. أنا أوّمن إيماناً تاماً أنه يكافئ الذين يحفظون وصاياه ويعاقب الذين يخالفونها.
١٢. أنا أوّمن إيماناً تاماً بمجيء المنتظر ولو تأخر إنني أنتظر مجيئه (فكرة المسيح الموعود المخلص).
١٣. أنا أوّمن إيماناً تاماً أنه ستكون قيامة الأموات (عقيدة البعث الأخروي والقيامة)^(٣٢٩).

وإذا كنا نلاحظ مدى التشابه في كثير من العقائد التي ذكرها ابن ميمون فإن هذا يؤكد أن الدين الذي جاء به سيدنا موسى -عليه السلام- هو دين الإسلام الذي جاء به جميع الأنبياء -عليهم السلام-، وهو دين التوحيد، يتصف فيه الرب بالصفات العليا، والأسماء الحسنى المنزهة من جميع مظاهر النقص، والمخالف للحوادث في كل شيء^(٣٣٠)، ولكن إذا لاحظنا أصول الإيمان التي لخصها الباحثون من العهد القديم، نجد فيها أحياناً أبعاداً أخرى تتطلب البيان بطريقة أو بأخرى، ويظهر من التأمل أن فكرة الألوهية تضم العديد من الأفكار الأخرى، فنرى مثلاً أن العهد القديم يتحدث عن الإله بصيغة الجمع (الوهيم) ويبدو أن منشأ هذا الجمع اعتبار الإله ضمن آلهة أخرى^(٣٣١)، كوصف بعض شخصيات العهد القديم بابن الإله، "أختار من بعدك ابناً من نسلك ليخلفك... أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً"^(٣٣٢) وقد ادعى ذلك بعض الغربيين إلى القول: بالتعدد في آلهة بني إسرائيل، يقول غوستاف لوبون: ومعنى قوله: "وبهذا التعدد تفاخراً بالهيا بين الآلهة"^(٣٣٣)، فيقول أيضاً: "وعلى ما في أسفار اليهود من دفاع عن أفضلية يهوه لم تمار هذه الأسفار قط في وجود آلهة أجنبية"^(٣٣٤)، وقال: أنه جاء في سفر التثنية: "أي شعب كبير ذي آلهة قريبة منه قرب يهوه منا حيثما ينتهل إليه في كل مرة"^(٣٣٥)، هكذا وصف لوبون عقيدة العهد القديم.

وجاء في سفر التثنية أيضاً في حق الإله (يهو) إذ يقول: "لأن الرب إلهكم إله الآلهة ورب الأرباب"^(٣٣٦)، وهناك بعض النصوص المتشابهة التي قد تقلل من قدرته حسب ما يمكن أن يفهم

^{٣٢٩} - نقلاً عن فتاح، اليهودية عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٨٧-٨٨-٨٩، وأنظر علي، اليهودية و اليهودية المسيحية، المرجع السابق، ص ١١٤-١١٥.

^{٣٣٠} - وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، المرجع السابق، ص ٢٦.

^{٣٣١} - المسيرى، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، المرجع السابق ج ٥، ص ٢٤.

^{٣٣٢} - سفر الأحبار الأول الإصحاح: ١٧: ١١-١٣.

^{٣٣٣} - لوبون غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارة الأولى، ترجمة، عادل رُحَيْت، د.د، د.م.د، د.ط، د.س، ص ٧٠، نقلاً عن، شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق،

ص ٧٤

^{٣٣٤} - المرجع نفسه، ص ٧٠، وانظر، شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ٧٤

^{٣٣٥} - لوبون، اليهود في تاريخ الحضارة الأولى، المرجع السابق، ص ٧٠، وانظر، سفر التثنية، الإصحاح: ١٠

^{٣٣٦} - سفر التثنية، الإصحاح: ١٧: ١٠.

مما جاء في العهد القديم، نحو قصة ظهور ملاك الرب لسيدنا يعقوب -عليه السلام- وصارعه حتى الفجر ولم يتغلب الله -جل جلاله- على سيدنا يعقوب -عليه السلام-، فطلب من سيدنا يعقوب -عليه السلام- أن يطلقه^(٣٣٧)، وغيرها من الصفات التي فيه التشبيه التي جاءت في العهد القديم.

وثمة شيء آخر، فإن هذه العقائد يمكن تصنيفها إلى خمسة مجموعة:

المجموعة الأولى: من ١-٥ خاصة بالاعتقاد في الله -عز وجل-، وهي تتفق مع دين الإسلام.

المجموعة الثانية: من ٦-٩ تختص بالنبوات وكلام الله -عز وجل-، وشريعته.

المجموعة الثالثة: من ١٠-١١ تختص بمعاملة الله مع العباد والثواب والعقاب.

المجموعة الرابعة: من ١٢-١٣ تختص بالمسيح المنتظر الذي يخلص بني إسرائيل من المعانات التي يبدو أنها متصلة بخروج بني إسرائيل من مصر، ومن مهمة المسيح المنتظر تخليصهم من العذاب، وجمع شملهم^(٣٣٨).

وفيما يخص الأنبياء -عليهم السلام-، فمن المفترض أن يكونوا معصومين من الكبائر، ولكن أحياناً نجد في العهد القديم وصف سيدنا هارون -عليه السلام- بأنه عبد الأصنام وأن سيدنا موسى -عليه السلام- أمر بالسرقة وسلب أموال المصريين وممتلكاتهم، من الذهب والفضة^(٣٣٩)، وهذا يتناقض مع عصمة الأنبياء -عليهم السلام-.

اليوم الآخر: وأما فكرة البعث والآخرة فتظل غير محددة وغير واضحة، فمنهم من يرى أن الآخرة هي المحاكمة عن أعمال الناس في الدنيا ثم الإحالة إلى ملكوت الله تعالى دون أي إشارة في العهد القديم ما يترتب على هذه الأعمال في الآخرة من الجزاء^(٣٤٠)، ومن المعلوم أن عقيدة

^{٣٣٧} - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٢: ٢٢-٣٩، وأنظر شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ٦٤، و غنيم، اليهود بين التوراة ومعطيات التاريخ القديم، المرجع السابق، المرجع السابق، ص ٣٩.

^{٣٣٨} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١١٥

^{٣٣٩} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ٢-٦ و الإصحاح: ١١: ١-٨.

^{٣٤٠} - المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. المرجع السابق ج ٥، ص ٢٢. وأنظر شوقي. مقارنة الأديان، المرجع السابق. ص ١٩٤، وانظر، سراج عثمان بوس، "اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية، (دراسة مقارنة)"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، المرق، ١٩٩٧م، ص ٧-٩.

البعث واليوم الآخر تعد من الموضوعات الأساسية التي يدور حولها الدين السماوي، لأن الإيمان بالله - عز وجل - يترتب عليه الإيمان بالبعث واليوم الآخر، فدين سيدنا موسى - عليه السلام - دين الإسلام، أشتمل على عقيدة البعث واليوم الآخر، ويبدو أن هذه العقيدة غير واضحة في الأسفار الخمسة، رغم تنوع فكرة الألوهية والإيمان بالأنبياء ويوم البعث فإن أصول الإيمان في نظر المؤمنين بالديانة اليهودية تعتبر عقيدة التوحيد الخالصة في دلالتها وهي إلى جانب ذلك مجموعة من القواعد العملية التي تتجسد في الممارسة والفكر والسلوك^(٣٤١)، فهي أحياناً ترفض وتكرر كل صور الشرك والوثنية في بعض نصوص العهد القديم مثل ما جاء فيه: "اسمعوا يا بني إسرائيل" الرب إلها رب واحد...^(٣٤٢)، فهناك من حاول أن يحصر أصوله الأساسية التي وردت في العهد القديم واعتبروا أن ما قسمه ابن ميمون يتضمن الأصول والفروع، ومن هؤلاء (قريشقش) ويرى أن الأصول الأساسية ثلاثة وهي:

- ١- (عيقاريم) أو العقائد الأساسية، وهي ثلاث، وجود الإله والوحي، والثواب والعقاب، وأضاف أن هذه العقائد عامة لكل البشر.
- ٢- (شوراشيم) وهي تفرعات عن العيقاريم.
- ٣- (عنافيم)، وهي الأغصان^(٣٤٣).

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الأصول منها ما هو ثابت في جميع الأديان مثل وجود الإله وإن اختلف مفهوم ذلك الإله، ومنها ما لم تأخذه الشرائع الأخرى مثل الإيمان بأن شريعة سيدنا موسى - عليه السلام - لا تتغير، فالمسيحية والإسلام يؤمنان بكل ما جاء به سيدنا موسى - عليه السلام -، كما يؤمنان بنسخ شريعته بشرائع من جاء بعده.

^{٣٤١}-فتح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق. ص ١٢-١٧.

^{٣٤٢} - سفر التثنية، الإصحاح: ٦: ٤-٩.

^{٣٤٣} - المسيرى، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية. المرجع السابق ج٥، ص٢٦

المطلب الثاني: الآثار التشريعية للخروج في العهد القديم

بناء على نصوص العهد القديم، فإن شريعة بني إسرائيل أنزلت على سيدنا موسى -عليه السلام- جملة، في جبل سيناء، وبالتحديد (جبل حوريب) بعضها كتبت على لوحى الشهادة بيد الله -سبحانه وتعالى-^(٣٤٤)، والتشريعات الأخرى أخذها مشافهة، وهي في واقع الأمر، تفسيرات الحاخامات التي جمعت في التلمود وفي غيره من كتب الديانة اليهودية^(٣٤٥)، ويصطلح (التوراة المكتوبة) بالعبرانية بـ (توراة شبختاف) أي الشريعة المكتوبة، مقابل (توراة شبتعل به) أو (التوراة الشفوية)، وهي مجموعة فتاوى وأحكام وضعت لشرح العهد القديم وتأويله، وتناقله الحاخامات شفهيًا، على مدى القرون ثم دونت في القرن الثاني الميلادي في التلمود^(٣٤٦)، وكانت لهذه الشرائع أوقات معينة وقوانين يلتزمون بتعليماتها^(٣٤٧)، ومن خلال تأويل نصوص العهد القديم وتفسيرها على ضوء الظروف المتقلبة التي مر بها الشعب استنبط علماء بني إسرائيل نظاماً تفصيلياً كاملاً للممارسات الطقوسية للشعب، المستفادة من الوصايا الواردة في العهد القديم، والتحديات التي واجهوه^(٣٤٨)، وظلت مفردات الممارسات التشريعية متميزة ومتنوعة في الإطار من طقوس الحياة التعبديّة عند الشعب^(٣٤٩)، وتشتمل هذه الشرائع على الأعياد والصلاة والقرايين والندور والعبادات.

الأعياد:

وهي احتفالات الفرحة الخاصة بذكرى مناسبة من المناسبات^(٣٥٠)، يقدمون خلالها التقدّمات الخاصة للرب، ويتركون أشغالهم العادية ويجتمعون في المحافل، وهي:

- ١- عيد الفصح (عيد الفطير).
- ٢- عيد الحصاد (عيد الأسابيع) أو عيد الخمسين أو عيد الباكورة.
- ٣- عيد المظال (عيد المظلات أو عيد الجمع).
- ٤- عيد رأس السنة (عيد الغفران).
- ٥- يوم السبت.

أولاً : عيد الفصح (عيد الفطير)

^{٣٤٤} - جودت السعد، الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٣٩.

^{٣٤٥} - المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ج٥، ص ٢٧.

^{٣٤٦} - المرجع نفسه، ج٥، ص ٢٧، وانظر حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج٤، ص ٥١٢، ٥١٣.

^{٣٤٧} - حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج٤، ص ٥١٢.

^{٣٤٨} - فتاح، اليهودية عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١٢٩.

^{٣٤٩} - المرجع نفسه، ص ١٢٩.

^{٣٥٠} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصادر السابق، ص ٦٤٧.

هو أول الأعياد اليهودية السنوية التي ترتبط بحادثة الخروج، و يجب على جميع الرجال، الظهور أمام الرب في بيت العبادة، ومعنى (الفصح) بالعبرية أي (العبور)^(٣٥١)، وقد ذكره العهد القديم ذلك العيد فيقول: "وخطب الرب موسى وهارون في أرض مصر قائلاً: منذ الآن يكون لكم هذا الشهر رأس الشهور وأول شهور السنة، خاطباً كل جماعة إسرائيل قائلين على كل واحد أن يأخذ في العاشر من هذا الشهر حملاً لعائلته... ويجب أن يكون الحمل ذكراً ابن سنة خالياً من كل عيب... ثم يقوم كل جمهور إسرائيل بذبح الحملان عند المساء ويأخذون الدم ويضعون على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها ثم في نفس تلك الليلة يتناولون اللحم مشوياً بالنار مع فطير يأكلونه مع أعشاب مرة... ففي هذه الليلة اجتاز في بلاد مصر وأقتل كل بكر فيها من الناس، أما أنتم فإن الدم الذي على بيوتكم المقيمين فيها يكون العلامة التي تميزكم... فلا تنزل بكم بلية الهلاك، ويكون هذا اليوم تذكراً تحنطون به عيداً للرب فريضة أبدية تحنطون به في أجيالكم"^(٣٥٢)، فعيد الفصح تذكاري سنوي لإنقاذ الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل من مصر، فكان كل سنة أن يحتفل ذكراً اليوم الذي فيه عبر ملاك الموت عن بيوتهم ولم ينزل بهم بلية الهلاك، ويحتفل ذلك اليوم تذكراً للحادثة الذي بلغ فيه الخلاص بهم، في الليلة ضرب الرب كل بكر في مصر وعبر عن بيوت بني إسرائيل المرشوشة بالدم حتى تعرف، فلا تضرب، وكان أهلها واقفون وعصيمهم في أيديهم في انتظار الخلاص الموعود^(٣٥٣)، بينما نزلت بلية الهلاك بالمصريين، "وفي منتصف الليل أهلك الرب كل بكر في بلاد مصر"^(٣٥٤)، ويعرف هذا أيضاً بعيد (الفطير) لأنهم أكلوا خبزهم ليلة الخروج قبل أن يختمر^(٣٥٥)، ويسمى ذلك بالعبرية بـ (مأتزّه)^(٣٥٦)، وكانت مدة هذا العيد أسبوعاً كاملاً، يبدأ مساء الرابع عشر من شهر (أبيب) المعروف بعد السبي (بشهر نيسان)، أي بداية الخامس عشر منه، "احتفلوا دائماً بفصح الرب إلهكم في شهر (أبيب شهر نيسان - ابريل)، ففي هذا الشهر أخرجكم الرب إلهكم من مصر ليلاً"^(٣٥٧)، ويمتد احتفالهم به سبعة أيام، بعد يوم العيد نفسه، فينتهي احتفالهم به في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان، وهو اليوم الذي يُذكر، أن الله -تعالى- أغرق فيه فرعون وجنده، ونجا سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه، من بني إسرائيل وسهل لهم الخروج من مصر^(٣٥٨)، "في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول العبري (أو شهر نيسان - ابريل) بين العشاءين يكون فصح للرب وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر

^{٣٥١} عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٦٤٧.

^{٣٥٢} - سفر الخروج، الإصحاح، ١٢، ١-١٤.

^{٣٥٣} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٦٤٧، وانظر، بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٥٤.

^{٣٥٤} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٢: ٢٩.

^{٣٥٥} - أمين القضاة وصاحبه، أديان وفرق، د.د. عمان، ط ١، ١٠١٤-١٩٩٠ م، ص ٥١.

^{٣٥٦} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٣٣.

^{٣٥٧} - سفر التثنية، الإصحاح: ١٦: ١-٨.

^{٣٥٨} - وافي، الأسفار المقدسة، في الأديان السابقة للإسلام، المرجع السابق، ص ٣٤.

يكون عيد الفطير للرب فتأكلون فطيراً سبعة أيام في اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس تتوقف فيه جميع الأعمال ثم تقربون محرقات للرب طوال سبعة أيام^(٣٥٩)، و يذبح خروف أو جدي بين العشاءين نحو غرب الشمس، ويشوى صحيحاً ثم يؤكل مع فطير وأعشاب مرة^(٣٦٠)، وثمة أمور متعلقة بهذا العيد ترمز بأشياء منها:

الدم المسفوك: يشير إلى التفكير، وهو الذي ينجي من الهلاك^(٣٦١)، وأما الحمل المشوي بالنار فأشارة إلى نار غضب الله تعالى، التي احتملها مخلصاً لهم من العبودية وعبادة الأوثان^(٣٦٢)، الأوثان^(٣٦٢)، وأما الأعشاب المرة، فكانت ترمز إلى مرارة العبودية في مصر، ويشير الفطير إلى الطهارة، وأن المشتركين في الفصح يبنذون كل خبث وشر، ويكونون في شركة مقدسة مع الرب، ويجب على جميع أفراد البيت أن يشتركوا في أكل الفصح^(٣٦٣)، لأنه اليوم الذي يعتبر نقطة تحول في تاريخ جميع الشعب من الناحية الوطنية والروحية^(٣٦٤)، والازدهار والحياة الجديدة، كما لهذا اليوم إشارات أخرى، وهي: الفقر الذي كانت تعيشه جماعات بني إسرائيل في مصر، ويشير أيضاً إلى السرعة التي كانت أجدادهم عليها ساعة خروجهم، والحياة البسيطة التي كانوا يحيونها بعد الخروج^(٣٦٥)، كما يجب في هذا اليوم، قراءة العهد القديم المتدبرة لحادثة الخروج، ووضع ثلاث القطع من الفطير الواحدة فوق الأخرى، وترمز القطعتان العلوية والسفلية، إلى المن والسلوى، مما رزق الله الغني بهما بني إسرائيل في سيناء، وأما القطعة الوسطى فترمز لأيام المعاناة التي جابهوها في التيه^(٣٦٦)، ومن أهمية هذا العيد في شريعة بني إسرائيل حضور الرب العيد، وذلك لأنه اليوم الذي أنجى الله سبحانه - فيه بني إسرائيل وأنه تعالى قد حضر بنفسه في ذلك اليوم وقادهم في عمود السحاب إلى برية سيناء^(٣٦٧).

^{٣٥٩} - سفر اللاويين، الإصحاح: ٢٣: ٥-٨.

^{٣٦٠} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٦٧٩.

^{٣٦١} - المرجع نفسه، ص ٦٧٩، وانظر، حبيب فرنسيس، تفسير الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٢٣١.

^{٣٦٢} - المرجع نفسه، ص ٢٣١.

^{٣٦٣} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٦٧٩.

^{٣٦٤} - فرنسيس، تفسير الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

^{٣٦٥} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ٣٣.

^{٣٦٦} - المرجع نفسه، ص ١٣٩.

^{٣٦٧} - شلي، مقارنة الأديان، اليهودية، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

ثانياً: عيد الحصاد: (عيد الأسابيع) أو عيد الخمسين أو يوم الباكورة:

يقع هذا العيد في اليوم الخمسين بعد اليوم الثاني من الفصح وكان أحد الأعياد الثلاثة التي كان يتحتّم على الذكور من بني إسرائيل أن يذهبوا فيها ليمثلوا أمام الرب في مكان العبادة، وسمي بعيد الأسابيع لأن الاحتفال به، يأتي في اليوم الخمسين، وبعد سبعة أسابيع من عيد الفصح والفطير، ومدته يوم واحد بين الشهر السادس والسابع، حيث يتوافق بالشهر سيفان العبري^(٣٦٨)، ويقولون أن الناموس أعطى في اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر، ولذلك يرمز هذا العيد بنزول الوحي والألواح والوصايا العشر على سيدنا موسى -عليه السلام-، وكان في أصل جذوره موصول بمواسم الحصاد، أي مصادر الحنطة، ولذلك يسمى أيضاً، عيد الحصاد يشكرون فيه الرب لأجل الحصاد في البلاد المقدسة، ثم صار رمزاً لنزول الوحي والوصايا^(٣٦٩)، ومن مظاهر هذا العيد أنه يجب أن يقدم فيه بنو إسرائيل رغيفين من الدقيق الذي طحن من غلة الحصاد ويقدمون أيضاً عشر ذبائح في ذلك اليوم يتواسون فيه، ويذكرون المحتاجين كاللاوي (الكهان) والعبد والأمة واليتيم^(٣٧٠)، وقيمون الليل تذكيراً لما أصاب لهم من الغفوة والتهيه، وتذكراً لإعطاء الناموس، ويمتنعون عن العمل في ذلك اليوم يجتمعون في بيت الرب ليقدموا بواكير الحصاد مع الذبائح^(٣٧١)، ويبدو أنهم يشعرون في هذا العيد بالمعاناة النفسية والضغط النفسي أكثر من أنه يوم الفرح.

وقد جاء ذكر هذا العيد في أكثر من مواضع من العهد القديم منها: "وتحتفل أيضاً بعيد الحصاد حيث تقدم باكورة غلاتك"^(٣٧٢)، ومعنى باكورة أي الإنتاج الأول، ومنها أيضاً "احتفلوا أيضاً بعيد الأسابيع في أول حصاد القمح"^(٣٧٣).

ثالثاً: عيد المظال، (عيد المظلات، أو عرازيل):

وهو آخر الأعياد السنوية الكبرى، التي يطلب كل رجل من بني إسرائيل أن يظهر أمام الرب واشتق هذا الاسم من عادتهم في أن يسكنوا مظالاً، أثناء مدة العيد وتعتبر عيداً زراعياً في الأصل، ويرى بعض أن سبب الاحتفال به، هو إقامة بني إسرائيل في المظال البرية، وكان يقام في الشهر السابع الذي كان بسبب رقمه مقدساً عند نهاية الفصل الزراعي، بعد أن تكون غلال

^{٣٦٨} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٣٤٩، وانظر، فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١٤٢.

^{٣٦٩} - المرجع نفسه، ص ١٤٢.

^{٣٧٠} - المرجع نفسه، ص ٣٥٠.

^{٣٧١} - القضاة، أديان والفرق، المرجع السابق، ص ٥٢.

^{٣٧٢} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٣: ١٦.

^{٣٧٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٤: ٢٢.

البيادر، وبساتين الزيتون والكروم قد أدخلت إلى الأمراء ولذا سمي "عيد الجمع"^(٣٧٤)، وقد جاء ذكر ذلك العيد في العهد القديم في عدة مواضع منها، "وتحتفل أيضاً... ثم عيد الجمع في نهاية موسم الحصاد عندما تجمع غلاتك من الحقل"^(٣٧٥)، ومدة هذا العيد سبعة أيام في بداية الأسبوع الثالث من الشهر السابع، أي في الخامس عشر إلى الحادي والعشرين من الشهر السابع من شهور السنة العبرية^(٣٧٦)، ومن مظاهر هذا العيد، بناء عريش (عرزول) مخصوص مصنوع من سعف النخيل وأغصان الأشجار في العراء ويقومون فيه سبعة أيام باعتباره تذكيراً لحياة البسيطة والمعاناة في زمن التيه، ونلاحظ أن أصل هذا العيد هو حادثة الخروج، إلا أنه يحتفل في موسم الحصاد، ويمارسون في ذلك العريش بالطقوس المقررة^(٣٧٧)، ويشكرون الرب ويطلبون منه الملجأ والهداية، حيث أنهم ضلوا في صحراء سيناء ولم يكن لهم بيوت ثابتة، ولذا فإن سعف النخيل ترمز عندهم حياة المكابدة والتطواف وطلب الاستقرار^(٣٧٨)، ويلاحظ أن غاية هذه الأعياد على ما يبدو إشارات إلى معاناة الشعب بالدرجة الأولى، بمقدار كونها تعبدية وتقرباً إلى الله فاطرهم وفاطر كل شيء.

رابعاً : عيد رأس السنة (عيد الغفران):

يصادف هذا العيد اليوم العاشر من الشهر السابع (تشري) أي شهر أيلول سبتمبر، ويقع قبل عيد المظال بخمسة أيام، يتمتع اليهود فيه عن أي عمل، و يجتمعون أثناء احتفاله، ويصومون ذلك اليوم تكفيراً عن خطايا الأمة، وبسبب أنهم عبدوا العجل في ذلك اليوم ثم تابوا، وكان هذا الصوم هو الوحيد المطلوب منهم -حسب الناموس- صومه، من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي^(٣٧٩)، ويسمى عيد رأس السنة باعتبار شهر تشري هو الشهر السابع بعد نيسان، بداية لرأس السنة الجديدة، وكان الاحتفال برأس السنة من الواجبات التشريعية المفروضة، ومدته يومان، الأول والثاني من شهر تشري، ما بين أيلول وتشرين أول، وكانوا يتهيئون على مدى عشرة أيام لاستقبال يوم الغفران^(٣٨٠).

ومن أهم مظاهر هذا العيد: الاغتسال، ويرمز لإلقاء ذنوبهم والتوبة والتطهير، ووجوب الصوم على الذكر البالغ الثالثة عشرة من عمره، وأحياناً على الأنثى البالغة الثانية عشرة من سنّها، من غروب الشمس إلى أول الليلة في اليوم التالي، عند ظهور النجوم الثلاثة في السماء، و يؤدون الصلوات والطقوس الدينية الموصولة بالمناسبة، فيحرمون ارتداء الأحذية الجلدية أو استعمال

^{٣٧٤} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٥٨٦، ٥٨٧، وانظر، فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١٤٠.

^{٣٧٥} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٣ : ١٦.

^{٣٧٦} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٥٨٧، وانظر، القضاة، أديان وفرق، المرجع السابق، ص ٥٢، وفتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١٤٠.

^{٣٧٧} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٥٨٧.

^{٣٧٨} - شلي، مقارنة الأديان، اليهودية، المرجع السابق، ص ٣٠٥، وانظر المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٤٩.

^{٣٧٩} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٧٨٢.

^{٣٨٠} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١٤٢.

العطور والروائح أو غسل البدن سوى رؤوس الأصابع والعينين^(٣٨١)، وبحرم في ذلك اليوم ما يحرم في يوم السبت، حيث يسمى عندهم سبت الأسبات، وعلى رئيس الكهنة نزع زينته الرسمية، وبعد أن يستحم، يرتدي ثياباً بسيطة مقدسة مصنوعة من كتان أبيض ويقدم الذبائح، ويدخل مكانه المقدس ويحرق فيه بخوراً ذكي الرائحة، ويغطي دخانه ورائحته عرش النعمة (الغطاء) الموجود فوق لوحى الناموس^(٣٨٢).

وقد جاء ذكر هذا اليوم في العهد القديم حيث يقول: "واليكم هذه الشريعة الدائمة أنكم في اليوم العاشر من الشهر السابع (أي شهر أيلول سبتمبر) تتذللون ولا تقومون بأي عمل لأنه في هذا اليوم يجري التكفير عنكم فتطهرون من جميع خطاياكم أمام الرب"^(٣٨٣).

خامساً: يوم السبت:

السبت معناه، الراحة^(٣٨٤)، ويرى أن أصله عبري (سبت) مأخوذ من الفعل (سبت) ومعناه يتوقف أو يستريح^(٣٨٥)، وهو يوم مقدس عند بني إسرائيل يتكون فيه أعمالهم حتى يستريحوا، تذكراً لليوم السابع من الخليقة، فهو يوم مبارك عند الله فاطر السموات والأرض، لأن فيه استراح الرب من جميع أعماله^(٣٨٦)، ويذكر العهد القديم: "وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به فاستراح فيه من جميع ما عمله وبارك الله اليوم السابع وقده لأنه استراح فيه من جميع أعمال الخلق"^(٣٨٧)، وكان اليهود يرتاحون فيه، ولا يقومون بأي عمل، ومدته من غروب الشمس يوم الجمعة إلى غروب الشمس يوم السبت، ومن الجرائم العظيمة عندهم، العمل في يوم السبت^(٣٨٨)، فيقول العهد القديم "وخاطب الرب موسى: قل لبني إسرائيل احفظوا أيام سبوتي لأنها علامة العهد الذي بيني وبينكم على مر الأجيال، كل من يقوم بعمل في يوم السبت يقتل حتماً"^(٣٨٩)، هكذا جاءت رواية العهد القديم، أن الله الرحمن شرع على عباده، بأن يقتل كل من يعمل يوم السبت فلا أحد يعمل، لا في الحراسة ولا في الإسعاف، ولا في المستشفيات، ولا أدري هل هذه المؤسسات يمكن أن يتوقف العمل فيها!؟.

٣٨١ - المرجع نفسه، ص ١٤٣، وفيما يتعلق بالصوم فقد زاد معتقون بالديانة اليهودية المناسبات الأخر للصوم، مثل صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصار وصور كداليا، وصوم صلب هامان فرضاً، أنظر حزم الأندلسي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ٣٩٢.

٣٨٢ - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصادر السابق، ص ٧٨٢.

٣٨٣ - سفر اللاويين، الإصحاح: ١٦ : ٢٩-٣٤، وانظر، دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المرجع السابق، ص ٨٤.

٣٨٤ - ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٠١.

٣٨٥ - فرنسيس، تفسير الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

٣٨٦ - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصادر السابق، ص ٤٥٣، وانظر شبلي، مقارنة الأديان، اليهودية، المرجع السابق، ص ٣٠٤، ومحمد مختار ضرار المفتي، إظهار الحق في الأديان والفرق، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، ط ٢، ٢٠٠٤م، ص ٥٥.

٣٨٧ - سفر التكوين، الإصحاح: ٢:٢

٣٨٨ - المفتي، إظهار الحق في الأديان والفرق، المرجع السابق، ص ٥٥، وانظر، القضاة، أديان وفرق، المرجع السابق، ص ٥٠.

٣٨٩ - سفر الخروج، الإصحاح: ٣١ : ١٢-١٨.

ونلاحظ أن نص سفر الخروج كان تطوراً كبيراً في التفكير يوم السبت حين أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ سبوته، لأنه بارك يوم السبت و قدسه، وأمر الله تعالى أن يستريح الإنسان والحيوان ونزيل البيت في يوم السبت، لا لأنه استراح يوم السبت فحسب بل لأنه باركه و قدسه^(٣٩٠).

ومن مظاهر هذا اليوم، تقديم الذبائح والقربان، واعتبار الاعتداء على حرمة السبت خطيئة عظيمة، ومن مظاهره، الامتناع عن أعمال الحياة اليومية، ويقام فيه -فقط- بالطقوس الدينية المناسبة في ذلك اليوم وكان عنهم ما يسمى بالنسيء، وهو تقديم بشهور وتأخيرها^(٣٩١).

إن هذه الأعياد لا تخلو من الغموض والاضطراب في تحديد المدة الزمنية للقيام ببعضها، فبعض الأعياد يرجع في الأصل إلى زمن معين للقيام به، ثم يستعرض الزمن، بغرض نفسي إنساني إلى زمن غير زمنه الأصلي، مثل عيد المظال الذي كان أصله أن يحتفل في فصل الخريف، ثم عدل إلى فصل الربيع ليرمز إلى بدء فصل الربيع، وهذا التطور قد حصل على ضوء الظروف المتقلبة التي مروا بها، إلى تفسير الشرائع حسب ما يتناسب الأمر.

سادساً الصلاة :

الصلاة عنصر مركزي للحياة الدينية لكل دين، وهي وسيلة مباشرة للاتصال بالإله، سواء كانت في دين الإسلام أو في غيره، فهي ليست مجرد تفكير في الإله كما أنها ليست تعبيراً ظاهرياً مصدره التفكير في الإله، بل عبارة عن الاتصال الشخصي بالإله، ولذا كانت هي المقياس الذي تقاس به عظمة أي دين وحيويته^(٣٩٢).

ويعتبر بنو إسرائيل أن الصلاة مواجهة دائماً إلى المعبود (يهوه) وهي وسيلة للتقرب إلى الله تعالى لتأدية عمل من الأعمال، ولذا كان على بني إسرائيل الإحساس بالخالق بالقوة الكامنة في المعبود المخلص الذي حضوره أمامهم لا ينقطع يشاهدونه دائماً في عمود السحاب^(٣٩٣)، ولذلك، فهم يعتقدون أن الصلاة المقبولة يجب أن يكون الله -عز وجل- موجوداً في مكان الصلاة ومجسداً فيه، حتى قد يلمسه جسم المصلي في أهم الصلوات التي مارسها بنو إسرائيل في البرية، كانت تعبيراً لموقف معين حصل معهم في رحلتهم المليئة بالمعاناة النفسية والتذمر الدائم على القائد، فمنها للتوبة والابتهالات والاعتراف بالخطيئة التي اقترفوها، كما تكون صلاتهم أحياناً بالدعاء والتمجيد والطلبات، وإليك بعض المواقف التي صلوا لأجلها:

^{٣٩٠} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٤٥٣.

^{٣٩١} - القضاة، أديان وفرق، المرجع السابق، ص ٥١.

^{٣٩٢} - علي، اليهودية واليهودية المسيحية، المرجع السابق، ص ٧٢.

^{٣٩٣} - المرجع نفسه، ص ٧٢.

١- طلب المغفرة والتوبة بسبب عبادة الشعب الأوثان، من العجل الذهبي وتمردهم على سيدنا موسى -عليه السلام-^(٣٩٤)، وما نصه العهد القديم في ذلك هو: "بابتهاال موسى إلى الرب وقال "لماذا يحتدم غضبك على شعبك الذي أخرجته من ديار مصر بقوة عظيمة... ارجع عن حمو غضبك ولا توقع هذا العقاب بشعبك"^(٣٩٥)، ونلاحظ أن هذه العبارة تشير إلى أن الذي قام بهذه الصلاة هو سيدنا موسى -عليه السلام-، وذلك لما كان في الجبل وأطلعته الله العليم ما صنعه الشعب، إلا أنه لا يستبعد أن يكون بعض بني إسرائيل قد ابتهلوا بعد أن بين لهم سيدنا موسى -عليه السلام- عن عظمة خطيئتهم وخاصة عند تجديد العهد^(٣٩٦).

٢- يصلون من أجل شعورهم بوجود الله تعالى معهم على الدوام في رحلتهم الطويلة^(٣٩٧)، وقد جاء ذكر معية الله معهم في العهد القديم حيث يقول: "وقال موسى للرب ها أنت قد قلت لي قُد هذا الشعب ولكن لم تعلمني من سترسل معي... فأرشدني إلى طريقك لكي أسلك حسب قصدك... فأجابه إن حضوري يرافقكم فأريحك، فقال موسى إن لم ترافقنا بحضورك، فلا تصعدنا من هنا، كيف يدرك أنني وشعبك قد حظينا برضاك؟، أليس بمرافقتك لنا فنتميز أنا وشعبك بذلك عن جميع الشعوب الساكنين في الأرض فأجاب الرب لموسى: سأفعل عَيْنَ هذا الأمر الذي التمست لأنك حظيت برضاي وأنا عرفتك باسمك"^(٣٩٨)، ونلاحظ أنه من قرأ سفر التكوين يجد أن الله -تعالى- هو خالق جميع الناس، وأنه رب جميع الشعوب، وفي النصوص الأخر أن الله -سبحانه وتعالى- أختار شعباً دون شعب، كما نجد فيه كثرة تدمير هذا الشعب على قائدهم في أكثر من موقف، هو ذلك شعب الله المختار.

٣- ومن صلواتهم أيضاً "عند ارتحال التابوت وعند حلوله"، وقد جاء ذكر ذلك في العهد القديم فيقول: "وكان موسى يقول عند ارتحال التابوت "قم يا رب وبيد أعدائك... وكان يقول عند حلوله: "ارجع يا رب إلى عشرات ألوف إسرائيل"^(٣٩٩)، ومن المعلوم أن على الشعب أن يمتثلوا كل ما يعملها القائد، ولذا يمكن الفهم، أن هذه الصلوات، لجميع بني إسرائيل، وإن كانت ذكرت بصيغة المفرد إلا أنها عامة لبني إسرائيل.

وقد أصبحت الصلاة في أوقات معينة عند بني إسرائيل، فيما بعد، وهي صلاة الفجر وصلاة الظهر والصلاة في المساء، ووقت صلاة الفجر من الفجر حتى نهاية الثلث الأول من

^{٣٩٤} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

^{٣٩٥} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ١١-١٢.

^{٣٩٦} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٣، وانظر سفر التثنية، الإصحاح: ٩: ٢٦.

^{٣٩٧} - عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

^{٣٩٨} - المرجع نفسه، ص ٥٥٠.

^{٣٩٩} - سفر العدد، الإصحاح: ١٠: ٣٥-٣٦.

النهار، ووقت صلاة الظهر من منتصف النهار وحتى قبيل غروب الشمس، وأما الصلوات الليلية فتبدأ مع بدء الظلام وحتى الفجر، وأقدس هذه الصلوات عند بني إسرائيل هي صلاة الصبح، حتى لا يجوز تناول الطعام وأداء الأعمال قبلها، وتؤدى بلبس الطليب والتقليين^(٤٠٠)، ومن مظاهر الصلاة، التقبيلة، ويعرف حالياً بالأميدا أي الوقوف قياماً، -وهو افتتاح الصلاة-، ويتضمن مع (١٩) تسبيحة، ويسبق صلاتي الصبح والمغرب، وفيها يقررون شهادة الإيمان، وتختتم الصلوات اليومية الثلاثة بالأدعية والمناجاة والابتهال والتوسل بالخالص من المعاناة النفسية، ويجب أن يؤدي هذه الصلوات جماعة، ما لا يقل عدد المصلين عن عشر من الذكور البالغين، وكما يجوز أداؤها منفرداً، ويقرؤون في الصلوات قراءة جماعية، نصوص الكتاب المقدس^(٤٠١)، ومن أهم ما تكونه هذه الطقوس، ما يعرف بالشماخ وهو جزء من الصلاة وجزء من الافتتاح، وقد في العهد القديم: "اسمعوا بني إسرائيل الرب إلها رب واحد فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم وضعوا هذه الكلمات التي أوصيكم بها على قلوبكم وقصوها على أولادكم وتحدثوا بها حين تجلسون وحين تسيرون في الطريق، وحين تتامون وحين تنهضون"^(٤٠٢)، ومن الجدير بالذكر، أن أهمية الصلوات عند بني إسرائيل، هي أن الصلاة، لكي تكون مسموعة لدى الله -عز وجل- يجب "ألا تأتي فقط من روح صادقة صالحة؛ بل أن يكون من يقدمها جديراً بالحصول على جواب"^(٤٠٣).

وثمة شيء آخر يتعلق بشريعة الطهارة عند بني إسرائيل، وهو ذبيحة البقرة الحمراء أو العجلة^(٤٠٤)، وهي من متطلبات شريعتهم، أمرهم الله -تعالى- بها، وقد اختلفت النصوص الواردة في هذه البقرة مما أدى إلى الغموض والاضطراب لهذه الشرائع في البقرة التي يعظمها بنو إسرائيل، وفي سفر العدد نجد النص يشير إلى الطهارة من النجاسة، حيث يقول: "قل لبني إسرائيل أن يأتوك ببقرة حمراء سليمة خالية من كل عيب لم يعلها نير، فتعطونها لأعازار الكاهن، ليأخذها إلى خارج المخيم وتذبح أمامه ويغمس الكاهن إصبعه بدمها ويرش منه نحو وجه خيمة الاجتماع سبع مرات..."^(٤٠٥)، وجاء في النص الآخر يختلف مضمونه تماماً عن النص السابق، وهو أيضاً لذبح البقرة ولكن تشريعه تبرئة لبني إسرائيل من جريمة القتل، إذا حدث فيهم القتل، وطلب المغفرة من الرب، وإليك ذلك النص: "إذا وجدتم قتيلاً ملقى في الحقل في الأرض التي يهبها الرب إلهكم لكم لا ممتلكها ولم يعرف قاتله يقوم شيوخكم... فيحضر شيوخ أقرب مدينة إلى الجثة عجلة... فيكسر

^{٤٠٠} - فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، المرجع السابق، ص ١٤٣٣

^{٤٠١} - المرجع نفسه، ص ١٣٣.

^{٤٠٢} - سفر التثنية، الإصحاح: ٦: ٤-٩.

^{٤٠٣} - كوهن، التلمود، المصدر السابق، ص ١٤٠

^{٤٠٤} - في القرآن الكريم، يشير إلى مشهد البعث، بالمفهوم الآخر، وهو أن الله تعالى، يريد أن يريهم مشهد البعث، وهم أحياء، فسأقي الإيضاح عنه، أكثر، في مكانه إن شاء الله عز وجل.

^{٤٠٥} - سفر العدد، الإصحاح: ١٩: ٢-١

عق العجلة في الوادي... فيغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من الجثة أيديهم فوق العجلة المكسورة العنق في الوادي ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تشهده اغفر يا رب لشعبك إسرائيل... وهكذا تبرؤون من سفك الدم البريء في وسطكم" (٤٠٦)، وعلى أية حال فجميع هذه الرواية، وإن اختلفت ومفادها في أمر البقرة، تشير إلى التشريع الخاص بالنجاسة والطهارة، والتبرئة من جريمة القتل إذا حدث في أوساط بني إسرائيل والتكفير عن تلك الجريمة (٤٠٧).

ونلاحظ أن هذه البقرة تتفق مع العجل الذهبي الذي عبده بعض بني إسرائيل من حيث شدة تعلق بعض بني إسرائيل بالأجسام الملموسة التي اعتادوا عليها عند إقامتهم في مصر حيث عبد بعضهم الآلهة المصرية التي اتخذها المصريون من البقر والعجل وغيرها آلهة لهم، كما أشرت إلى ذلك سابقاً، و من خلال هذه الأجسام يستعطون تصور الفكرة الإلهوية وقدرة الله على كل شيء.

٤٠٦ - سفر التثنية، الإصحاح: ٢١: ١-٩.

٤٠٧ - أحمد الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، د.س، ص١٩٦، وانظر، فرانسيس، تفسير الكتاب المقدس، المرجع السابق، ج١، ص ٤٥٥ وواقي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، المرجع السابق، ص ٤٤.

المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية والنفسية للخروج في العهد القديم:

خلق الله - عزوجل - الإنسان في أحسن صورة ورزقه العقل الذي ميزه عن سائر المخلوقات، ليحكم أعماله السلوكية وغير السلوكية بالمنطق العقلي، فيكون شخصيته بمقتضى العقل وتحت قيادة الدين، ويساعده في السيطرة على نفسه ما يعتري عليها في سنة الحياة المتقلبة فينال ذلك الإنسان رضى خالقه، ويقدر أخلاقه وأعماله إن حظي بأخلاق الدين الإسلامي السليم من الشوائب، وعلى هذا التمهيد القصير، أعرض تعريف العلماء للأخلاق بشكل عام على أنها: مجموعة من العبادات والقيم والأفعال المعينة والسلوك الثابتة يتحلى بها الإنسان في حياته اليومية^(٤٠٨).

فمضمون الأخلاق موضوعي يعرب عن طابع العلاقات بين الإنسان وغيره من التفاعلات المختلفة^(٤٠٩)، وهناك ارتباط بين الأخلاق والنزعات النفسية، فالموضوعات التي تتعلق بالسلوك تؤدي حتماً إلى التساؤل عن حالات معينة لعقل الفرد، إذ لا يمكن الحكم على فعل ما، بالصلاح والحسن أو بالفساد من الوجهة الأخلاقية إلا بتقصي خصائص النية، والقصد، والدافع، والنزعة، والأسس التي تشكل هذا الفعل^(٤١٠)، لكي نحكم على أن هذا الفعل أخلاقي يفترض وجود العقيدة التي تقدم جوهر الوعي الديني ومضامينه وهدفه وعلى هذا الوعي الديني تقدم الأخلاق كقوة تحدد الإرادة الإنسانية^(٤١١). وعلى هذا فإن الانطباع الذي نلاحظه، هو أن خروج بني إسرائيل من مصر ترتبت عليه عدد من الآثار الأخلاقية والنفسية.

أولاً- الآثار الأخلاقية:

تعتبر الوصايا العشر الإلهية وغيرها من القيم الأخلاقية الواردة في العهد القديم من الالتزامات الأخلاقية لبني إسرائيل فقد أمروا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، وأن لا يسجدوا لصنم. كما جاء ذلك في العهد القديم وهذه الوصايا العشر تحتل مكانة أساسية في التعاليم الأخلاقية والتشريعات وحقوق الإنسان.

كما أن لهذه التعاليم الأخلاقية لها جذورها في الوعي الأخلاقي للبشرية وصالحة لتطبيقها في كل الأزمنة ولكل فرد، إلا أن هذه التعاليم الأخلاقية والتشريعات الحياتية وحماية حقوق

^{٤٠٨} - أبو بكر إبراهيم التلوع، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، د.ط. س.ص ١٧. وانظر: حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٢٨.

^{٤٠٩} - تيتارنيكو ألكسندر، علم الأخلاق، دار التقدم، موسكو، د.ط. ١٩٩٠، ص ٤٢. وانظر: التلوع، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، المرجع السابق، ص ١٩.

^{٤١٠} - حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٢٩.

^{٤١١} - المرجع نفسه، ص ٣٣١.

الناس^(٤١٢) هل خرقت أم لم تخرق؟، وهل التزمها بنو إسرائيل في رحلتهم الطويلة وعلى الأجواء المتقلبة؟، وهل ظهرت فيهم الآثار الوثنية المصرية التي انطبعت في قلوبهم عند إقامتهم في مصر؟ هذا ما سأحدث عنه إن شاء الله - عز وجل -، فإن بني إسرائيل اعتبروا أن تنفيذ تلك الوصايا العشر مقصور عليهم فـ "يهوه" يغلب عليه سمات الإله القوي لبني إسرائيل، ومن جهة أخرى، نجد أن بني إسرائيل قد خرقوا التعاليم الأخلاقية التي جاءت في العهد القديم^(٤١٣). ولكن ما يحير القارئ في العهد القديم ما يجد فيه المواقف المتباينة في حق "يهوه" فهو تارة إله واحد لا شريك له في العبادة كما جاء ذلك في سفر الخروج: "لا يكن لك آلهة أخرى سواي"^(٤١٤)، وفي النص الآخر: "إياك أن تصنع آلهة مسبوكة"^(٤١٥). ولكن هذا الإله تارة أخرى إله بين الآلهة ومرة أخرى هو جزء من الكون المادي ومرة أخرى هو كائن روحي أحياناً، له شبيهه أو ظاهر كل شيء في السموات ومن فوق وعلى الأرض ومن تحت الأرض وفي الأشجار والجبال وفي البشر والحيوانات، أو أنه لا يمكن تشبيهه مطلقاً بأي صورة محدودة مهما كانت، وقد يكون إلهاً خاصاً لشعب الله المختار أو إلهاً لأسرة معينة من البشر أو بأمة من الأمم^(٤١٦). "وهو إله تابوت العهد وإله الرؤيا والإعلان وإله الفداء"^(٤١٧).

وهذا كله يعني أن التراث الديني الوثني المصري والأخلاقي ترك أصداء عميقة في سلوك بعض بني إسرائيل؛ لوصفهم (يهوه) بصفات غير أخلاقية تتنافى بصفة الوجدانية وفكرة التوحيد^(٤١٨).

واليك بعض نصوص العهد القديم التي تشير إلى تعدد الآلهة: "لأنه أي شعب مهما عظم له آلهة قريبة منه مثل الرب إلهنا في كل ما ندعوه..."^(٤١٩)، هذا النص يشير إلى أن لبني إسرائيل إله وللشعوب الأخرى آلهة وما يزيد تأكيداً أن لبني إسرائيل إله خاص لهم ما جاء في سفر صموئيل الثاني فيقول: "... حقاً إن رب الجنود هو إله على إسرائيل ... لأنك أنت أيها القدير إله إسرائيل..."^(٤٢٠)، وهذا السفر إن كان الكلام لسيدنا داود -عليه السلام-، إلا أنه من المعروف أن العهد القديم نزل جملة واحدة، ولا أدري كيف يمكن الجمع بين هذه النصوص حتى تزيل الغموض

^{٤١٢} - المرجع نفسه، ص ٣٣٧.

^{٤١٣} - حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٣٧.

^{٤١٤} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٠: ٣.

^{٤١٥} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٤: ١٧.

^{٤١٦} - حبيب، دائرة المعارف الكتابية، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٧٤، نقلاً عن كيرد، في تطور الديانات، ج ١، ص ٦٢.

^{٤١٧} - عبدا الملك، قاموس الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٠٧.

^{٤١٨} - المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المرجع السابق، ص ٢٢.

^{٤١٩} - سفر التثنية، الإصحاح: ٤: ٧.

^{٤٢٠} - سفر صموئيل الثاني، الإصحاح: ٧: ٢٦-٢٧.

عنها؟! حيث جاء الحديث عن سيدنا داود -عليه السلام- الذي جاء بعد سيدنا موسى -عليه السلام- بسنوات.

ومن أخلاقيات العهد القديم تجسيد (يهوه) على صورة الإنسان حتى يتمكن من مصارعة سيدنا يعقوب عليه السلام، وفي هذه المصارعة انزع فخذ الرب: "... وبقي وحده صارعه إنسان حتى مطلع الفجر..."^(٤٢١)، ومن الآثار الأخلاقية لبني إسرائيل موزعة بين الخير والشر في حق (الوهيم) فهو إذ يأمر بمكارم الأخلاق فإنه ينأى بسلوكه عن القواعد التي اشتريها للآخرين، ويتعامل معهم بأخلاق غير مفهومة وغامضة، فهو بعد أن خلق الناس بدؤوا يتكاثرون على الأرض وهذا التكاثر يشكل خطورة كبيرة على (الوهيم)، بأن يتحدوا ضده ولذا فرقهم إلى جماعات وشعوب مختلفة يتكلمون بلغات مختلفة حتى لا يستطيعوا المؤامرات ضد (يهوه)^(٤٢٢). وفي ذلك يذكر العهد القديم: "وكان أهل الأرض جميعاً يتكلمون أولاً بلسان واحد ولغة واحدة... إن كانوا كشعب واحد ينطقون بلغة واحدة قد عملوا هذا منذ أول الأمر فلن يمتنع إذاً عليهم أي شيء عزموا على فعله هيا نزل إليهم ونبلبلسانهم حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض"^(٤٢٣). فهو يأخذ البريء بجريمة المذنب وينتقم من الآباء في أبنائهم الجيل بعد الجيل وهذا السلوك يتناقض مع القاعدة التي شرعها في نص سفر التثنية والتي تمنع أخذ الابن بإثم أبيه، وفي ذلك نجد سفر الخروج يقول: "لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك إله غير أفتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي"^(٤٢٤)، وفي نص سفر التثنية مفاده: "لا يُقتل الآباء عوضاً عن الأبناء ولا يقتل الأبناء بدلاً من الآباء فكل إنسان يتحمل وزر نفسه"^(٤٢٥).

وقد يكون سبب التناقض هو تباين موضع الحكم ففي سفر التكوين كان في موضوع العقيدة وموضوع سفر التثنية في القصص، ولكن عبارة "فكل إنسان يتحمل وزر نفسه" يستحيل التخصيص، فيبقى القانون على العموم، ومن هذا المفهوم التعميمي حصل بين النصين التناقض^(٤٢٦).

ومن هذه الأخلاقيات التوراتية الكثيرة، تدمير (يهوه) مدينتي سدوم وعمورة، أمام سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي كان يذكر (يهوه) بالقواعد الأخلاقية بألا يهدمهما^(٤٢٧)، وغيرها من الأخلاقية التوراتية في حق (يهوه).

^{٤٢١} - سفر التكوين، الإصحاح: ٣٢: ٢٤-٢٩.

^{٤٢٢} - السواح، الأسطورة والمعنى، المرجع السابق، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

^{٤٢٣} - سفر الخروج، الإصحاح: ١١: ١-٧.

^{٤٢٤} - سفر الخروج، الإصحاح: ٢٠: ٥.

^{٤٢٥} - سفر التثنية، الإصحاح: ٢٤: ١٦.

^{٤٢٦} - السواح، الأسطورة والمعنى، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

^{٤٢٧} - سفر التكوين، الإصحاح: ١٨: ١-٣٣.

ومن الآثار الأخلاقية لبني إسرائيل هي تلك التي تتعلق في حق النبيين، سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- فهناك كثير من المواقف ظهرت فيها المعايير الأخلاقية من بني إسرائيل لا تجوز في حق الأنبياء -عليهم السلام- ولا تنسجم مع المبادئ والقيم الدينية، ومن هذه المواقف:

١- يعتبر العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- أعظم قائد في تاريخ بني إسرائيل وهو أفضل أنبيائهم وهو مشرع لهم، إلا أنه مع هذا كله نجد في بعض النصوص التوراتية ما لا يجوز أن يكون في حق النبي المرسل. فنص العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- عصى ربه ولذلك مُنع من دخول الأرض الموعودة، وأنه لم يميز على الدوام مواهب الآخرين من بني إسرائيل ولم يستخدمها في قيادته لهم^(٤٢٨). ومن النصوص التوراتية التي تشير إلى الآثار الأخلاقية في حق سيدنا موسى -عليه السلام- ما ذكره العهد القديم: "فلما سمع موسى بكاء جميع أفراد الشعب كل أمام باب خيمته ورأى احتدام غضب الرب الشديد اعتراه الاستياء فقال موسى للرب: لماذا أسأت إلى عبدك ولم ترض عنه..."^(٤٢٩)، فالنبي يقول لله -عز وجل- أسأت؟!، وقد جاء ذكر عدم تقدير سيدنا موسى -عليه السلام- لربه في العهد القديم حيث يقول: "فقال حمو موسى: إن ما تفعله ليس بالأمر الصائب إذ لا بد للكَلِّ أن يعتريك أنت وكل هذا الشعب..."^(٤٣٠).

ومن آثار الأخلاق التي ظهرت في أوساط بني إسرائيل، في حق سيدنا موسى -عليه السلام-، معارضته بعضهم، لما أمرهم بدخول الأرض الموعودة فرفضوا الدخول فقالوا: "لا نقدر أن نقاوم سكانها لأنهم أقوى منا"^(٤٣١). ومن الآثار الأخلاقية، التمرد على سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- حيث قالوا: "ليتنا متنا في ديار مصر أو ليتنا متنا في الصحراء، لماذا أحضرتنا الرب إلى هذه الأرض لنهلك بحد السيف"^(٤٣٢).

٢- وأما سيدنا هارون -عليه السلام- فكان الناطق بلسان سيدنا موسى -عليه السلام- وهو أول رئيس كهنة من الله لبني إسرائيل، وهو القائد الثاني لبني إسرائيل، ومع ذلك فنرى العهد القديم ينسب أموراً إلى سيدنا هارون -عليه السلام- لا تليق في حق الرسل فيذكر العهد القديم بأن سيدنا هارون -عليه السلام- بسبب شخصيته اللينة استسلم لمطالب الشعب فصنع العجل

^{٤٢٨} - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٦٥.

^{٤٢٩} - سفر العدد، الإصحاح: ١١: ١٠-١١.

^{٤٣٠} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٨: ١٧-٢٣.

^{٤٣١} - سفر العدد، الإصحاح: ١٣: ٣١.

^{٤٣٢} - سفر العدد، الإصحاح: ١٤: ١-٣.

الذهبي^(٤٣٣)، فهو أيضاً حسب رواية العهد القديم انضم إلى سيدنا موسى -عليه السلام- في عصيان أوامر الله فيما يختص بالصخرة التي أخرجت الماء^(٤٣٤). وقد جاء في العهد القديم أن العجل الذهبي من صنع سيدنا هارون -عليه السلام-، فيقول: "فأجابهم هارون"انزعوا أقراط الذهب... فأخذها منهم وصهرها وصاغ عجلاً..."^(٤٣٥).

ثانياً- الآثار النفسية:

سبق أن تحدثت عن أحوال بني إسرائيل في مصر - أعني، الزمن المتأخر- كيف كانوا يعيشون تحت ضغوط الاستعباد والاستبداد والاضطهاد فضاقت بهم الأرض، فعاشوا في تلك الفترة حياة مضطربة، ونفسية غير مطمئنة لشعورهم بتمزق الأمن. فخلصهم الله -عز وجل- من هذه الأجواء غير الهادئة، فكان ذلك الخلاص فرحاً كبيراً لهم، إذ رفع الله -عز وجل- معنويتهم النفسية باجتيازهم البحر ناجين من فرعون وجنوده، وقد شاهدوا إغراق فرعون وجنوده، وتيقنوا قدرة الله -عز وجل- في كل شيء. كما أحسوا أن أحوالهم قد تحولت عما كانت وأنهم بدؤوا تاريخاً جديداً، وأن لا خوف عليهم ولا يحزنون، فاحتفلوا تعبيراً لمشاعرهم النفسية القوية المطمئنة المرضية لحكمة الله -عز وجل- بنجاتهم^(٤٣٦). وفي هذا المشهد كانت قلوب بني إسرائيل متعلقة بالله -عز وجل- تعلقاً وثيقاً ما زادهم قوة الثقة بأنفسهم في التغلب على مصاعب الحياة وتجاوز صعوباتها وأقطارها، ولكن الأمر ليس مجرد الخلاص من الاستبداد والعبودية بمقدار ما أراد الله -سبحانه وتعالى- لهم، فالأمر يكمن أساساً في وعيهم فكرة الألوهية وحقيقة الدين الذي هو مصدر سعادة النفس واطمئنانها.

ولهذا، فما مضت بضعة أشهر من تاريخ خروج بني إسرائيل حتى بدأت أحوالهم تتغير في البيئة الغريبة بالنسبة لهم، وفي هذه الأجواء الصحراوية بدأت الصدمات النفسية المبكرة والاضطرابات السلوكية والحيرة لمستقبل بني إسرائيل فلم يعد بعضهم يعتمد على أنفسهم وخاصة عند غياب سيدنا موسى -عليه السلام-.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن أن يُلاحظ الآثار النفسية التي ظهرت في أوساط بني إسرائيل، ومن هذه الآثار ما يأتي:

١- قلة الثقة بالنفس والاعتماد عليها:

^{٤٣٣}- كثير من الأنبياء عليهم السلام لم يستطيعوا أن يمنعوا قومهم عن العصيان، وكذلك سيدنا هارون -عليه السلام- في ذلك المشهد، وليس هو الذي صنع العجل،

وسأبين ذلك إن شاء الله عز وجل في مكانه.

^{٤٣٤}- بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٩٥.

^{٤٣٥}- سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ٢-٤.

^{٤٣٦}- سفر الخروج، الإصحاح:

وسببها ميل قلوب بعضهم إلى المعتقدات المصرية الوثنية وتعلقهم بها، ولم يتضح لهم التصور لله - عز وجل -، فيتوكلوا عليه فهم "ما زالوا يريدون الآلهة المألوفة التي يستطيعون أن يروها وأن يشكلوها على الصورة التي يرغبون فيها"^(٤٣٧). لذا طلبوا من سيدنا هارون - عليه السلام، حسب رواية العهد القديم - أن يصنع لهم إلهاً لأنهم لا يدرون ماذا أصاب سيدنا موسى - عليه السلام - القائد، - لأنه إله لهم - فيجب أن يكون معهم دائماً^(٤٣٨)، ومن أسباب قلة ثقتهم بأنفسهم فقدانهم التصور أن الله رب العالمين أخرجهم من مصر إلى البرية ليعبدوه وحده لا شريك له، إلى أن نفوسهم تعلقت بالحياة المصرية المتأصلة في قلوبهم، إذ أنهم اعتادوا في مصر أن يكون أمام قدور اللحم، وفي ذلك يذكر العهد القديم فيقول: "ليت الرب أماتنا في أرض مصر، فهناك كنا نجلس حول قدور اللحم نأكل خبزاً حتى الشبع، وما أنتم قد أخرجتانا إلى هذه الصحراء لتميتنا كل هذه الجماعة جوعاً"^(٤٣٩).

٢- الأمل بالأرض الموعودة:

وهذه الظاهرة واضحة في العهد القديم في بني إسرائيل فهم قد أفرطوا في تعلقهم بالأرض الموعودة، فلم يستطيعوا السيطرة على أنفسهم، وربما بلغ تعلقهم بالأرض الموعودة أكثر من تعلق قلوبهم بالله خالقهم بالدرجة الأولى قبل كل شيء، وتكاد الإصحاحات لا تخلو من ذكر الأرض الموعودة ومن هذه النصوص: "وقد أبرمت معهم أيضاً ميثاقاً بأن أهدبهم أرض كنعان حيث أقاموا فيها كغرباء"^(٤٤٠)، وفي المقطع الآخر أيضاً جاء فيه: "وأقودكم إلى الأرض التي أقسمت أن أهبها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأعطيها لكم ملكاً"^(٤٤١). ومما جاء فيه أيضاً: "أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من ديار مصر ليهبكم أرض كنعان فيكون لكم إلهاً"^(٤٤٢). وكان الله - عز وجل - لم يكن لهم إله إلا بعد أن يخرجهم من مصر إلى كنعان وعندها يكون لهم إله، ومن هذه النصوص أيضاً: "فأرسل جواسيس إلى أرض كنعان التي أنا واهبها لبني إسرائيل"^(٤٤٣). ومن هذه النصوص أيضاً: "هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب أنني سأهبها لذريتهم"^(٤٤٤).

٣- كثرة تذرهم وتمردهم على سيدنا موسى - عليه السلام - . فقد تذرهم من إبطاء سيدنا موسى - عليه السلام - بالنزول من الجبل، فطلبوا من سيدنا هارون - عليه السلام، حسب رواية العهد القديم - أن يصنع لهم إلهاً يسير أمامهم، وتذرهم أيضاً لما جاء خبر مجيء العمالقة

^{٤٣٧} - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٣٢.

^{٤٣٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ٣٢: ١-٦.

^{٤٣٩} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٦: ٣.

^{٤٤٠} - سفر الخروج، الإصحاح: ٦: ٤.

^{٤٤١} - سفر الخروج، الإصحاح: ٦: ٨.

^{٤٤٢} - سفر اللاويين، الإصحاح: ٢٥: ٣٨.

^{٤٤٣} - سفر العدد، الإصحاح: ١٣: ٢.

^{٤٤٤} - سفر التثنية، الإصحاح: ٣٤: ٤.

لمحاربتهم، وتكرر هذا التذمر في مختلف المواقف مع الرب أحياناً ومع سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- أحياناً^(٤٤٥).

ومن النصوص التي تذكر هذا التذمر، ماجاء في العهد القديم حيث يقول: "ولما اقترب فرعون ونظر بنو إسرائيل وإذا بالمصريين يندفعون نحوهم فارتعبوا واستغاثوا بالرب ثم قالوا لموسى: هل لافتقار مصر للقبور أخرجتنا إلى الصحراء لنموت فيها؟"^(٤٤٦). ومن هذه النصوص أيضاً: "وهناك في الصحراء تذمر بنو إسرائيل على موسى وهارون وقالوا لهما: ليت الرب أماتنا في أرض مصر"^(٤٤٧). ومنها أيضاً: "فتخاصم الشعب مع موسى قائلين: أعطونا ماءً لنشرب"^(٤٤٨).

و خلاصة القول من هذا التذمر: أن بني إسرائيل حسبوا أن الحياة أيسر في وسط الضغوط الراهنة، وفكروا بأسرع طريق للنجاة، فلم يقاوموا أنفسهم ولم يتوكلوا على قوة الله الحكيم لمعاناتهم، فبدلاً من أن يصلوا ويطلبوا العون من الله -عز وجل- تذمروا كرد فعل للضغوط النفسية، ولم يكونوا مع الله -عز وجل- بسبب ضعف الإيمان، ومع كثرة ذكر العهد القديم معية الله -عز وجل- مع بني إسرائيل في رحلتهم^(٤٤٩).

٤- كثرة البكاء تعبيراً عن الحزن والخوف:

فيذكر العهد القديم على ذلك فيقول: "... فعاد بنو إسرائيل ليكون قائلين: من يطعمنا لحمًا..."^(٤٥٠) وظاهر هذا البكاء هو عدم الرضى، والتمرد على ما أعطاهم الله من الرزق، ولم يدركوا ما كان الله -عز وجل- يفعله لأجلهم. لقد حررهم ويريد أن يجعل منهم أمة، حسب رواية العهد القديم، ويعطيهم أرضاً جديدة^(٤٥١)، ويبدو أن سبب هذا كله غياب الإيمان بالله -عز وجل- في قلوب بعض بني إسرائيل، فقوة العقيدة تشكل في النفس دافعاً قوياً يعمق ثقة الإنسان بنفسه.

^{٤٤٥} - ربيع الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، المرجع السابق، ص ٩٠.

^{٤٤٦} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٤: ١٠-١١.

^{٤٤٧} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٦: ٢-٣.

^{٤٤٨} - سفر الخروج، الإصحاح: ١٧: ٢. وانظر سفر العدد، الإصحاح: ١١: ٩-٤. والإصحاح: ١٦: ٤١. والإصحاح: ١٨: ١٣.

^{٤٤٩} - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ١٦٤، ١٦٧، ٢٩٤.

^{٤٥٠} - سفر العدد، الإصحاح: ١١: ٤-٦.

^{٤٥١} - بارتون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

الفصل الثاني:

خروج بني إسرائيل من مصر في القرآن الكريم:

المبحث الأول: أسباب الخروج في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج في القرآن الكريم.

المبحث الأول:
أسباب الخروج في القرآن الكريم:

- المطلب الأول: السبب الديني للخروج في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في القرآن الكريم.

المطلب الأول: السبب الديني للخروج في القران الكريم:

الدين دافع فطري يجده الإنسان في أعماق ذاته، فهو مبنوث فيها منذ بدء الخلق^(٤٥٢)، وفي هذا يقول الله- سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾^(٤٥٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه...^(٤٥٤).

فالإنسان يتمتع بقدرات عقلية يميز بها بين الخير والشر، والحسن والقبيح وتتيح له فرصة التأمل في الكون والنفس، الذي يرشده إلى ما يطمئن إليه، بعقله يجد الأدلة على توحيد الله - تعالى- وعظمته وعلى الرغم من ذلك، فالإنسان ليس له القدرة على رسم التصورات العليا، والمنهج السليم الذي يشبع هذا الدافع لعدم إدراكه أسرار المسائل المتعلقة به من فعالياته الحياتية، وكان هذا هو سبب إرسال الرسل -عليهم السلام- لهداية البشرية على منهج الله -عز وجل- السليم^(٤٥٥)، فضلا عن المسائل التعبدية، ولذلك لا بد ممن يرسم له هذه التصورات العليا، والمنهج السليم، ممن يملك القدرة على إدراك أبعادها، وكان الوحي ضروريا لهداية الفطرة ولقيادة العقل وإرشاده^(٤٥٦)، وعلى هذا الضوء كان إرسال سيدنا موسى -عليه السلام- إلى فرعون وبني إسرائيل لهدايتهم، وإرجاع بني إسرائيل إلى دين أبيهم إبراهيم، وإسحاق ويعقوب -عليهم السلام-، وهو دين الإسلام الذي بعث الله به الأوليين والآخرين من الرسل من سيدنا آدم إلى آخرهم سيدنا محمد -عليهم السلام-، وهو الدين الذي لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً إلا إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين فمن خرج منه فإن الله -تعالى- غني عنه^(٤٥٧).

ولقد كانت البيئة المصرية تنفقر إلى هذه الحقيقة الدينية الربانية؟، حيث سيطرت الوثنية في مصر القديمة، ولم يكن تصور توحيد الألوهية واضحاً عند أغلب المصريين، فعندهم جملة من المعبودات المتباينة المنحوتة على شكل الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات، ولكل واحدة

^{٤٥٢} - عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القران الكريم، د. د. م. ط ٢، ١٤١٣م - ١٩٩٣م، ص ٢٧٩، وانظر زيدان عبد الفتاح قعدان، مدينة الله في الأرض دار البشير عمان، ط ١، ١٤١٩م - ١٩٩٨م، ص ١٨.

^{٤٥٣} - سورة الروم، الآية ٣٠.

^{٤٥٤} - البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب: الله اعلم بما كانوا عاملين، رقم الحديث (٦٥٩٩)، المصدر السابق، ص ٧٧٠، وانظر، مسلم صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٦٧٥٥) المصدر السابق، ص ١١٥٧، وانظر، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي، (ت ٢٠٩ - ٢٧٩هـ) جامع الترمذي ضبطه، الألباني، بيت الأفكار الدولية، للنشر والتوزيع، الرياض، د. ط. د. س، كتاب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٢١٣٨) ص ٣٥٦.

^{٤٥٥} - سيد قطب في ظلال القران، دار الشروق، القاهرة، مج ٣، ص ١٥٥، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص ١٣٦٤، وانظر المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، المرجع السابق، ص ٢٨١.

^{٤٥٦} - محمد بن عمر، فخر الدين الرازي (ت ٥٤٤-٦٠٦م)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقدم، خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١١، ص ١١١-١١٤، وانظر، المطرودي الإنسان وجوده وخلافته المرجع السابق ص ٢٨١.

^{٤٥٧} - احمد بن عبد الحليم أبو العباس، ابن تيمية، (ت ٦٥١-٧٢٨م) العبودية، تعليق محمد بن سعيد بن رسلان أبو عبد الله، دار الإيمان الإسكندرية، د، ط، س، ص ١٦١.

وظيفة خاصة ترجع إلى الصفات العلية، ومن معبوداتهم (أمون) وهو إله الذي ينبعث منه كل شيء ويعطي النور أي فعل، كما يعطي القوة لإدراك الأشياء الخفية، ومنها (فتاح) وهو الذي أتقن فعل كل شيء ومنها (أوزير) وهو الإله الرحيم فاعل الخير^(٤٥٨)، وبسبب كثرة أماكن العبادات في مصر وخاصة في أيام رمسيس الثاني، تذكر المصادر أنه "قد يكون من الصعوبة أن يحصر المرء جميع الأعمال والمباني التي أمر رمسيس الثاني بنشيدتها من معابد وتمائيل..."^(٤٥٩).

ومن هذه المعابد معبد (ست الأول) فقد أعده رمسيس الثاني ليكون مكان تقديس لجده (رمسيس الأول) وهو الإله الطيب ورب الأرضيين^(٤٦٠)، ومعبد رمسيس الثاني بالعربة، فقد أقامه رمسيس الثاني ليناهض به معبد والده (ميتي الأول) فقد رفع بنيانه في تلك البقعة التي اعتبره مقدسة لوالده (أوزير) ولعبادته هو بوصفه إلهاً^(٤٦١)، وكانت هذه المعابد تحت إشراف الأمراء المعينين من قبل رمسيس الثاني^(٤٦٢)، الذي اعتبر نفسه أنه إله يعبد، قال الله - تعالى -: ﴿قال أنا ربكم الأعلى﴾^(٤٦٣)، وقال أيضاً: ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾^(٤٦٤)، وقد وردت هاتان الآيتان في وصف مواجهة موسى - عليه السلام - مع فرعون الطاغية، فقد بنى المعابد ونصب فيها تمثاله ودعا إلى عبادته باعتباره هو رب مصر الأعلى، وهذا قبل مجيء سيدنا موسى - عليه السلام - بالرسالة، ومن جهة أخرى، أن فرعون إذ يخبر حاشيته بأنه إله مصر إنما يخبرهم ليَجبروا المصريين على عبادته ومنهم بنو إسرائيل الذين لم يعترفوا بألوهية فرعون، إلا عن طريق الإكراه حتى لانت قلوبهم عبادة الأوثان واستقرت في أذهانهم، وفي هذه الأجواء المظلمة على الكفر، وعبادة فرعون ذي الأوتاد الطاغية، ولد سيدنا موسى - عليه السلام -، فخافت أمه عليه من فرعون وقتذاك الذي كان يذبح أبناء بني إسرائيل، فألهمها الله - عز وجل - أن ترضع طفلها فإذا خافت فلترميه في اليم، فوضعت الأم طفلها الرضيع في التابوت فألقته في اليم^(٤٦٥)، قال الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾^(٤٦٦)، وتذكر الآيات الكريمة، أن الذي التقط الطفل، هم آل

^{٤٥٨} - احمد أفندي نجيب كتاب الأثر الجليل لقدماء وادي النيل، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١، ١٤١١م - ١٩٩١م، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

^{٤٥٩} - مختار السويفي، مصر القديمة، دراسات في التار والآثار، تقدم، محمد جمال الدين مختار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٧١٤هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٧٤.

^{٤٦٠} - حسن، مصر القديم، المرجع السابق ج٦، ص ٣٦٩.

^{٤٦١} - المرجع نفسه، ج٦، ص ٣٧٠.

^{٤٦٢} - هنري تاريخ مصر، المرجع السابق ص ١٦٢.

^{٤٦٣} - سورة النازعات، الآية ٢٤.

^{٤٦٤} - سورة القصص، الآية ٣٨.

^{٤٦٥} - إسماعيل ابن كثير أبو الفداء (ت ٧٠١هـ - ٧٧٤هـ)، قصص الأنبياء، مراجعه، جمال دمشقي، دار الإسرائ، ومكتبة دنديس، عمان، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١٧٨.

^{٤٦٦} - سورة القصص، الآيات ٧ - ٩.

فرعون، دون تحديد بالضبط أهي امرأة فرعون أم ابنته أو غيرهما، أيا كان، فإن سيدنا موسى - عليه السلام - تربي في قصر فرعون بحكمة الله الفعال لما يريد، وجعل نور الإيمان في قلب امرأة فرعون، والتي استطاعت أن تقنع فرعون لإبقاء الطفل دون أن يقتله، ليكون قرّة عين لهم. وقد آمنت بدعوة سيدنا موسى - عليه السلام - فيما بعد، وأنزل الله - تعالى - في شأنها بقوله: ﴿وَضْرِبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤٦٧).

وقد تربي سيدنا موسى - عليه السلام - في القصر ومنه خرج إلى مدين لأسباب أمنية، وقضى فيها عدة سنوات^(٤٦٨)، وعند عودته إلى مصر تلقى وحي الله - عز وجل - فقد سمع نداء الله رب العالمين، وأحس أنه صادر من الشجرة المتلائة المباركة فلما اقترب إليها، أيقن أنه كلام الله - عز وجل -^(٤٦٩)، وكان ذلك في صحراء سيناء، هو وأهله، فاحتاجوا إلى نار ترشدهم وتبهرهم لهم الطريق، ويستدفئون بها من البرد^(٤٧٠) يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنست نارا لعلي آتاكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾^(٤٧١)، يقول الطبري: "كان هذا لما عاد موسى - عليه السلام - بأهله من مدين إلى مصر فضل الطريق في الليل فرأى ناراً من بعيد فقال لأهله: امكثوا أو انتظروا، لقد وجدت ناراً، فانتظروني حتى أعود من عندها"^(٤٧٢)، ويقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿هدى﴾، "أي قوماً يهدونني الطريق أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين عن مجاهد وقتادة؛ وذلك لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل..."^(٤٧٣)، فلما أتى سيدنا موسى عليه السلام النار ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا أخترك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري...﴾^(٤٧٤)، وقوله تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل

^{٤٦٧} - سورة التحريم، الآية ١١.

^{٤٦٨} - قال الله - تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾، وقال أيضاً: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾، سورة القصص، الآية ١٥، و٢١.

^{٤٦٩} - أحمد عبد الوهاب، دراسة في الأديان، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٦٣.

^{٤٧٠} - سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٣٩، و انظر، فرج الله عبد الباري، موسوعة العقيدة والأديان، اليهودية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ج ٥، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٦١.

^{٤٧١} - سورة طه، الآية ٩ - ١٠.

^{٤٧٢} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق ج ٥، ص ٢٧٤.

^{٤٧٣} - محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري، (ت ٤٦٧-٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، ترتيب وضبط، محمد عبد السلام ثاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٥٢.

^{٤٧٤} - سورة طه، الآيات ١١ - ٣٦.

لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون»^(٤٧٥)، هذه هي بداية إرسال سيدنا موسى -عليه السلام-، إلى فرعون وإلى بني إسرائيل الذين خرج بعضهم من دين آبائهم، ويرى أن ذلك كان في الوادي (طور سنين) الذي جعله الله -عز وجل- مقدساً ومطهراً^(٤٧٦) وفيه أعطاه الله -عز وجل- أيضاً، معجزة العصا واليد، وجعل سيدنا هارون عليه السلام معيناً له ووزيراً له^(٤٧٧)، وكان ذلك بطلب سيدنا موسى -عليه السلام- لأنه كان خائفاً من أن يقتله المصريون، وقال تعالى: **﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾**^(٤٧٨). وكان في قدرة الله القهار أن تنتهي مشكلة بني إسرائيل بكلمته كن فيكون، ولكنه تعالى يريد أن تسير الأمور سيرها الطبيعي في إطارها البشري وأن يطلق لكل إنسان حرية الاختيار، وفي النهاية يتم الحساب لكل ما عمله^(٤٧٩)، والمتأمل في الآيات السابقة يجد أن من أهداف سيدنا موسى -عليه السلام- في رجوعه إلى مصر دعوة فرعون وقومه إلى الإيمان بالله رب العالمين، والكف عن ادعاء الألوهية، الذي يدعيه فرعون^(٤٨٠)، وترك عبادة الأوثان التي ازدهرت في تلك الحقبة حتى أخذت أشكالاً ورموزاً، مختلفة، لذا كان جل تركيز الآيات في خطاب فرعون على التوحيد^(٤٨١)، وما أن وصل سيدنا موسى -عليه السلام- إلى أرض مصر، فأوحى الله -عز وجل- إلى أخيه سيدنا هارون -عليه السلام-، بأن يذهب هو وسيدنا موسى -عليه السلام- إلى فرعون الطاغية، ويدعوه إلى عبادة الله رب العالمين^(٤٨٢)، وأن يطلق معهما بني إسرائيل من عبوديته إلى حيث يريدون، خارج مصر حتى يجدوا حرية اختيار الدين الذي يريدونه دون إكراه^(٤٨٣)، قال الله -تعالى-: **﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾**^(٤٨٤)، وقد كان فرعون يعذب بني إسرائيل بشتى أنواع العذاب، ومن هذا العذاب إجبارهم على عبادته، ومنعهم عبادة الله -عز وجل- ولذا فإن أرض مصر مع وجود فرعون فيها غير مأمونة لعبادة الله وحده لا شريك له، وغير صالحة أيضاً، لإقامة حدود الله بسبب طغيان فرعون، وعلى هذا الأساس طلب سيدنا موسى -عليه السلام- من فرعون بإرسال بني إسرائيل معه إلى الأرض ليتمكنوا فيها من عبادة الله وحده لا

٤٧٥ - سورة القصص، الآية ٢٩ - ٣٥ .

٤٧٦ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١١، ص ١١٧ .

٤٧٧ - محمد سيد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، دار المعارف، م.د، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٤٠٣-٤٠٧، وانظر، يوسف، إسرائيل، البداية والنهاية،

المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦ .

٤٧٨ - سورة القصص، الآية ٣٥ .

٤٧٩ - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق ص ١٠٨ .

٤٨٠ - بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، المرجع السابق ص ٢٦٤ .

٤٨١ - قعدان، مدينة الله في الأرض، المرجع السابق، ص ٢٤ .

٤٨٢ - بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، المرجع السابق ص ٢٦٤ .

٤٨٣ - الحولي، بنو إسرائيل في ميزان القرآن، المرجع السابق ص ١٤٣ .

٤٨٤ - سورة طه، الآية ٤٧ .

شريك له، ولكن فرعون تكبر وأبى أن ينقاد للرجل الذي رباه في قصره وأن يستوي مع رعاته وعبيده من بني إسرائيل في عبادة الإله الذي لا يعلمه ولم يسمعه من قبل^(٤٨٥)، قال الله -تعالى- في شأن فرعون: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾^(٤٨٦)، هكذا تجاهل فرعون وتكبر وتجبر وتظاهر إنكاراً وجرماً لمعرفته الله رب العالمين، قال الله -تعالى-: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(٤٨٧)، فقد علم فرعون وقومه ذلك الإله الذي يدعوا إليه سيدنا موسى عليه السلام ولكنهم أنكروا المعاد^(٤٨٨) وقال سيدنا موسى -عليه السلام- في رده على فرعون وملئه: ﴿قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(٤٨٩)، فاستنكف فرعون من المناظرة، خوفاً أن يزيد في تقرير تلك الحجة فيظهر للناس صدق سيدنا موسى --عليه السلام- وفساد طريق فرعون فأراد أن يصرفه عن ذلك الكلام بالحكايات^(٤٩٠)، فقال: ﴿فما بال القرون الأولى﴾^(٤٩١)، وفي الآية الأخرى قال: ﴿... يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾^(٤٩٢)، وهذا القول يدل على ما بلغه من طغيان وكفر وغرور وعلو في الأرض، فكأنه يقول لهم: "إني لم أعلم بأن هناك إلهاً لكم سواي وما لا أعلمه فلا وجود له"^(٤٩٣)، وقد قابل قومه هذا القول بالسكوت والتسليم فأطاعوه^(٤٩٤)، قال الله -تعالى-: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾^(٤٩٥)، وقال أيضاً: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾^(٤٩٦)، فقد نسي فرعون وقومه أنهم إلى الله مرجعهم للحساب، ولم ينتفعوا بدعوة سيدنا موسى -عليه السلام-، الذي حاورهم بألطف الحوار مع الأدلة الدالة على أنهم إلى الله مرجعهم، فما كان من فرعون إلا العناد والتجبر والتكبر، وقلب الحقائق^(٤٩٧)، فعمد إلى قوته والتهديد والوعيد لئلا تمنع سيدنا موسى -عليه السلام-، عن بيان الحجة وقال: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾^(٤٩٨)، ولم يبال سيدنا موسى -عليه السلام- بهذا القول واطمأن لدعوته إلى الله -عز وجل- واستمر في الطلب من فرعون ترك تعذيب بني إسرائيل وأن يتركهم

٤٨٥ - سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق ص ٤١.

٤٨٦ - سورة طه، الآية ٤٩.

٤٨٧ - سورة النمل، الآية ١٤.

٤٨٨ - الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق ج ١١، ص ٦٤.

٤٨٩ - سورة طه، الآية ٥٠.

٤٩٠ - الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق ج ١١، ص ٦٨.

٤٩١ - سورة طه، الآية ٥١.

٤٩٢ - سورة القصص، الآية ٣٨.

٤٩٣ - ططاوي، القصة في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٣٩٢.

٤٩٤ - المرجع نفسه، ص ٣٩٢.

٤٩٥ - سورة الزخرف، الآية ٥٤.

٤٩٦ - سورة القصص، الآية ٣٩.

٤٩٧ - تيسير محجوب الفتياي، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان ط ٢٠٠٤ م.

٤٩٨ - سورة الشعراء، الآية ٢٩.

وحريرتهم ليختاروا الدين الذي يريدونه^(٤٩٩)، وأن يرسل بني إسرائيل معه، ليذهبوا إلى الأرض المقدسة ليعبدوا فيها الله ربهم، وقال رداً على فرعون كيف تسجنني وقد جئتك بالحجة والبرهان على صدقي؟^(٥٠٠) قال الله -تعالى-: ﴿أولو جنتك بشيء مبين﴾^(٥٠١)، فقال فرعون: إن كان لك حجة لم أسجنك، فقال سيدنا موسى -عليه السلام-، فإن لي حجة وبرهاناً على صدقي^(٥٠٢)، ﴿قال فات به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾^(٥٠٣)، وكل هذه المعجزات التي تدل دلالة واضحة على صدق سيدنا موسى -عليه السلام-، ومع ذلك لم يؤمن فرعون وقومه، فقالوا على سبيل العناد، ما هذا الذي جئت به يا موسى إلا سحر أتيت به، من عند نفسك وما سمعنا بهذا الذي جئتنا به من الدعوة إلى عبادة الله وحده، ومن إخبارك لنا بأنك نبي ما سمعنا بشيء من هذا كائنا أو واقعا في عهد أبائنا الأولين، هكذا اعترض فرعون وقومه عن الحق وعكفوا على ما ألفوه واعتادوا عليه، فلم يستعملوا عقولهم ليدركوا حقيقة دعوة سيدنا موسى -عليه السلام-^(٥٠٤)، فماذا كان على فرعون وقومه أن يفعلوه بعد أن فشلوا في إغراء الناس عن دعوة سيدنا موسى -عليه السلام-؟، فقد هددوا سيدنا موسى -عليه السلام- فقالوا له: أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى؟، لناأنتيك بسحر، مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعداً للمناظرة لا نخلفه نحن ولا أنت، وأن يكون المناظرة في مكان يتوسط المدينة لكي يستطيع جميع سكانها أن يحضروا إليه^(٥٠٥)، وفي ذلك يقول الله -تعالى- عن الحكاية: ﴿فلناأنتيك بسحر مثله فاجعل بيننا موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾^(٥٠٦)، هكذا قال فرعون وكأنه جمع أطراف النصر بين يديه^(٥٠٧)، فأرسل في جميع المدائن من أن يجمع له السحرة المعروفون ببراعتهم فيه للمناظرة، في وقت معين، و هو يوم الزينة، يوم العيد^(٥٠٨)، وفي ذلك يقول الله تعالى: (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم)^(٥٠٩)، وقال أيضا على لسان سيدنا موسى

^{٤٩٩} - محمد أحمد جاد المولى وأصحابه، قصص القرآن، ضبط، جمال عبد الغني الدمشقي، دار الإسرائ، ومكتبة دنديس، عمان، ط١، ٢٠٠٤، ص ٩٣

^{٥٠٠} - أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تاريخ الأنبياء، تحقيق، آسيا كليان علي البارح، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ -

٢٠٠٤م، ص ١٧٥ .

^{٥٠١} - سورة الشعراء، الآية ٣٨.

^{٥٠٢} - البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٧٥ .

^{٥٠٣} - سورة الشعراء، الآيات ٣١-٦٤ .

^{٥٠٤} - طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، المرجع السابق ص ٣٩١ .

^{٥٠٥} - المرجع نفسه، ص ٤١٧ .

^{٥٠٦} - سورة طه، الآية ٥٨ .

^{٥٠٧} - طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٤١٧ .

^{٥٠٨} - المرجع نفسه، ص ٤٢٧ .

^{٥٠٩} - سورة الشعراء، الآية ٣٨ .

-عليه السلام-: ﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾^(٥١٠)، فلما جمع السحرة أمام الناس استغلوا هذا الموقف ليأخذوا من فرعون إقراراً بما يريدون، لأن فرعون في أمس الحاجة إليهم^(٥١١)، فقالوا لفرعون: ﴿أن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾^(٥١٢)، فقال السحرة لسيدنا موسى -عليه السلام-: ﴿إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقون﴾^(٥١٣)، فقال لهم سيدنا موسى -عليه السلام-: القوا!، فما كان منهم حين ألقوا إلا أن سحروا أعين الناس واسترهبوهم، وجاءوا بسحر عظيم في نوعه، وأوحى الله -تبارك وتعالى- إلى سيدنا موسى -عليه السلام-: ﴿أن ألق عصاك﴾^(٥١٤)، فإذا هي تلقف كل هذا الإفك الذي جاءوا به، من حبالهم وعصيهم، فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون من السحر، فغلب القوم ورجعوا أذلاء صاغرين، وراحوا يتسألون ويقولون: إن ما أتى به سيدنا موسى -عليه السلام- ليس بسحر، لأنهم سحرة يعرفون السحر، ولا بد أن يكون ما جاء به من عند الله رب العالمين^(٥١٥)، فخروا ساجدين، فقالوا: ﴿آمنّا برب العالمين رب موسى وهارون﴾^(٥١٦)، فظن فرعون أن إيمان السحرة كان حيلة، احتالوها هم وسيدنا موسى -عليه السلام-، فأنكر إيمانهم بالله رب العالمين، ولأنه لم يأذن لهم بذلك^(٥١٧) فقال مبيناً لهم: ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنّا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين..﴾^(٥١٨)، هكذا هدد فرعون بقتل سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه من بني إسرائيل والسحرة الذين آمنوا برب العالمين، ولكن الحجج الواضحة، على يد سيدنا موسى -عليه السلام- عن الله رب العالمين، الذي فطرهم وفطر فرعون، رب السماوات والأرض وما بينهما، جعلت أتباع سيدنا موسى -عليه السلام- لا يختارون عبادة فرعون على عبادة الله رب العالمين، فقالوا لفرعون: وأما ما تهددنا به أنت يا فرعون فأصنع ما أنت صانع فإنك لا تقدر على مضرتنا إلا ما دمنّا في هذه الحياة الدنيا، فإذا خرجنا من الدنيا لم تقدر علينا، ورجعنا إلى ربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من عبادتك، والسحر، والله خير ثواباً لمن يهديه وأبقى عذاباً، لمن يعذبه، فقالوا تقريراً لإيمانهم وتثبيتاً لموقفهم: ربنا أقبضنا على

^{٥١٠} - سورة طه، الآية ٥٩.

^{٥١١} - فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢هـ-٢٠٠٠م.

^{٥١٢} - سورة الشعراء، الآية ٤١-٤٤.

^{٥١٣} - الأعراف، سورة الآية ١١.

^{٥١٤} - سورة الأعراف، الآية ١١٧.

^{٥١٥} - عباس، قصص القرآن الكريم، المرجع السابق ص ٥١٢، وانظر، الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٧٢.

^{٥١٦} - سورة الأعراف، الآية ١٢١-١٢٢.

^{٥١٧} - الشوكاني، تفسير القدير، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٢.

^{٥١٨} - سورة الأعراف، الآية ١٢٣-١٢٩.

دين الإسلام^(٥١٩)، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات﴾^(٥٢٠)، وقال أيضاً: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾^(٥٢١) وقال أيضاً: ﴿...ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾^(٥٢٢)، ولما رجع فرعون إلى قصره ورأى ما رأى من أمر سيدنا موسى -عليه السلام-، خاف أن يؤمن الناس بدعوة سيدنا موسى -عليه السلام- ويتركوا عبادته، وعندها يخسر عماله ومكانته ويصرف الناس عن دينه وعبادته فشاور حاشيته في أمر سيدنا موسى عليه السلام^(٥٢٣) فقالوا له: ﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾^(٥٢٤)، وبهذا القول زاد فرعون كفراً وطغياناً، وزاد في استكباره وتكيله، ببني إسرائيل، بل عزم على قتل سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه^(٥٢٥) وهذا ما تشير إليه الآيات بقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه...﴾^(٥٢٦)، وقال أيضاً: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾^(٥٢٧)، وكل هذا الحوار بين سيدنا موسى -عليه السلام- وبين فرعون الطاغية وكل ما رأى فرعون من معجزات الله -عز وجل- رب العالمين وما أنزله بهم من القحط وحبس المطر عنهم، والآيات التسع، وهي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واليد البيضاء، والعصا، والتاسعة فلق البحر، أو السنون التي أُخذوا بها، ولما رأوا الآيات ولم يؤمنوا ولم يترك فرعون بني إسرائيل ليعبدوا الله رب العالمين، أذن الله -تعالى- في هلاكهم، فقد أمر الله -سبحانه وتعالى- سيدنا موسى -عليه السلام- أن يسير ببني إسرائيل والذين آمنوا به إلى الأرض المقدسة^(٥٢٨)، قال الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾^(٥٢٩)، وقال أيضاً: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم﴾^(٥٣٠)، وقال أيضاً: ﴿أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾^(٥٣١)، فانطلق سيدنا موسى عليه السلام بقومه بني إسرائيل والذين آمنوا من المصريين فاتجهوا إلى الأرض المقدسة^(٥٣٢)، فلما علم فرعون بخروجهم، أرسل في المدائن ليحشر الجند

٥١٩ - البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٧٩.

٥٢٠ - سورة طه، الآية ٧٢.

٥٢١ - سورة طه، الآية ٧٢.

٥٢٢ - سورة الأعراف، الآية ١٢٦.

٥٢٣ - البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٧٩.

٥٢٤ - سورة الأعراف، الآية ١٢٧.

٥٢٥ - شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ١٦.

٥٢٦ - سورة غافر، الآيات، ت ٢٣-٢٥.

٥٢٧ - سورة غافر، الآية ٢٦.

٥٢٨ - البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

٥٢٩ - سورة الإسراء، الآية ١٠١.

٥٣٠ - سورة الأعراف، الآية ١٣٣.

٥٣١ - سورة الشعراء، الآية ٥٢.

٥٣٢ - عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٢٣٨.

للحاق بهم، فأدركهم عند شاطئ البحر الأحمر الغربي وقال عنهم إن هؤلاء لشزيمة قليلون، وهم لنا لغائظون، فوقع روع في قلوب بني إسرائيل لما رأوا فرعون وجنوده، فخافوا من إدراك فرعون بهم، ولكن سيدنا موسى عليه السلام طمأنهم وهداهم فقال لهم: إن الله - عز وجل - سيحميهم وينصرهم على عدوهم، فجاوز الله - عز وجل - بهم البحر وأهلك فرعون وجنوده^(٥٣٣)، وانتهى الهدف الجوهري لعودة سيدنا موسى عليه السلام إلى مصر بانتصار الحق والغلبة على الباطل^(٥٣٤)، قال الله - تعالى - عن الحكاية: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشَرٌّ ذَمَّةٌ قَلِيلُونَ وَأَنْهَمُ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾^(٥٣٥)، وقال أيضا: ﴿فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾^(٥٣٦)، وقال أيضا: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا...﴾^(٥٣٧) وقال أيضا: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ إلى قوله - تعالى - ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾^(٥٣٨)، وهذه الآيات تشير إلى ما جرى بين نجاة بني إسرائيل والذين آمنوا بدين الإسلام، وإغراق فرعون وجنوده، والبيان كيف فصل الله - عز وجل - الصراع بين الإيمان والكفر. ويدل هذا الحوار الطويل حرية اختيار الدين دون إكراه فكان من قدرة الله القهار أن يهلك فرعون بأمره كن فيكون، في بداية كفره وإكراهه الناس على عبادته، وعبادة الأصنام التي صنعها، ولكن الله العليم الخبير أراد أن يكون هذا الحوار درساً للناس في حرية التدين. ولهذا فإن الذين خرجوا مع سيدنا موسى - عليه السلام -، أصناف، وعددهم قليل كما بينته الآيات السابقة، وهذه الأصناف هي:

الصنف الأول: هم الذين آمنوا برسالة سيدنا موسى - عليه السلام -، حق الإيمان وتيقنوا أن ما جاء به حق، ومنهم السحرة الذين أعلنوا إيمانهم أمام فرعون وأنابوا إلى الله رب العالمين أن يدخلهم الجنة فهؤلاء أخلصوا إيمانهم، وكذلك الرجل من آل فرعون الذين كتم إيمانه والرجلان الذين شجعا بني إسرائيل بدخول أرض الجبارين^(٥٣٩)، فقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم كما أنه لا يخلو أن يكون فيهم آخرون لم يذكرهم القرآن الكريم، كما أنهم لم يكونوا كلهم من بني إسرائيل، فمنهم شعوب أخر.

الصنف الثاني: هم الذين سيطرت عليهم المعاناة النفسية ولم يدركوا حقيقة رسالة سيدنا موسى - عليه السلام -، وإنما اتبعوه فقط لينجوا من عذاب فرعون، وهم الذين شكلوا مجموعة كبيرة

^{٥٣٣} - الفتنياني، الحوار القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام المرجع السابق، ص ١٢١.

^{٥٣٤} - بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٦٤.

^{٥٣٥} - سورة الشعراء الآيات ٥٤-٥٥.

^{٥٣٦} - سورة الشعراء الآية ٥٣.

^{٥٣٧} - سورة يونس، الآيات ٩٠-٩٢.

^{٥٣٨} - سورة الشعراء، الآيات ٦١-٦٦.

^{٥٣٩} - يوسف، إسرائيل، البداية والنهاية، المرجع السابق، ص ٦٠.

من بني إسرائيل، كما لم يستطيعوا أيضاً أن يتخلصوا من المعتقدات الوثنية، وهم الذين عيدوا العجل الذهبي في غياب سيدنا موسى -عليه السلام- كما سيأتي الحديث عنهم إن شاء الله -عزوجل-.

المطلب الثاني: السبب الاجتماعي للخروج في القرآن الكريم

كان بنو إسرائيل شعباً مؤمناً، سكنوا بين الوثنيين في مصر، فاعتزلوا بناحية من الأرض أعطاهم إياها ملك مصر في زمن سيدنا يوسف -عليه السلام-، فعاشوا عيشة طيبة، واتسمت هذه المرحلة لبني إسرائيل بالحرية والعدالة في المعاملة الاجتماعية دون أدنى شعور بالاضطهاد والعبودية من قبل المصريين، ويبدو أن تلك المرحلة كان المصريون يحترمون بني إسرائيل احتراماً كبيراً نظراً لمكانة سيدنا يوسف -عليه السلام- عند ملك مصر وقتئذٍ، فكان سيدنا يوسف -عليه السلام- يحكم في سلطان الملك^(٥٤٠)، بالدين الإسلامي، وفي هذا يشير القرآن الكريم: ﴿أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٥٤١) وقوله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ مَكْنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبَ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥٤٢). ومن التمكين المشار في الآية الكريمة، تمكين الله -عز وجل- سيدنا يوسف -عليه السلام- في دعوة الناس إلى دين الإسلام، وذلك لما فوض أمر مصر إليه، وتلطف بالناس وأقام فيهم العدل، واستطاع من هذا العمل أن يدخل الكثير من الناس في دين الإسلام^(٥٤٣). وهذه الحرية والعدالة الاجتماعية التي كانت في مصر وقتئذٍ، أتاحت لبني إسرائيل مجالاً واسعاً لعبادة الله رب العالمين باعتبار أن الشؤون الاجتماعية لا تتفصل عن الدين، ونظراً لدور الدين في تكوين مجتمع ما على حسب مفاهيمه وتعليماته، وعلى حسب إدراك ذلك المجتمع للمبادئ القيمة لذلك الدين، من نشر السلام والعدالة الاجتماعية والدعوة إلى الحوار الفكري الديني للتعايش بين المجتمعات المتباينة دينياً وثقافياً، ولأن تعليم الدين أياً كان يفترض أن تكون أهدافه ترجع لمصلحة الإنسان الذي كُلف بعمارة الأرض لما فيها خير له. وليس سعيًا للفساد في الأرض، وهذا هو ما جاء به دين الإسلام دين جميع الرسل -عليهم السلام-، والذي يدعو إلى السلام والعدالة الاجتماعية.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٥٤٤)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَسِبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٥٤٥)، النهي هنا يقابله الأمر، فإذا كان الله -عز وجل- قد نهى عن سب الدين غير السماوي، و هذا النهي، يفهم ضمناً، حسن المعاملات معهم للتعايش بسلام ووجوب سد الذرائع، التي تؤدي إلى الفتنة، والفساد

^{٥٤٠} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٠٧.

^{٥٤١} - سورة يوسف، الآية ٢٢.

^{٥٤٢} - سورة يوسف، الآية ٥٦.

^{٥٤٣} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٤٣.

^{٥٤٤} - سورة النحل، الآية ١٢٥.

^{٥٤٥} - سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

في الأرض، والمحقق قد يكف عن حق له، إذا أدى إلى ضرر، في الدين، ويضر بالمجتمع ويتعرض إلى ما يؤذيه وذلك بمنزلة البعث على المعصية^(٥٤٦).

أياً كان الأمر، فإن حال بني إسرائيل قد تغيرت بعد وفاة سيدنا يوسف -عليه السلام- وانقلب عليه الفراعنة طغياناً وعتوا واستضعافاً لبني إسرائيل فاستعبدهم وأذلّوهم^(٥٤٧). قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥٤٨). وهذه الطائفة المذكورة في الآية الكريمة هم بنو إسرائيل كما جاء بيان ذلك في الآيات الأخرى، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ﴾^(٥٤٩)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ﴾^(٥٥٠). وتذكر المصادر الإسلامية، أن فرعون وصل في طغيانه، أن جعل بني إسرائيل أصنافاً في تسخيرهم الأعمال الشاقة "فأما أهل القوة منهم جعلهم على نقل السواري الصخرية من الجبال، وطائفة أخرى لنقل الحجارة والجص، بينون له القصور والحصون، وطائفة أخرى للحرث والزراعة، وطائفة أخرى لعمل التجارة وقطع الخشب وأعمال النجارين وطائفة أخرى لأعمال الحدادين، وجعل الضعفاء منهم يعملون ما قدروا عليه للناس بالأجرة، فيدفعون إليه الضرائب يؤدونها كل يوم من قبل أن تغرب الشمس، فإن غربت قبل أداء الضريبة غلت يمينه إلى عنقه شهراً عقوبة له، وأمر أن يعمل بشماله، وأما النساء، فكن يغزلن له الكتان وغير ذلك وينسجنه"^(٥٥١)، وكما كلف الرجال عمل الطين ونحت الجبال^(٥٥٢).

ولم يكتف فرعون بالتسخير لبني إسرائيل بالأعمال الشاقة فحسب، بل أخذ يقتل أولادهم ويذبحهم. ويرى بعض الباحثين أن سبب ذلك أنه رأى رؤيا هائلة وذلك أنه اتخذ له مركباً من الخشب فجسه على ظهر الماء، فكان يركب أياماً وليالي، ويأكل ويشرب وينام ويقوم وهو على ظهر النيل والمياه تجري تحته، فأعجب بحاله، وفي ذلك قوله -تعالى-: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٥٥٣). ويروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، أن سبب قتل الأبناء، أنه وقع إلى فرعون وطبقته من هامان وغيره وزير فرعون الذي كان رجلاً من القبط مثله في قساوة قلبه، وقد وقع إليهم ما كان الله -عز وجل وعد- سيدنا إبراهيم -عليه

^{٥٤٦} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٧، ص ٤١.

^{٥٤٧} - الخلف، دراسات في الأديان، المرجع السابق، ص ٣٩.

^{٥٤٨} - سورة القصص، الآية ٤.

^{٥٤٩} - سورة البقرة، الآية ٤٩.

^{٥٥٠} - سورة الأعراف، الآية ١٤١.

^{٥٥١} - البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

^{٥٥٢} - الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣.

^{٥٥٣} - سورة الزخرف، الآية ٥١.

السلام-، أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، فخافوا ذلك واتفقوا على إعداد رجال، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه^(٥٥٤)، وهذا القول قد أشار القرآن الكريم إليه في قوله - تعالى:- ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَعَاطَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٥٥٥)، وأرى أن ذلك هو السبب في قتل الأبناء الذكور وهو أقرب إلى الصحة^(٥٥٦)، وخلال تلك البلايا والعذاب والمصائب والاضطهاد التي كانت تنزل ببني إسرائيل، من فرعون الطاغية وجنده، أراد الله - سبحانه- أن يمن على بني إسرائيل وأن ينقذهم مما هم فيه من بلاء عظيم فأرسل لإنقاذهم وهدايتهم سيدنا موسى -عليه السلام-^(٥٥٧)، قال الله - تعال:- ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٥٥٨)، وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٥٥٩)، يقر القرآن الكريم أن من أهداف رسالة سيدنا موسى -عليه السلام- إخراج بني إسرائيل من مصر، وأن يقيهم شر العذاب المهين الذي كانوا يتعرضون له في مصر من عبودية وجور اجتماعي وقهر، ومنعهم حرية عبادة الله رب العالمين، فأرسل الله - عز وجل- سيدنا موسى -عليه السلام- إلى فرعون بأن يقول له: "أطلقهم من أسرك وقهرك واتركهم يعبدون الله ربهم واخل سبيلهم ليرجعوا معي إلى بلاد الشام"^(٥٦٠)، ومن الآيات التي تشير إلى طلب سيدنا موسى -عليه السلام- من فرعون بإطلاق بني إسرائيل وكف عن تعذيبهم قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَ فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ﴾^(٥٦١)، وقوله - تعالى:- ﴿فَأْتِيَ فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٥٦٢)، يرى المفسرون أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكن رسولاً إلى فرعون ليدعوهم إلى دين الإسلام ويأخذهم بمنهج رسالته فحسب، إنما كان رسولاً إليهم أيضاً ليطلب إطلاق بني إسرائيل ليعبدوا ربهم كما يريدون، وأن يكف إكراههم على عبادة الأوثان، فقد كانوا أهل دين منذ أبيهم إسرائيل -عليه السلام- فبهت هذا الدين في نفس بعضهم، وفسدت عقائدهم، فأرسل الله - عز وجل- إليهم نبيه

^{٥٥٤} - الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤.

^{٥٥٥} - سور المائدة، الآية ٢٠.

^{٥٥٦} - يروي البعض أن السبب هو أن فرعون رأى في منامه ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وترك بني إسرائيل وسأل فرعون الكهنة عن ذلك فأخبروه من يكون هلاك القبط على يده. كما يرى آخرون أن المنجمين أخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهدا يقتل ذكورهم. انظر، الرازي، التفسير

الكبير، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤.

^{٥٥٧} - طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ٢٢.

^{٥٥٨} - سورة القصص، الآيات ٥-٦.

^{٥٥٩} - سورة الأعراف، الآيات ١٠٤-١٠٥.

^{٥٦٠} - طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ٢٢. وانظر: مهرا، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٢٧.

^{٥٦١} - سورة طه، الآية ٤٧.

^{٥٦٢} - سورة الشعراء، الآيات ١٦-١٧.

لينقذهم من ظلم فرعون، ويعيد تربيتهم على دين التوحيد^(٥٦٣)، وإلى جانب هذا التشكيل للحياة الدينية الاجتماعية، يستطيع بنو إسرائيل التأمل الذهني عن حقيقة فكرة الدين في أعماق نفوسهم دون الشعور بالضغط الاجتماعي الذي كانوا يعيشونه في مصر.

وعلى الرغم أن سيدنا موسى -عليه السلام- حاور فرعون بكل أدب ولطف وبالقول اللين، إلا أنه بقسوة قلب فرعون، أدبر وتولى عن طلب سيدنا موسى -عليه السلام-، قال الله -تعالى-: **﴿إذ هبأ إلى فرعون إنه طغى﴾**^(٥٦٤)، فإذا جئناه **﴿فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾**^(٥٦٥) أمر الله رب العالمين سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- أن يقولوا لفرعون برفق ولا يعنفا عليه فينفر عنهما^(٥٦٦)، هنا نجد سمة الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- أنهم أمروا بالرفق وعدم العنف، واختيار أحسن الألفاظ التي لا تنفر الجمهور المخاطبين، وأن يحاوروا الناس بالحوار الهادئ الهادف إلى إيجاد الحلول الاجتماعية العادلة؛ وعلى أية حال فإن العجيب أن فرعون بطغيانه ومجاورته الحد واعتدائه على حقوق بني إسرائيل وعلى حق الله -سبحانه وتعالى-، بادعائه الألوهية^(٥٦٧) رفض فرعون طلب سيدنا موسى -عليه السلام- **﴿فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾**^(٥٦٨)، فقد فعلوا الإجرام وتجبروا على بني إسرائيل دون ذنب فعلوه^(٥٦٩)، وظلم فرعون بالشرك حيث قال: **﴿أنا ربكم الأعلى﴾**^(٥٧٠)، وبدأ يحتج على سيدنا موسى -عليه السلام- ويظهر إحسان تربيته وعنايته له حتى صار شاباً قوياً^(٥٧١). وفي ذلك يشير القرآن الكريم بقوله -تعالى-: **﴿قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ففعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾**^(٥٧٢). وفرعون هنا يسوق الأدلة التي تكشف بطلان إدعائه الألوهية، فلو كان إلهاً لعرف أن هذا الغلام الذي رياه في بيته وأحسن تربيته وعطف عليه وأراد أن يتخذه ولداً سيكون هلاكه على يده^(٥٧٣)، واستمر على كفره وأصر على عناده، ولم يترك سيدنا موسى -عليه السلام- وأتباعه أن يخرجوا من مصر، إلى مكان يكونون فيه أحراراً في عبادة الله وحده، ويتزكون عبادة فرعون وآلهته، فقال فرعون: سنقتل أبناءهم وسنترك نساءهم أحياء لاسترقاقهن، ثم شرع يحقق

^{٥٦٣} - سيد قطب، في طلال القرآن، المرجع السابق، مج ٣، ص ١٣٦٧.

^{٥٦٤} - سورة طه، الآية ٤٥.

^{٥٦٥} - سورة طه، الآية ٤٤.

^{٥٦٦} - البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٧٢.

^{٥٦٧} - محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء، جمع المادة منشأوي غانم جابر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ج ٣، د. ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص ١٤٩٧.

^{٥٦٨} - سورة يونس، الآية ٧٥.

^{٥٦٩} - الشعراوي، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥١١.

^{٥٧٠} - سورة النازعات، الآية ٢٤.

^{٥٧١} - الشعراوي، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥١٢.

^{٥٧٢} - سورة الشعراء، الآيات ١٨-١٩.

^{٥٧٣} - الشعراوي، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥١٣.

وعيده السيئ^(٥٧٤)، وبدأ هو وجنوده يحملون بني إسرائيل على أقبح العذاب وأساءه أنواعه^(٥٧٥)، وطبيعي أن يشكو بنو إسرائيل إلى سيدنا موسى -عليه السلام- مما أوقع بهم فرعون من إذلال واستعباد فأمرهم سيدنا موسى عليه السلام بالصبر على هذا البلاء النازل عليهم، وأن يستعينوا بالله -الفعال لما يريد - على احتمال البلاء، ووعدهم بحسن العاقبة إن اتقوا^(٥٧٦)، قال الله -تعالى-: **﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾**^(٥٧٧).

وقيل الأذى من قبل وسوء المعاملات الاجتماعية من فرعون وجنوده وتسخيرهم لبني إسرائيل في أعمالهم إلى نصف النهار وإرسالهم بقيته ليكتسبوا لأنفسهم، والأذى من بعد: تسخيرهم جميع النهار كله بلا طعام ولا شراب^(٥٧٨) ولا يحق لأحد أن يترك عمله وقتاً قصيراً لعبادة الله وحده لا شريك له، وبدا موقف بني إسرائيل صعباً أنهم يواجهون غضب فرعون ومؤمراته لقتلهم وقتل قائدهم عليه السلام الذي يطلب العدالة الاجتماعية وفي ذلك يشير القرآن الكريم بقوله -تعالى-: **﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾**^(٥٧٩). وما هو الفساد الذي يمنعه فرعون حتى لا يظهر في الأرض؟، يرى الشوكاني، أن الفساد الذي يزعمه فرعون هو أن يوقع بين الناس الخلاف والفتنة، فقد جعل فرعون الطاغية، ظهور ما دعا إليه سيدنا موسى -عليه السلام- وانتشاره في الأرض واهتداء الناس به فساداً^(٥٨٠)، ويبدو من الفساد الذي يظنه فرعون تعطيل بني إسرائيل عن العمل، فطلب إطلاق سراحهم بمثابة تعطيلهم عن العمل الذي سُخروا به، هكذا يختلس فرعون لنفسه مهام الأنبياء، ويخاف على الناس أن يضلهم سيدنا موسى -عليه السلام-، واقترح على أعوانه وحاشيته أن يتركوه يقتل سيدنا موسى -عليه السلام- بيديه، وهذا الاقتراح، إنما يطرح فكرة قتله أمامهم، لتقوم سلطات الدولة بتنفيذ القتل، وكادت الفكرة تحصل على التصديق، لولا رجل من آل فرعون من حاشيته وكان يكتم إيمانه قال في الاجتماع الذي طرحت فيه فكرة^(٥٨١) قتل سيدنا موسى -عليه السلام-، قال تعالى عن الحكاية: **﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات**

^{٥٧٤} - طبارة، اليهود في القرآن، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

^{٥٧٥} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٦٦.

^{٥٧٦} - سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٤٢. وانظر: طبارة، اليهود في القرآن، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

^{٥٧٧} - سورة الأعراف، الآيات ١٢٨-١٢٩.

^{٥٧٨} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٨.

^{٥٧٩} - سورة غافر، الآية ٢٦.

^{٥٨٠} - الشوكاني، فتح القدير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٠٥.

^{٥٨١} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢١٨.

من ربكم...»^(٥٨٢) ونلاحظ في الآيات أن هذا الرجل يمثل المتقنين المصريين الذين كانوا يعرفون تاريخ الأمم السابقة وما أصابها من العذاب، فهم يملكون قدرة على ربط الأحداث ومعرفة الأسباب واستخلاص النتائج، فقد استخلص مسيرة فرعون إن هو استمر في كفره وأن نهايته الهلاك^(٥٨٣)، وهكذا واجه فرعون مشكلته المستحيلة للحل، فإطلاق سراح عبيده غير مأمون، وهذا يعتبر خسارة له، وأن قتل الرجل المؤمن غير مأمون العاقبة أيضاً، وإبقاء بني إسرائيل غير مأمون^(٥٨٤)، وماذا سيفعل في هذه الظروف الاجتماعية السيئة عليهم؟، فكان عليهم أن يمكروا لبني إسرائيل ويدبروا لإقناع الناس ألا يسمعوا دعوة سيدنا موسى -عليه السلام-، فجدد فرعون قارون في دعوة مضادة لدعوة سيدنا موسى عليه السلام وأتباعه، وكان يدفع أمواله في طريق الفساد الاجتماعي ويزينه في نفوسهم، حتى يضل الضعفاء منهم فلا يستجيبوا لدعوة سيدنا موسى عليه السلام، ولكن عاقبة قارون كانت سيئة، إذ خسف به الأرض وبداره، وذهب هو والقصر والمال وغاصوا جميعاً في الأرض^(٥٨٥)، قال الله -تعالى-: **﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...﴾**^(٥٨٦)، ويبدو لي أن بني إسرائيل خف عنهم الضغط الاجتماعي، بعدما خسفت الأرض بقارون، وفشل هامان في بناء الصرح الذي أمره به فرعون الطاغية^(٥٨٧)، وخاصة، لما أخذ الله -سبحانه وتعالى- آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والعقوبات الأخر، فهرعوا إلى سيدنا موسى عليه السلام يتوسلون إليه، أن يدعو ربه أن يكشف عنهم العذاب، وسوف يطلقون سراح بني إسرائيل، ودعا سيدنا موسى -عليه السلام- ربه فانكشف العذاب عن المصريين، وعلى الرغم من ذلك، رفض فرعون إطلاق سراح بني إسرائيل^(٥٨٨)، فأمر الله -سبحانه- سيدنا موسى -عليه السلام- أن يتخذ لأتباعه وبني إسرائيل بيوتاً بمصر ليربيهم على الصلاة وليكون مجتمعاً حراً، مجتمعاً يشعر بعبادة الله -عز وجل- كما أراده -سبحانه وتعالى- فينعكس في قلوبهم الإحساس بالحفظ على عقل الإنسان والمال والنفس والعرض، على القواعد والأسس، التي أصلها من الدين الإسلامي^(٥٨٩)، قال الله -تعالى-: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بَيْوتاً وَاجْعَلُوا لِبَيْوتِكُمْ قِبلةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**^(٥٩٠)، أمر الله -سبحانه- نبيه وقومهما بالبراءة من مجتمع مصر

^{٥٨٢} - سورة غافر، الآيات ٢٨-٤٤.

^{٥٨٣} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٢٠.

^{٥٨٤} - المرجع نفسه، ص ٢٢٠.

^{٥٨٥} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١١٧-١١٨.

^{٥٨٦} - سورة القصص، الآيات ٧٦-٨١.

^{٥٨٧} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١١٨.

^{٥٨٨} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٢٢.

^{٥٨٩} - محمد الشالي بن القاضي، "الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق"، في المجلة الزيتونية، تحرير، محمد المختار بن محمود، المطبعة التونسية، فتح سوق البلاط، ١٣٥٩هـ-

١٩٤٠م، مج ٤، ج ١، ص ٣.

^{٥٩٠} - سورة يونس، الآية ٨٧.

الذي يعبد الأوثان، ويرجعوا إلى دين آبائهم سيدنا إبراهيم وسيدنا إسحاق -عليهما السلام- فينشؤوا مجتمعاً يحكم بشريعة الله -عز وجل- بالعدل والحق، فلا يُعدى فيه على الشعب بأشكال وألوان مختلفة من العذاب والعنف والاضطهاد، مجتمعاً يدعو إلى الله تعالى، ويُفهم الشعب حقه، نحو دينه الإسلامي، وهو دين جميع الأنبياء -عليهم السلام-، مجتمعاً يدافع عن نفوسهم بمقتضى دينهم وعن بيوتهم وأهلهم وعرضهم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٥٩١).

أياً كان الأمر فقد تدخلت عناية الله سبحانه -بالمؤمنين وبني إسرائيل، فهو الله سبحانه- يتولى عباده المؤمنين.

وما زال فرعون يتأمر ويجمع جنوده لقتل سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه، قال الله -تعالى-: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾^(٥٩٢)، فقد شاء الله -تعالى- أن يعذب فرعون في الدنيا ويوم القيامة يعرض هو وأتباعه على النار غدواً وعشياً ويعذبون عذاباً أشد من الذي كانوا يعذبونه لبني إسرائيل، وأما عذاب الدنيا، فإنه لما رفض أن يرسل بني إسرائيل مع سيدنا موسى -عليه السلام-، وظل على تعذيبهم وتسخيرهم لهم بالأعمال الشاقة أنزل الله القهار، الابتلاء على فرعون وقومه تخويفاً، لكي يصرفهم عن الكيد لسيدنا موسى عليه السلام والذين معه، وإثباتاً لنبوة سيدنا موسى -عليه السلام- وصدقه في نفس الوقت بإرسال بني إسرائيل معه^(٥٩٣)، قال الله -تعالى-: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون...﴾^(٥٩٤)، وعلى الرغم من هذه العقوبات كلها، فإن فرعون وقومه لم يهتدوا ولم يكفوا عن الكيد لسيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه، وبدا واضحاً أنهم لن يؤمنوا لسيدنا موسى عليه السلام ولن يكفوا عن تعذيبهم لبني إسرائيل ولن يكفوا عن استخفافهم ببني إسرائيل^(٥٩٥)، عندها دعا سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام-، الله القهار، بأن ينزل على فرعون وجنوده أشد العذاب، وفي هذا يقول تعالى عن الحكاية: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملاه زينة وأموراً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم، واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيب دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾^(٥٩٦)، وهذه الآيات الكريمة بداية الفصل بين الفريقين، والفرق بين الحق والباطل، وكانت العملية كبيرة، وما تنتجه أيضاً هي أحداث كبيرة وليست في قدرة البشر أياً كانوا، ونقطة الحسم فيها، هي الإذن

^{٥٩١} - عمر عبد الرحمن، "في حوار مع المجتمع"، في: مجلة المجتمع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، عدد ٩١٣، ص ٣٧.

^{٥٩٢} - سورة غافر، الآية ٤٥.

^{٥٩٣} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٢٠.

^{٥٩٤} - سورة الأعراف، الآيات ١٣٠-١٣٣.

^{٥٩٥} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

^{٥٩٦} - سورة يونس، الآيات ٨٨-٨٩.

من الله - سبحانه وتعالى - لسيدنا موسى - عليه السلام - للخروج^(٥٩٧) وجاء الأمر بقوله - تعالى -: **﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾**^(٥٩٨) وقال أيضاً: **﴿أسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾**^(٥٩٩)، إذًا، كانت خطة الخروج من وضع الله - عز وجل - ورعايته بما يشمل الهداية للطريق، وأما سيدنا موسى - عليه السلام - فمهمته إقناع فرعون بإطلاق بني إسرائيل ليخرجوا معه من أرض مصر في نطاق العمل بالأسباب لاستيعاب العبر والدروس في الصراع بين الحق والباطل^(٦٠٠)، فالمسألة ليست مجرد سرد الأحداث الواردة في الكتب السماوية فحسب، بل إنها معجزات خارقة تفوق قدرة العقل على التصور^(٦٠١)، كيف كان أولئك العمالقة فأهلكهم الله القهار، بسبب جبروتهم وطغيانهم، وكيف يمكن تصور مشهد نهاية فرعون وقومه، وهذه المعجزة التي لا تخطر على بال البشر وما مدلولاتها القوية في سياق هذه المسيرة التاريخية التي تشير إلى العبر الواضحة^(٦٠٢)، يجب أن تحسم في عقل ابن آدم في كل العصور وما نشاهده من الإعصار والفيضان والحرائق تذهب بها النفوس، وكان هذا الصراع القديم بين الحق والباطل والذي يكون النصر دائماً للحق أن يستفيد العالم المعاصر مما قدمته الكتب السماوية في وضع الخطة لإقامة العدالة الاجتماعية للتعايش بين المجتمعات المتباينة فكرياً ودينيًا، وأن يعلم البشر أن ما يحدث في العالم من البلاء هي ما كسبته أيديهم من الجور الاجتماعي، وكم تقدم البشر في مجال العلم، ولم يتقدموا في مجال الإنسان؟.

وعلى أية حال، فإن فرعون بعد أن علم أن سيدنا موسى - عليه السلام - ومن معه تحركوا من مصر، بدأ يعد نفسه ويجهز جيشاً لملاحقتهم، قال الله - تعالى -: **﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون﴾**^(٦٠٣).

خرج فرعون وجنوده ليردوا بني إسرائيل إلى مصر، وقال فرعون لجيشه بعد اجتماعهم: إن بني إسرائيل جمع حقير قليل، وأن بني إسرائيل غاظوهم بخروجهم من غير إذن منه^(٦٠٤)، وأنهم مجتمع مستعد ومتيقظ متبته، أخذ حذره وأسلحته للحاق ببني إسرائيل وإرجاعهم إلى مصر^(٦٠٥)، وعندما اقترب فرعون وجنوده من بني إسرائيل شعر بنو إسرائيل بالرعب والخوف من إدراكهم فرعون وجنوده، وخصوصاً، أنهم محصورون في مكان لا يستطيعون الفرار منه، وعندها أعلنوا

^{٥٩٧} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٣٨.

^{٥٩٨} - سورة الشعراء، الآية ٥٢.

^{٥٩٩} - سورة الدخان، الآية ٢٣.

^{٦٠٠} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٣٨.

^{٦٠١} - المرجع نفسه، ص ١٤١.

^{٦٠٢} - المرجع نفسه، ص ١٤١.

^{٦٠٣} - سورة الشعراء، الآيات ٥٣-٥٦.

^{٦٠٤} - الشوكاني، فتح القدير، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٦.

^{٦٠٥} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١٣، ص ٦٩.

الشكوى لسيدنا موسى عليه السلام، لخوفهم من الرجوع إلى العبودية، فهدأهم سيدنا موسى عليه السلام وطمأنهم، بأن الله - عز وجل - سينقذهم من هذا الموقف العسير، وفي اللحظة الحرجة جاءه الوحي، بالطريقة التي لا تخطر لبشر، فأتبعوهم المشرقين فأنجى الله سيدنا موسى - عليه السلام - ومن معه، ثم أغرق فرعون وجنوده^(٦٠٦)، وفي ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿فلما تراءوا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخريين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخريين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾^(٦٠٧)، فقد نجا بنو إسرائيل، وانتهت العبودية والاضطهاد الاجتماعي.

وما يمكن أن نتأمله، هو أن الخروج حدث بإرادة الله - عز وجل - وكانت غايته بناء مجتمع، يقوم على القواعد والأسس الدينية الصحيحة يشعر أصحابه بحريتهم الدينية في اختيار الدين الذي يريدون دون إكراه، وعلى هذا الاختيار يتم الحساب يوم القيامة.

^{٦٠٦} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ٤٣.

^{٦٠٧} - سورة الشعراء، الآيات ٦١-٦٧.

المطلب الثالث: السبب الاقتصادي للخروج في القرآن الكريم

يذكر المفسرون أن سيدنا يعقوب -عليه السلام- كان يسكن هو وأولاده بالعربات - منطقة وادي عربة - من أرض فلسطين، ثغور الشام، وكان أصحاب أغنام، ومن تلك المنطقة البدوية جاء بهم سيدنا يوسف -عليه السلام- إلى مصر، فدخلوها آمنين بعد أن بسط الله -عز وجل- لسيدنا يوسف -عليه السلام- ما بسط، من كرامة الدنيا، في أرض مصر، وآتاه الله -عز وجل- ملك مصر، وعلمه تأويل الأحاديث^(٦٠٨)، وإصلاح المزارع وأمر سيدنا يوسف -عليه السلام- المصريين أن يتوسعوا في الزراعة، فوضع الخطة الحكيمة لرفع المستوى الاقتصادي لمصر، فقد بنى لها الأهرام، فجمعوا فيها الغلة في السنوات الخصبة، ضاقت عنه المخازن لكثرتها، فكانوا يجمعون في كل سنة كمية كبيرة، استعداداً للسنوات المجدية، فلما دخلت سنين القحط جعل أهل مصر يبتاعون الطعام من سيدنا يوسف -عليه السلام-، وتلطف بالناس وكان يدعوهم إلى الإسلام حتى آمن به جمع غفير^(٦٠٩)، فجاء بأبويه وإخوته من أرض كنعان وكانوا زراعاً ماهرين، لا يعرفون التجارة إلا بشي بسيط^(٦١٠)، وكانوا أهل إبل وغنم ببادية فلسطين، وارتحلوا إلى الحضرة آمنين من كل مكروه^(٦١١)، وعاش بنوا إسرائيل في عزلة عن المصريين ونالوا أطيب خيرات مصر حيث سكنوا أغنى أراضي مصر وأخصبها^(٦١٢)، وظل بنو إسرائيل في مصر حيناً من الدهر ينعمون بكرم ملوك مصر حينئذ ورعايتهم وتقديرهم وجهودهم وكفايتهم^(٦١٣).

ومن المناسب أن أذكر شيئاً من الحياة الاقتصادية في مصر في زمن إقامة بني إسرائيل في مصر:

١ - الزراعة:

كانت الزراعة مورد مصر الذي أكسبتها حضارتها، وكانوا يعتمدون في الزراعة على مياه النيل الذي يفيض في الفصل الصيفي، فيستقبله السكان بالفرحة وعرفان بالجميل، وفي فصل الخريف، يأخذ النيل في الانخفاض، فتبدأ أعمال الحراثة، والبذر في المناطق الصالحة للزراعة^(٦١٤)، والفلاح المصري كأى فلاح آخر، يتعب ويتعنى ولا يذوق للراحة طعماً، إلا في أسابيع معدودة، ويقوم المصريون بالزراعة على أسس دقيقة ومنظمة، يجففون المستنقعات ويشيدون

^{٦٠٨} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٠١-٥٠٣.

^{٦٠٩} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٤٣.

^{٦١٠} - لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، المرجع السابق، ص ٢٩.

^{٦١١} - الصابوني، صفوة التفاسير، المصدر السابق، مج ٢، ص ٦٢.

^{٦١٢} - يوسف، إسرائيل البداية والنهاية، المرجع السابق، ص ٤١.

^{٦١٣} - وافي، اليهودية واليهود، المرجع السابق، ص ١٠٣.

^{٦١٤} - إلمار أندريه وصاحبه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريدم داعر وصاحبه، منشورات عويدات، بيروت، مج ١، ط ٢، ص ٦٧.

السود، ويحفرون الأفنية، لتجري المياه من تلك الأفنية الصغيرة، كما يحفرون الآبار ويجمعون فيها المياه، ثم ينقلونها من الغدران أو الآبار أو النهر نفسه بواسطة رقاص خشبي أو باستعمال أوعية ثقيلة، وهذه الأعمال فيها الكثير من العناء والمشقة^(٦١٥)، أما الحصاد فيتطلب بدوره يداً عاملة، توزع فرقاً تنتقل، نزولاً من وادي النيل نحو الشمال تابعة في سيرها، توقيت نضج المزروعات^(٦١٦)، ويأخذون هذه الثروات إلى العاصمة من الحقول الكثيرة التي انتشرت في أكثر أرجاء مصر^(٦١٧)، ومن هذه الثروات القمح والعنب والفجل والثوم والبقول والعدس والبقول والتمرس، ومن البذور الزيتية مثل الكتان والخروع والقرطم والخس وثمار الزيتون والتين والنوى^(٦١٨)، وكانت هذه الغلال تحفظ في الصوامع المبنية من الطين مخروطية الشكل، يبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار وقطرها مترين وفي الجزء الأعلى من الصومعة فتحة صغيرة وفي جزئها الأسفل فتحة أخرى، الأولى تستعمل لملء الصومعة والثانية لأخذ القمح منها^(٦١٩)، وكانوا يذرون المحصول في سنبله ولا يفصلونه عنها لئلا يأكله السوس^(٦٢٠)، وهذا يذكرنا بقوله تعالى عن الحكاية إذ يقول: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله﴾^(٦٢١)، وقد ذكر المفسرون في هذه الآية الكريمة أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية من حفظ الدين والنفوس والعقول والأنساب والأموال؛ فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئاً منها فهو مفسدة ومراعاة هذه المصالح واجبة ليحصل لعباد الله - عز وجل - التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية^(٦٢٢).

ومهما يكن من أمر، فقد ظلت زراعة الحبوب، زراعة أساسية في مصر طوال عهد الفراعنة، وكانت حقول القمح والشعير والعنب والبقول تمتد دون انقطاع من مستنقعات الدلتا وحتى الشلال الأول^(٦٢٣)، ومن هذه الزراعة، استطاعت أرض مصر أن تؤمن لملايين البشر الغذاء واللباس ووفرت لهم المنتجات المادية الضرورية لحضارة كبيرة^(٦٢٤)، ورفعت اقتصاد مصر إلى أعلى درجة لم تكن مثلها في ذلك الوقت.

^{٦١٥} - أندريه، تاريخ الحضارات العام، المرجع السابق، ص ٦٧.

^{٦١٦} - محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط ١، ٢٠٠١، ص ١٢٥.

^{٦١٧} - المرجع نفسه، ص ١٢٥.

^{٦١٨} - المرجع نفسه، ص ١٢٨-١٢٩. وانظر: أندريه، تاريخ الحضارات العام، المرجع السابق، مج ١، ص ٦٧.

^{٦١٩} - المرجع نفسه، ص ١٢٨.

^{٦٢٠} - الشوكاني، فتح القدير، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠.

^{٦٢١} - سورة يوسف، الآية ٤٧.

^{٦٢٢} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٣٣-١٣٤.

^{٦٢٣} - الخطيب، مصر أيام الفراعنة، المرجع السابق، ص ١٢٨.

^{٦٢٤} - أندريه، تاريخ الحضارات العام، المرجع السابق، مج ١، ص ٦٨. وانظر: ديورات ود، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية،

د.م، د.ط، د.س، مج ١، ص ٤٣.

٢- تربية المواشي:

وجرت العادة عند المصريين على حب الماشية وتعلقهم بها، وكانت الثيران من أهم وأحب الحيوانات المنزلية، وقد خصصت المساحات الكثيرة لتربية هذا الحيوان، وكانت البقرة حيواناً مقدساً كأم وكإله للحب ويمثل الثور عن المصريين معنى الشجاعة والقوة، وهو التعبير المصري الذي يوصف به الملك منذ أقدم العصور، وكان المصريون يصطادون الغزال والماعز البري والتيس والوعل ويربونها في الحظائر المنزلية^(٦٢٥)، وتوجد حيوانات أخرى كانت موضع عناية خاصة في المقابر والمعابد بسبب عوامل دينية^(٦٢٦)، وكان صاحب القطيع يعنى بختم قطيعه بعلامات مميزة حتى لا تختلط أبقاره وثيرانه وماشيته بغيرها^(٦٢٧)، وإلى جانب تربية الماشية، كان المصريون يقومون بصيد الطيور البرية والأسماك، ومن أشهر الطيور التي يربونها هي الأوز والبط وبمثلان منظرًا تقليدياً من مناظر الولايم والحفلات، وكانت رحلات الصيد البري والنهري دائمة ونشطة^(٦٢٨).

٣- المواصلات والتجارة:

تعددت الصناعات الكثيرة في مصر منذ أقدم العصور ومن أشهر هذه الصناعات صناعة البردي، والأخشاب والفخار والقاشان، والزجاج، والنسيج، والجلود، وصياغة الذهب والفضة^(٦٢٩). وتنقل هذه المواد إلى المناطق الداخلية وإلى خارج مصر بطرق عديدة وقنوات النيل على طول مجراه بين ضفتيه وتشكل أذرع الدلتا سبع شبكات للمواصلات الهامة في مصر السفلى، تربطها بالبحر المتوسط، وأقدم الشراع المعروف تاريخياً يعود إلى ٣٢٠٠ ق.م، مما جعل مصر ملتقى التجار منذ وقت مبكر^(٦٣٠)، ومنذ (٤٠٠٠) عام بنى المصريون المراكب، وعبروا بها النيل، وارتقوا بفن بنائها، فمن قطعة خشب طافية إلى تجويف جذوع الأشجار فالهيكل السفلي المحوط بالجلد إلى الأطراف من عيدان البردي المخرومة أو المجدولة بمقدم بسيط ووسط عريض^(٦٣١).

وقد توفر لمعالجة هذه الأعمال في الحياة الاقتصادية في مصر عمال على قسط كبير من المهارة والتقنية والفن، ولم يكن يوم ذلك من تمييز بين أصحاب الحرف والفنانين^(٦٣٢).

هذا وقد تغير النظام الاقتصادي في مصر بعد وفاة سيدنا يوسف -عليه السلام- الذي خطط النظام الاقتصادي المصري، وقتذاك ونجح في تنظيم تمويل مصر اقتصادياً نجاحاً

^{٦٢٥} - الخطيب، مصر أيام الفراعنة، المرجع السابق، ص ١٣٠.

^{٦٢٦} - المرجع نفسه، ص ١٣٠.

^{٦٢٧} - المرجع نفسه، ص ١٣٠.

^{٦٢٨} - المرجع نفسه، ص ١٣٠.

^{٦٢٩} - المرجع نفسه، ص ١٣١-١٣٨. وانظر: أندريه، تاريخ الحضارات العام، المرجع السابق، مج ١، ص ٦٨.

^{٦٣٠} - الخطيب، مصر أيام الفراعنة، المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤١.

^{٦٣١} - المرجع نفسه، ص ١٤٠-١٤١.

^{٦٣٢} - أندريه، تاريخ الحضارات العام، المرجع السابق، مج ١، ص ٦٨.

كبيراً^(٦٣٣)، ولم يقدر فرعون الخروج كل ما فعله سيدنا يوسف -عليه السلام-، وبدأ يسخر بني إسرائيل في الأعمال الشاقة دون مقابل، ويسومونهم سوء العذاب، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويستبد بهم ويتخذ منهم خدماً وعبيداً^(٦٣٤)، وبقي بنو إسرائيل في ذلك العذاب أمداً طويلاً إلى أن أرسل الله - سبحانه - سيدنا موسى وأخاه سيدنا هارون -عليهما السلام-، إلى فرعون يدعوانه إلى التوحيد وعبادة الله وحده، ويطلبان منه عدم تسخير بني إسرائيل في الأعمال الشاقة دون مقابل^(٦٣٥)، وقد كان اقتصاد بني إسرائيل منحصراً من قبل فرعون وحاشيته في تلك الفترة^(٦٣٦)، وتآزمت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين بني إسرائيل والمصريين^(٦٣٧)، وكان فرعون وجنوده يتصرفون في الأرض كما لو كانت الأرض ملكاً خاصاً لهم، وجعل سيدنا موسى -عليه السلام- يأمر قومه بالصبر وأمرهم أن يستعينوا بالله العليم، ويصبروا على بلاء فرعون العظيم وأفهمهم أن الله القهار سيهلك عدوهم ثم يستخلفهم في الأرض فيرى كيف يعملون^(٦٣٨)، وفي هذا التدهور الاقتصادي لبني إسرائيل، اختار فرعون قارون الذي كان من قوم سيدنا موسى -عليه السلام-، فكلفه لاستغلال مأساة بنيه، وحقق ثروة هائلة على حساب شعبه، فجمع المال من دماء بني إسرائيل المستعبدين في بناء المعابد والمباني والمدن، واغتنى على ضعفهم في قضبان العبودية لجمع الأموال الطائلة، والمتاجرة بدمائهم^(٦٣٩)، وبدا موقف سيدنا موسى -عليه السلام- صعباً فهو يواجه مؤامرات فرعون وتذمر قومه من جهة^(٦٤٠). قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٦٤١)، وأما تذمر بني إسرائيل على سيدنا موسى عليه السلام، فقد ذكره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٦٤٢)، وعلى أية حال فإن قارون تحرك في وسط هذه الظروف بثروته ومفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز التي يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء وكانت مركباته

^{٦٣٣} - شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ١٤.

^{٦٣٤} - وافي، اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص ١٠٣.

^{٦٣٥} - المرجع نفسه، ص ١٠٤.

^{٦٣٦} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، مج ٣، ص ٦٦٤.

^{٦٣٧} - يوسف، إسرائيل البداية والنهاية، المرجع السابق، ص ٤٥.

^{٦٣٨} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢١٥.

^{٦٣٩} - استغلال الضعفاء أكبر جريمة في عصرنا، وكم من الدول الكبرى تدعو إلى رفع المستوى الاقتصادي في جميع العالم باسم العولمة، وما هذه الأصوات إلا لتهب ثروات الدول النامية.

^{٦٤٠} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١١٧. وانظر: بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢١٤.

^{٦٤١} - سورة القصص، الآيات ٧٦-٧٧.

^{٦٤٢} - سورة الأعراف، الآية ١٢٩.

مطعمة بالفضة والذهب وكان إذا خرج في زينته ومشى في موكبه تحت الشمس تلالاً الذهب والنحاس تحت أشعة الشمس، وخطف الوهج أبصار أهل الدنيا الذين لا إيمان لهم ولا تصور لهم، أن المال زينة الحياة الدنيا، وكان طبيعياً أن يملكهم قارون مع أمواله وكبريائه، الذي لا يفلح معها نصح^(٦٤٣)، فقد نصحه المؤمنون من قومه، فقالوا له لا تفرح إن الله الخبير لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة وأحسن كما أحسن الله الغني إليك ولا تنس نصيبك من الدنيا، ولا تبغ الفساد في الأرض^(٦٤٤)، وهذا يؤكد أنه كان يسير على ملة فرعون وجنوده الذين يسعون في الأرض فساداً، وقد دفعه غروره إلى القول: أن ماله قد جمعه بتدبيره وبذكائه وعلمه^(٦٤٥).

هذه هي ملة أصحاب الكبرياء والغرور، فكان رد قارون على نصيحة قومه بدون أدنى علم، أن الله القهار قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر منه مالاً^(٦٤٦)، وكما أن في كل قوم صالحون ينصحون الناس ويدعونهم إلى طاعة الله رب العالمين، وعدم التأثير بالحياة الدنيا، وعلى أمثال هؤلاء المتقين وجد المؤمنون بالله - سبحانه - أن ينصحوا الذين تمنوا مكان قارون وفتنوا بزينته وأمواله فقالوا: "يا ليتنا أعطينا مثل ما أعطي قارون من زينة الدنيا لأنه ذو حظ عظيم ونصيب كبير من الدنيا"^(٦٤٧)، فرد عليهم المؤمنون أولي العلم والتقوى قائلين: "ويلكم، اتقوا الله وأطيعوه فتواب الله وجزائه للمؤمنين الصالحين خير مما أوتي قارون من مال وزينة"^(٦٤٨)، قال الله - تعالى - عن الحكاية: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا...﴾^(٦٤٩)، وكان دمار قارون وداره لا يقل عن دمار الأعاصير والفيضانات التي نشاهدها اليوم في عالمنا، فمشهد دمار دار قارون هو نفس المشهد ونفس الأفعال، دُمر قارون وداره بسبب ما كسب من ماله على حساب دماء الأبرياء، كما نرى الأعاصير تدمر في مختلف القارات بسبب دماء الأبرياء، لا حول لهم ولا قوة، وكانت عاقبة قارون سيئة إذ خسف الله القهار به و بداره الأرض^(٦٥٠)، وذهب هو وقصره وكنوزه من الذهب والفضة وغاصوا جميعاً في الأرض، وأصبحت بحيرة قارون وأفاق من تمنوا أن يكونوا مثله، وقالوا لو كنا كذلك لخسف بنا، لأنه لا يفلح الكافرون في كل زمان الذين ينحرفون عن الإيمان بالله رب العالمين، ولم يكد خسف قارون يتم حتى ارتفعت رؤوس المؤمنين وبني إسرائيل، وكان من المنتظر من فرعون الطاغية أن يتعظ مما أصاب قارون، ولكن بما أن قلبه محجوب عن نور الإيمان لم

^{٦٤٣} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢١٥.

^{٦٤٤} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١١٨.

^{٦٤٥} - المرجع نفسه، ص ١١٨.

^{٦٤٦} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، مج ٦، ص ٥٢.

^{٦٤٧} - المرجع نفسه، ص ٥٣.

^{٦٤٨} - المرجع نفسه، ص ٥٣.

^{٦٤٩} - سورة القصص، الآيات ٧٨-٨١.

^{٦٥٠} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، مج ٦، ص ٥٣.

يكف عن اضطهاد بني إسرائيل، بل أيقن فرعون أن سيدنا موسى عليه السلام يهدد ملكه، وأنزل أشد العذاب على بني إسرائيل، وكان يفكر كيف يتمكن من التخلص من سيدنا موسى - عليه السلام - الذي يهدد مصادر اقتصاده، حيث أن دعوة سيدنا موسى - عليه السلام -، إلى الله رب العالمين^(٦٥١) وأن عدم تسخير بني إسرائيل بالأعمال الزراعية وبناء المدن يعرض اقتصاد مصر للخطر.

وكان ذو الأوتاد يرى أن تسخير بني إسرائيل بالأعمال الزراعية الشاقة دون أن يأتيهم أجر عملهم هو الذي يرفع اقتصاد مصر، فما دام سيدنا موسى - عليه السلام - يهدد اقتصاد البلد فعليه أن يدعو إلى الاجتماع هو وحاشيته ليتشاوروا أمر سيدنا موسى - عليه السلام -، فعند طاولة الشورى الإجرامية اقترح فرعون ذو الأوتاد الطاغية "على وزرائه وكبار رجاله أن يتركوه يقتل موسى... ومفهوم طبيعي أنه لن يقتل موسى بيديه، وإنما هو يطرح فكرة قتله أمامهم لتقوم سلطات الدولة بتنفيذها"^(٦٥٢)، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^(٦٥٣) وقال أيضاً: ﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٦٥٤)، وعلى هذا الظلم العظيم من الشرك بالله رب العالمين وقتل الأبرياء من قبل فرعون وحاشيته، دعا عليهم سيدنا موسى - عليه السلام - بالهلاك، ومسح أموالهم حجارة فاستجاب الله - عز وجل - دعاءه^(٦٥٥)، قال الله - تعالى -: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٦٥٦)، وبعد ما أمر الله - سبحانه وتعالى - سيدنا موسى - عليه السلام - الخروج، ومن معه ليقضي الأمر الذي قدر، وينصرهم على عدوهم ويورثهم مشارق الأرض ومغاربها، ويجعل فيها ثابتاً دائماً^(٦٥٧)، قال الله - تعالى -: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٦٥٨).

^{٦٥١} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢١٧-٢١٨. يذهب الخطيب البغدادي إلى أن قصة قارون حدثت بعد خروج بني إسرائيل من مصر، ولكن الأرجح أنها حدثت في مصر في أيام الاضطهاد والعبودية قبل الخروج بدليل أن الخيل الذي خرج من مصر مكث أكثر من ربع قرن يرحل من مكان إلى آخر قصداً للأرض الموعودة، وفي هذه الحالة يبدو أنه من الصعب أن يتمكن قارون بناء البيت يجمع فيه الكوز حتى تنوأ مفاخه بالعصبة أو القوة. انظر: البغدادي، تاريخ الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٠٨-٢١٢.

^{٦٥٢} - بحجت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢١٨.

^{٦٥٣} - سورة غافر، الآية ٢٦.

^{٦٥٤} - سورة غافر، الآية ٢٩.

^{٦٥٥} - محمد بن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، جمع وتوثيق محمد كرم الكوازي، مؤسسة الانتشار العربي، ص ١٠٦، ط ١، ٢٠٠٦ م، ص ٢١٦.

^{٦٥٦} - سورة يونس، الآية، ٨٨.

^{٦٥٧} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٦٤.

^{٦٥٨} - سورة الأعراف، الآية ١٣٧.

المبحث الثاني:

زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته في القرآن الكريم:

المطلب الأول: زمن الخروج في القرآن الكريم.
المطلب الثاني: جغرافية الخروج في القرآن الكريم.

المطلب الأول: زمن الخروج في القرآن الكريم:

عاش بنو إسرائيل في مصر، فترة طويلة من الزمن، منذ دخولهم فيها، إلى أن خرجوا منها بقيادة سيدنا موسى عليه السلام، و لم يذكر لنا القرآن الكريم، كما لم يحدد لنا زماناً محدداً، عن هذا الحدث الخطير، والذي أصبح له تأثير كبير على التاريخ الديني، له مؤشرات في نفوس المعتنقين بالديانة اليهودية، ويبدو أن السبب في عدم ذكر القرآن الكريم، زمن خروج بني إسرائيل من مصر واسم فرعون موسى، أن الذكر لا أهمية له في موضوع القرآن الكريم، أو ليس صميماً لرسالته، فإنه كتاب الهداية والإرشاد، ومن ثم فهو يكتفي بذكر جوانب العبر والموعظة والعبر، في الوقائع التاريخية الصحيحة^(٦٥٩).

وعلى أية حال، فإن أهم ما ذكرته المصادر الإسلامية عن زمن الخروج تتراوح تقديراته فيما بين أعوام (١٢١٣ ق.م) أو (١٠٩٥ ق.م) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريباً، ويرى أنه في عهد (منفتح بن رمسيس الثاني)^(٦٦٠)، واجتهد أصحاب هذا القول في تقريره بالقرائن التاريخية، فيرون أن سيدنا يوسف عليه السلام قد دخل مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة في عهد الملك (أبائي الأول) وقد استدلوا على ذلك من بعض الآثار عن الأسرة السابعة عشرة على حدوث الجذب والقحط في مصر قبل هذه الأسرة، وقد ذكر القرآن الكريم عن الجذب والقحط وسنوات المجاعة^(٦٦١)، ولم يحدد الزمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾^(٦٦٢)، وعلى هذه السنوات، على حسب ما عثروا من المعطيات الأثرية قالوا أن دخول سيدنا يوسف عليه السلام، يمكن تحديده قريباً من سنة (١٦٠٠ ق.م) في عهد الملك (أبائي)، ويكون دخول بني إسرائيل مصر بعد ذلك بنحو ما يقارب من ٢٧ عاماً وهي مدة إقامة سيدنا يوسف - عليه السلام - في مصر^(٦٦٣)، إلى أن جاء بإخوته من أرض كنعان، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْوِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٦٦٤) وكان بنو إسرائيل في هذه الفترة مكرمين من قبل المصريين، ولم يوجد من الوثائق الأثرية تثبت اضطهادهم، بل سكنوا في أخصب أرض مصر^(٦٦٥)، ويذكر عبد الوهاب، أنه قد ثبت العثور على حفائر أثرية تدل على وجود مدينة باسم (فيثوم) أو (بر-توم) ومعناها بيت الإله توم ومدينة أخرى هي باسم (بر-رعسيس) ومعناها بيت أو قصر رعسيس،

^{٦٥٩} - مهرا، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٣١-٢٣٣.

^{٦٦٠} - طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ٢٣-٢٦.

^{٦٦١} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

^{٦٦٢} - سورة يوسف، الآيات ٤٨-٤٩.

^{٦٦٣} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

^{٦٦٤} - سورة يوسف، الآية ٩٣.

^{٦٦٥} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

ويرى أن الأولى، اكتشفت بواسطة العالم الفرنسي (نافيل) في سنة ١٨٨٣م ويقع في (تل المسخوطة) والآن في مديرية الشرقية، وأما الثانية فقد اكتشفت بواسطة العالم المصري محمود حمزة في سنة ١٩٣٨م وموضعها بلدة (قنتير) وتسمى بالمصرية القديمة (خنت نفر) أو الوسط الجميل. وأثبت أن (برعمسيس) قد بناها رعمسيس الثاني أو رعمسيس الثاني لتكون عاصمة لملكه في مصر في وسط الوجه البحري، ليكون بها قريباً من الحدود المصرية لتساعده على صد الأعداء، كما أنه أيضاً بني مدينة (فيثوم) وقد عثر على بعض آثار الجدران في المدينة تدل على أنها أيضاً كانت حصناً مصرياً^(٦٦٦).

ومن خلال هذه المعطيات الأثرية يرى عبد الوهاب أن رعمسيس الثاني أو رعمسيس الثاني، هو فرعون الذي اضطهد بني إسرائيل واستبد بهم، وتكون تلك الفترة، بداية اضطهاد بني إسرائيل، وفيها ولد سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام-، ويرى أن من قسوة ذلك فرعون عدائه الشديد للشعوب الآسيوية، التي ظل يحاربها متغيباً عن مصر زهاء تسع سنوات، ولرعمسيس الثاني أبناء منفتحاح الذي أشرك أبيه في الحكم قبل وفاة أبيه، وكان مسناً حين ولى ابنه منفتحاح للعهد وعلى هذا يكون سيدنا موسى -عليه السلام- قد عاصر منفتحاح في بيت أبيه ويستدل عبد الوهاب النجار أن بسبب هذه المعاصرة جاء ذكرها في القرآن الكريم^(٦٦٧) حيث يقول الله -تعالى- على الحكاية: ﴿ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾^(٦٦٨)، وعلى هذا، يكون منفتحاح هو فرعون الخروج الذي أرسل الله -عز وجل- إليه سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام-، لإخراج بني إسرائيل من مصر^(٦٦٩)، وعلى هذا الرأي يذهب أحمد أيضاً إلى القول: بأن خروج بني إسرائيل كان في زمن فرعون مصر المسمى منفتحاح ابن رعمسيس الثاني، وأن في تلك الفترة كانت عصابات الشر والفتنة تجمعت في شمال الوادي، وكانت تحاول السيطرة على مصر، ومن ظاهر سيرة منفتحاح، وموقفه من ذلك الأمر، أنه كان مشفقاً من حال الوطن ويخشى على مصيره ويقدر ما يمكن أن يتبع في حياته، من آثار تلك العصابات وما لها من نشاط ثوري في توجيه ذمة السياسة المصرية، فخاف من تمرد الأحزاب ضد نظام الوطن وكان يدعو آلهته الوثنية في الليل والنهار أن ينصروه على عصابات الشر والفتنة والتمرد حتى لا يفسد نظام الوطن وأنساق العبادة^(٦٧٠)، ومن الآراء حول فرعون الخروج، وأن منفتحاح هو فرعون الخروج، ما ذكر عبد الوهاب أيضاً، أن (فلندرس بشرى) عثر على حجر من الجرانيت القاتم ورقمه في الدار (٥٩٩)، ويدل على لوحة كبيرة ارتفاعها (٣ أمتار و ٤ اسم) كان منقوشاً من الوجهين أحدهما للملك (أمنحتب الثالث) من الأسرة

^{٦٦٦} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

^{٦٦٧} - المرجع نفسه، ص ٢٤١.

^{٦٦٨} - سورة الشعراء، الآية ١٨.

^{٦٦٩} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٤١.

^{٦٧٠} - أحمد بدوي، في موكب الشمس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج ٢، ط ١، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، هامش ص ٥٨٩-٥٩٠.

١٨) يذكر فيه كل ما عمله لمعبد (أمون)^(٦٧١)، وأما الوجه الثاني فقد استعمل في شأن منفتاح بن رمسيس الثاني من (الأسرة ١٩)، وتحمل عبارات بأسلوب شعري يفتخر فيها بانتصاره على اللوبيين، ويشير إلى سقوط مدينة عسقلان وجزر ويانوعيم في فلسطين وأن ما جاء من ضمنها عبارة، تشير إلى بني إسرائيل، وأن ما جاء في ذلك الأثر بنصه الحرفي هو: "لقد سحق بنو إسرائيل ولم يبق لهم بذر"^(٦٧٢) ويقول أن ذلك الحجر قد عثر عليه في (كوم الحيطان بطيبة الأقصر)^(٦٧٣).

ونلاحظ من هذه الآراء عدم بيان هلاك فرعون الخروج بل أن ما ضمنته هو انتصار فرعون على أعدائه ولم تذكر من أحداث بني إسرائيل إلا شيئاً بسيطاً، وهذا السبب - أي عدم ذكر أحداث بني إسرائيل عند إقامتهم في مصر وخروجهم منه - يرجع إلى واجب التخليد، حيث لم يكن منتظراً أن يموت الملك بتلك الصورة السيئة التي مات بها، فيدون المؤرخون في ذلك الزمن ما حدث فعلاً من الوقائع العجيبة تنعكس سلباً في من ادعى بالألوهية، وعبده الناس، ويرى المؤرخون أن الذين دونوا تلك الأحداث أرادوا أن يوهموها الناس أن فرعون قد سحق بني إسرائيل تمويهاً وقلباً، للحقائق حتى يستروا للشعب المصري الذي كان يحترم ديانتهم، بل عبدوا فرعون باعتباره إله مصر، وأن ذكر ما أصابه من الهلاك خذلان إلههم أمام سيدنا موسى عليه السلام، حيث أن فرعون يتعقب بني إسرائيل^(٦٧٤)، وهذا الأمر يختلف تماماً، عما يتوخاه القرآن الكريم حيث يقدم أحداث الأمم السابقة للعبر والمواظ، ولذا يركز على ما ينفع الناس في حياتهم وعباداتهم.

والخلاصة من هذه الآراء هي أن فرعون الذي سخر بني إسرائيل للأعمال الشاقة هو (رمسيس الثاني) بينما يكون ابنه (منفتاح) هو فرعون الخروج، وذلك في حكم (الأسرة ١٩) في سنة (١٢١٣ ق.م) أو (١٠٩٥ ق.م) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريباً، وأن أحد علماء الطب الفرنسيين حصل على إذن من الحكومة المصرية "بفحص جمجمة (منفتاح بن رمسيس الثاني) وتبين له أن بها كسراً أو شرخاً نتيجة لشدة ضغط الموج وأثبت بذلك أن فرعون الخروج هو مرنبتاح (منفتاح) وفي حيثياته قال أن رمسيس في هذا الوقت كان في سن التسعين وفي هذه السن يصعب عليه مطاردة بني إسرائيل بالعربات"^(٦٧٥).

وإلى جانب هذه الآراء توجد الآراء الأخرى التي لها قوتها في ما ذهب إليه أصحابها، وخلاصة القول أن رمسيس الثاني قد تم تتويجه في (منف) عاصمة مصر وقتذاك والتي توجد في ملتقى مصر العليا والسفلى وتسلم من الآلهة السوط والعصا المعكوفة وهما رمزان للحكم ووضع

^{٦٧١} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٤١.

^{٦٧٢} - المرجع نفسه، ص ٢٤١.

^{٦٧٣} - المرجع نفسه، ص ٢٤١.

^{٦٧٤} - المرجع نفسه، ص ٢٤١.

^{٦٧٥} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ٩٩.

التاج على رأسه والكوبرا الملكية، على جبهته لتحميه، وتدمر أعداءه والمتمردين ضد الحكم، وبهذا التتويج يكون (رمسيس الثاني) هو (حورس) الجديد والإله المجسد حاكم مصر، وقامت الآلهة بكتابة اسمه على شجرة الخلود ومنحته حياة خالدة، وسمته ملك مصر العليا والسفلى، وسمته أيضاً سليل الآلهة حامي مصر قاهر البلاد الأجنبية، كما سمته محب آمون وعظيم الانتصارات وغيرها من الأسماء التي أعلنت في أنحاء البلاد^(٦٧٦)، وفي خلال حكمه نقلت عاصمة مصر إلى مكان بناه بنو إسرائيل وسمها باسم (رعسيس) وهو نقطة انطلاق بني إسرائيل لما خرجوا من مصر، وقريب من أرض جاسان، مكان نزول بني إسرائيل لما دخلوا مصر في زمن سيدنا يوسف -عليه السلام-، ثم تم تسخيرهم في بناء هذه المدينة (رعسيس) بعد وفاة سيدنا يوسف -عليه السلام-، ويؤيد هذا ما جاء في الكتابات المصرية القديمة^(٦٧٧)، عن تسخير بني إسرائيل في قطع الأحجار ونقلها وبناء المعابد والمدن ويضاف إلى ذلك العثور على مجموعة كبيرة من الآثار التي تعود إلى رمسيس الثاني مجموعة كبيرة من الآثار في منطقة مجاورة (لفاقوس) بالشرقية في مكان يدعى (هريبط)، ونقلت بعض هذه الآثار إلى (تل بسطة) الحالية، والتي تسمى (بولسطة) بجوار الزقازيق، كانت مدينة الآلهة (باستت) وتتمثل في صورتها برأس لبؤة وكانت تربط بين منف وآسيا مروراً بوادي (ظلميات) وسيناء ووجدت لرمسيس الثاني تماثيل كثيرة في هذه المناطق، نقل بعض منها، إلى متاحف إنجلترا وبلجيكا وألمانيا، ويذكر المؤرخون أن العديد من المباني والمعابد والمدن التي تم تسخير بني إسرائيل واستعبادهم لبنائها كثيرة^(٦٧٨)، ففي هذه الحقبة من التاريخ القديم يذكر المؤرخون أنه بلغ العنف والتعذيب والذل لبني إسرائيل، مبلغه إلى حد جعلهم يحلمون بمنقذ يجيء ليخلصهم من هذا العذاب على طريقة جود، وكانت الأفكار السائدة لدى رمسيس الثاني والمصريين هي تحجيم بني إسرائيل ووقف نموهم^(٦٧٩).

وثمة آراء تحاول أن تجد أوصاف فرعون الخروج في القرآن الكريم ويحاول أصحابها ربطها بالآثار المصرية لتحديد شخصية فرعون الخروج، وأصحاب هذه الآراء رشدي البدرابي، الذي يرى أن فرعون الخروج رمسيس الثاني ومن أدلته قوله -تعالى-: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٦٨٠) وقوله -تعالى-: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾^(٦٨١) وقد حلل البدرابي نظريته على أساس هاتين الآيتين الكريميتين، ويرى أن الدمار الذي حاق بآثار رمسيس الثاني قد تم العثور على بعض الآثار المصرية على المباني التي بناها بنو إسرائيل والتي يذهب الفريق إلى القول بأنها

^{٦٧٦} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ٩٩.

^{٦٧٧} - حسن، مصر القديمة، المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٤٧ وما يليها.

^{٦٧٨} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٠٠.

^{٦٧٩} - المرجع نفسه، ص ١٠٠.

^{٦٨٠} - سورة الأعراف، الآية ١٣٧.

^{٦٨١} - سورة الفجر، الآية ١٠.

بنيت في أيام فرعون التسخير الذي كان أكثر الفراعنة رغبة في تخليد اسمه وذكره، وجاءت الآيات، لتؤكد أن الدمار الذي حاق بآثار فرعون يفهم أن فرعون التسخير هو فرعون الخروج، الذي أقام العدد الهائل من الآثار من معابد بها مئات الأعمدة، وأقام من المسلات عدداً كبيراً جداً يفوق ما أقامه الفراعنة الآخرين مجتمعين، ووضع لنفسه عدداً كبيراً حوالي (١٠٠) من التماثيل منها حوالي (٣٠) بالغة الضخامة، كما وضع لنفسه من التماثيل بين الآلهة ما لا يقل عن (١٥) تماثلاً، هذا بخلاف ما تم تدميرها وما لم يعثر عليه وبخلاف مئات بل آلاف الصور والنقوش التي تمثله في عربته وحروبه والأماكن للأسرى ومعابد الموظفين، من حاشيته وعمال المباني، ويقول البدرابي: أن هذه الآثار معظمها قد تهدم ولم يبق منها إلا بعض قطع من الحجارة عليها اسم رمسيس الثاني لتدل على أن أثراً ما، كان له في ذلك المكان، ويرى أن ذلك لعله من إرادة الله -تعالى- أن يبقى عدد قليل من آثار فرعون سليماً لندرك عظم ما شيد وضخامة التماثيل التي صنعها، إذ لو دمرت كلها لاندثر ذكره ولم يستدل عليه ومن هنا كان الإبقاء على معابد النوبة سليمة وإضافة إلى ذلك أن الله -عز وجل- قيض لها من يعمل على إنقاذها من الغرق في بحيرة السد العالي لتظل شاهداً على أعمال هذا الفرعون^(٦٨٢).

ومن المعابد التي تم تدميرها معبد (أبي سمبل الكبير)، وكان أعظم بناء أقامه إنسان في ذلك العصر وكان رمسيس الثاني قد بدأ في إقامته في السنة العاشرة من حكمه، واحتفل بافتتاحه في السنة ٢٤ من حكمه^(٦٨٣)، ومنها (معبد الرمسيوم) الذي تصدع نتيجة لإصابة الزلزال، ولم يمكن إعادته إلى حالته الأصلية^(٦٨٤).

وأما التحليل الثاني للبدرابي^(٦٨٥)، فهو قوله -تعالى-: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾^(٦٨٦) وقوله -تعالى-: ﴿وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد﴾^(٦٨٧)، وأوتاد جمع وتد وهو ما رزّ في الأرض أو الحائط من الخشب وأوتاد الأرض، الجبال، وأوتاد البلاد رؤساؤه^(٦٨٨).

^{٦٨٢} - رشدي البدرابي، موقع الإنترنت www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show

^{٦٨٣} - حسن، مصر القديمة، مرجع سابق، ج٦، ص

وانظر، بدوي، في موكب الشمس، المرجع السابق، ج٢، ص٩١٨.

^{٦٨٤} - البدرابي، موقع الإنترنت www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show

^٤ - المرجع نفسه.

^{٦٨٦} - سورة ص، الآية ١٢.

^{٦٨٧} - سورة الفجر، الآيتان ١٠-١١.

^{٦٨٨} - إبراهيم مصطفى وأصحابه، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ج٢، د.ط، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص١٠٠٩.

ويرى الألوسي أن القرآن الكريم شبه فرعون في ثبات ملكه ورسوخ سلطته ببيت ثابت أقيم عماده وتثبتت أوتاده^(٦٨٩)، ويورد ابن كثير في تفسيره أقوال المفسرين في معنى ذي الأوتاد فيقول: "قال العوفي عن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد، وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي، قال السدي: كان يربط الرجل في قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه"^(٦٩٠)، وعلى هذا يكون ذو الأوتاد تعني الأعمدة، وُصف به فرعون، لأنه كان أكثر الفراعنة إقامة للأعمدة^(٦٩١).

ومن المعابد التي أقامها ذو الأوتاد:

١- معبد سي الأول في أبيدوس:

يرى البدوي أن رمسيس الثاني هو الذي أشرف على بناء هذا المعبد، وعلى هذا المعبد رسوم كثيرة ظهرت فيها البراعة الفنية في رسمها وتكوين صور (سي الأول) حتى ليعد عصره بطريقة رسم صورهِ الفاصلة^(٦٩٢)، ويرى البدرأوي أن رمسيس الثاني بدأ بناءه في صباحه عندما أوكل إليه والده إقامة المنشآت والمباني وهو ابن صغير في السن (حوالي ١٠ سنوات من عمره وأكمل بناءه بعد أن صار حاكماً لمصر^(٦٩٣)).

٢- معبد الأقصر:

بُنِي في أيام (أمنحتب الثالث) وأضاف إليه رمسيس الثاني وبه عدد كبير من الأعمدة يصل إلى ٩٠ عمود^(٦٩٤).

٣- قاعة الأعمدة بالكرنك:

أقام معظم أعمدتها رمسيس الثاني وبها ١٢٤ عموداً مرتبة في ١٦ صفاً^(٦٩٥).

وختلاصة قول البدرأوي، يرى أنه بصرف النظر عن الاختلاف في معنى الأوتاد، فهي الأعمدة أو المسلات، وسواء كان هذا أو ذلك، فإن ذا الأوتاد وُصف لفرعون المسمى برمسيس الثاني، وُصف

^{٦٨٩} - شهاب الدين السيد محمود الألوسي، (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني، تعليق، محمد أحمد الأمد، وصاحبه، دار إحياء التراث العربي، و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ج٢٩، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص٤٧٤.

^{٦٩٠} - إسماعيل بن كثير أبو الفداء، (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تقدم عبد القادر الأرنؤوط، دار الفيحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض، مج ٤، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص٦٥٦.

^{٦٩١} - البدرأوي، www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show

^{٦٩٢} - بدوي، في موكب الشمس، المرجع السابق، ج٢، ص٩١٩-٩٢٠.

^{٦٩٣} - البدرأوي، www.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show

^{٦٩٤} - المرجع نفسه.

^{٦٩٥} - المرجع نفسه.

بذلك لكثرة إقامته الأعمدة أو المسلات، وعلى هذا تنطبق الآية الكريمة مع ما تم العثور عليه من الآثار المصرية، فيكون رمسيس الثاني هو فرعون الخروج^(٦٩٦).

وأياً كان من أمر فلست بصدد إلى ترجيح أحد الآراء على غيره، لأن هذه الآراء تعتمد في تفسيرها واستدلالاتها على ما تم العثور عليه من آثار، ومن المعلوم أن المعطيات الأثرية قد تتغير إذا تم العثور على آثار أخرى تخالفها.

وأما يوم الخروج فقد ورد ذكره، ما روي عن رسول الله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له، فقال النبي ﷺ: "نحن أولى بموسى منكم"، فأمر بصومه وفي رواية: "هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً..."^(٦٩٧)، ويرى أن عاشوراء معدول عن عاشره للمبالغة والتعظيم وهو صفة الليلة العاشره لأنه مأخوذ من العشر، فكأنه قيل يوم الليلة العاشره، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسميه فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة، فصار هذا اللفظ علماً على اليوم العاشر، ويقع هذا اليوم في شهر محرم، وقيل أنه يقع في يوم التاسع، من شهر محرم^(٦٩٨).

وأما ساعة الخروج فقد ذكر القرآن أنها كانت في الليل، فقد خرجوا في الليل تحت جنح الظلام دون أن يعلم بهم المصريون، وبعد أن خرجوا لحق بهم فرعون وجنوده حتى أدركوهم في اليم^(٦٩٩)، قال الله -تعالى-: ﴿فَاسِرْ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^(٧٠٠).

^{٦٩٦} - المرجع نفسه.

^{٦٩٧} - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم ٢٦٥٦ و ٢٦٥٨، المصدر السابق، ص ٤٦٢. وانظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة، حديث رقم ٣٩٤٢ و ٣٩٤٣، المصدر السابق، ص ٤٦٣.

^{٦٩٨} - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٧٧٣-٨٥٢م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار التقوى، ومكتبة العلم، القاهرة، مج ٤، د. ط، ص ٣٠٥.

^{٦٩٩} - الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، المرجع السابق، ص ٧٣.

^{٧٠٠} - سورة الدخان، الآية ٢٣.

المطلب الثاني: جغرافية الخروج في القرآن الكريم:

كان خروج بني إسرائيل من مصر وحياً من الله - عز وجل - فقد أمر الله - سبحانه وتعالى - عبده موسى - عليه السلام -، أن يسير بعباده ليلاً حتى إذا أدركهم المصريون أمره بأن يضرب البحر بعصاه، فصار البحر يابساً، فتم عبور بني إسرائيل البحر بمعجزة الله - عز وجل - وبارادته - تعالى - حيث أراد أن يجعل إغراق فرعون وجنوده عبرة وموعظة خالدة لأولي الألباب، وأن الصراع بين القيم السماوية والقيم البشرية يكون النصر دائماً للمنتسبين إلى الله الأحد القهار، وعلى هذا، فإن القرآن الكريم دستور للحياة البشرية يعالج القضايا المهمة في حياة الإنسان، ولا يقف في الجزئيات من تاريخ الأمم السابقة، والتي لا تقدم عبرة وموعظة للإنسان، بل يهتم بالقضايا التي تقنع العقل وتأثر الوجدان لتمكين حقائق الإيمان والتوحيد والبعث في عقل الإنسان، وذلك من خلال أحداث الأمم السابقة^(٧٠١) المرتبطة بأماكن حدوثها، ولذا لا ننتظر أن يذكر القرآن الكريم جميع الأماكن التي مر بها بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر إلى الأرض التي كتبها الله - سبحانه - لعباده المؤمنين، لأن تلك الأماكن التي لم يذكرها القرآن الكريم لا أهمية لها في موضوعه. فإنه دستور هداية البشر وإرشادهم، ومن ثم فهو يكتفي من "الوقائع التاريخية الصحيحة بالقدر الذي يستخلص منه العبرة ويقترضه المقام"^(٧٠٢)، ولذا كان ذكر بعض الأماكن دون بعض إنما للعبرة، تفرض الإفادة بما حل في تلك الأماكن.

وعلى أية حال، فإن أهم الأماكن في جغرافية خروج بني إسرائيل من مصر في القرآن الكريم هي:

١ - مصر:

ولقد أقبل سيدنا يوسف - عليه السلام - على مصر وهي ذات حضارات عريقة ونظام دقيق ضارب في السنين، وسكن في قصر ملك مصر حينذاك مكرماً محبوباً عند آل الملك والناس عامة، فلما بلغ أشده، فوض إليه خزائن مصر، وتمكن في أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء، وفي سنوات القحط الذي نزل بمصر جاء بأبويه وإخوته إلى مصر^(٧٠٣) وأسكنهم الملك في أخصب أرض مصر تكريماً لسيدنا يوسف - عليه السلام -، والقرآن الكريم لم يحدد لنا المنطقة التي نزل فيها بنو إسرائيل وإنما ما جاء فيه هو ذكر دخول مصر بدون تحديد مكان معين وذلك في قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٧٠٤)، وقوله تعالى: ﴿ادخلوا مصر﴾ أي أقيموا بها آمنين، في دخولكم، وسمي الإقامة دخولاً لاقتزان

^{٧٠١} - عباس، قصص القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٤٥.

^{٧٠٢} - مهرا، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٣٣.

^{٧٠٣} - أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د.س، ص ٢٧-٥٥.

^{٧٠٤} - سورة يوسف، الآية ٩٩.

أحدهما بالآخر^(٧٠٥)، وقد تمتعوا بالأمن ونالوا الخيرات في أيام سيدنا يوسف -عليه السلام-، وقد جاء ذكر مصر في الآيات الأخرى أيضاً، منها قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(٧٠٦)، ومنها قوله -تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧٠٧)، ومنها قوله -تعالى-: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٧٠٨)، ومنها قوله -تعالى-: ﴿... اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ...﴾^(٧٠٩).

كل هذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن بني إسرائيل سكنوا مصر، وهي مصر فرعون ذي الأوتاد^(٧١٠)، وهناك إشارات بعض المؤرخين تحدد المنطقة التي سكنها بنو إسرائيل في مصر، ومن هؤلاء المؤرخين أحمد عبد الحميد يوسف، الذي يرى أن بني إسرائيل لم يسكنوا بعيداً عن عاصمة مصر، إلا بمقدار مسيرهم بين انتصاف الليل ومشرق الشمس^(٧١١)، إذ أن سيدنا يوسف -عليه السلام- كان يسكن في قصر ملك مصر، ومما هو معروف عند الناس أن يكون قصر ملك البلد في العاصمة، فإذا كان سيدنا يوسف عليه السلام جاء بأهله من البدو إلى الحضر، فمن الأرجح أنه سيطلب من الملك أن يسكن أهله بجواره.

وذهب أحمد إلى تحديد الجهة التي سكنها بنو إسرائيل فيقول: أنهم "يسكنون إلى الشمال الغربي من البحر الأحمر وخليج السويس، وكان مقامهم هذا في وادي (طميلات) غير بعيد من عاصمة مصر آنذاك"^(٧١٢)، وعلى هذا يكون انطلاق بني إسرائيل عند خروجهم من مصر من وادي طميلات في عاصمة مصر آنذاك^(٧١٣).

٧٠٥- الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، مج ٩، ص ٢١٥

٧٠٦- سورة يوسف، الآية ٢١.

٧٠٧- سورة يونس، الآية ٨٧.

٧٠٨- سورة الزخرف، الآية ٥١.

٧٠٩- سورة البقرة، الآية ٦١.

٧١٠- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، تخريج الأحاديث، نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١،

١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ١٦٣.

٧١١- يوسف، مصر في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ١١٨.

٧١٢- المرجع نفسه، ص ١١٨.

٧١٣- يذهب محمود بن عبدالرؤوف القاسم وغيره إلى القول أن مصر التي سكنها بنو إسرائيل ليست هذه مصر المعروفة اليوم، التي عاصمتها القاهرة وأنها ليست مصر القرآن الكريم! ومصر سيدنا يوسف وموسى عليهما السلام! وليست أيضاً مصر الفراعنة. وقدم الأدلة الكثيرة ليس يوسعي عرضها هنا، ومهما يكن من أمر فإن ما ذهب إليه القاسم وأصحابه مخالف لما هو في الواقع الذي نراه بأعيننا عن الحضارة المصرية العريقة وما في مصر الحالية من الآثار القديمة التي ترجع إلى عصور قديمة جداً. كما أن بعض هذه المعطيات الأثرية، توافق ما جاء في الكتب السماوية، وعلى هذا فإن مصر المذكورة في الكتب السماوية هي مصر الحالية التي عاصمتها القاهرة، وليس بمانع أن يكون لها اسم غير اسم مصر. انظر: محمود بن عبدالرؤوف القاسم، من جغرافية القصص القرآني، مصر ليست مصر، وغيرها، المكتبة الإسلامية، عمان، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص ٣٩-٨٨.

٢ - البحر الذي عبره بنو إسرائيل:

يذكر القرآن الكريم أن بني إسرائيل بعد أن انطلقوا من مصر كانوا يسيرون والسحاب يظلمهم في النهار، فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هناك، حيث أدركهم فرعون وجنوده من المصريين على شاطئ اليم^(٧١٤)، ولكن القرآن الكريم لم يذكر لنا اسم ذلك اليم أو البحر الذي عبره بنو إسرائيل. ويبدو أن عدم ذكر القرآن الكريم اسم البحر يعود إلى اهتمامه بجانب العبر والعظة، فذكر الأحداث التي وقعت في ذلك البحر من فصل الصراع بين الحق والباطل ليعتبر الناس بهذا الانتصار الذي يكون دائماً مع الحق، وكان سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه هم أصحاب الحق، وأما فرعون وجنوده هم أصحاب الباطل الذين أغرقوا جميعاً في اليم ونجى موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل والذين آمنوا به من المصريين، بأن فلق البحر عند ضرب سيدنا موسى -عليه السلام- بالعصا وجعله يبساً فعبر بنو إسرائيل في ذلك الطريق اليبس، فكان كل فرق كالطود العظيم.

وعلى أية حال، فهناك من المفسرين من حاولوا تحديد البحر الذي عبره بنو إسرائيل، ومن هؤلاء الخطيب البغدادي؛ ويرى البغدادي أن البحر الذي عبره بنو إسرائيل هو بحر القلزم^(٧١٥). وبحر القلزم إليه ينتهي البحر الحبشي^(٧١٦) من جهة الشمال وناحية الغرب قليلاً ويسمى بحر القلزم أيضاً ببحر السويس^(٧١٧). ومن أصحاب هذا القول أيضاً عبد الوهاب النجار، حيث يقول: "وكان بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر على خليج السويس"^(٧١٨).

وأما الرأي الثاني فصاحبه محمد رشيد رضا، فقد ذهب إلى الفرق بين البحر الذي غرق فيه فرعون والبحر الذي عبره بنو إسرائيل فيرى أن فرعون غرق في نهر النيل اعتماداً على الرواية التي ترى أن فرعون لجأ إلى مملكة الحبشة لسبب لم يذكره في الرواية، ثم عاد إلى مصر بقوة لمحاربة سيدنا موسى عليه السلام، وقد نفى محمد رضا هذه الرواية وقال أن المصريين كتموا خبر غرق ملكهم واستبدلوا به دعوى تقهقره إلى الحبشة وقالوا إنه هو الذي عاد بعد ذلك، وأخرج سيدنا موسى -عليه السلام-، ويستمر محمد رشيد رضا في نفي ثبوت تلك الرواية إلى أن قال إن الخروج لم يكن عقب غرق المصريين مباشرة على حسب ما يفهم من التوراة، ثم استدلت بالآيات القرآنية ليبرهن أن البحر الذي غرق فيه فرعون وبعد غرقه حكم سيدنا موسى -عليه السلام- مصر ١٣ سنة وإليك نصه:

٧١٤- ابن كثير، قصص الأنبياء، المصادر السابق، ص ٨٧.

٧١٥- البغدادي، تاريخ الأنبياء، المصدر السابق، ص ١٨٤.

٧١٦- ولعله البحر الأحمر.

٧١٧- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.س، ص ٥١.

٧١٨- النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٢٣٨. وانظر: سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٤٢.

'ويرى المطلع على القرآن الشريف أن هاتين الروایتين صادقيتين في مسألة غرق فرعون في النيل ومسألة حكم موسى في مصر ١٣ سنة. وأما الغرق في النيل فيفهم من قول القرآن مثلاً في سورة طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾^(٧١٩)، ثم قوله في آخر هذه القصة ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٧٢٠)، فالمتبادر من ذلك أن فرعون غرق في نفس اليم الذي ألقى فيه موسى وهو النيل، ومثل ذلك أيضاً ما جاء في سورة القصص وهو قوله: ﴿فَإِذَا خَفَّتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾^(٧٢١)، ثم قوله فيما بعد: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^(٧٢٢).

وأما مسألة حكم موسى في مصر والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضاً المتبادر من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾^(٧٢٣)، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٧٢٤)، ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى في الطور قبل تركه حكم مصر^(٧٢٥). ويبدو لي سبب هذا القول أن محمد رشيد رضا أراد أن يوفق بين إغراق فرعون وإيراث بني إسرائيل جنات مصر وعيونها وكنوزها، و قد سبق أن أشرت إلى أن الذين خرجوا مع سيدنا موسى -عليه السلام-، أصناف، منهم بنو إسرائيل ومنهم المصريون، مثل: السحرة الذين آمنوا برب العالمين، فيمكن أن يفهم الاستخلاف في الآيات على جنات مصر وكنوزها من الآيات الكريمة هو استخلاف المؤمنين الأرض واستعمارها دون تحديد أرض مصر فحسب فإن أرض الله كتبها لعباده المؤمنين، فلما كان فرعون كافراً بنعمة الله رب العالمين ومشاركاً بعبادته أخرجه الله -تعالى- من الأرض في الحياة الدنيا، وأورثها المؤمنين به حينذاك، وبهذا أقول أن الأرجح هو أن فرعون غرق عند خروج بني إسرائيل من مصر وليس ما ذهب إليه رضا، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله -تعالى-: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ وَاتْرُكْ الْبَحْرَ زَهُواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ...﴾^(٧٢٦)، وفي سورة طه، ذكر فيها بعد إغراق فرعون كيف واعد الله -سبحانه- بني إسرائيل جانب الطور الأيمن؛ ما يدل على أن بني إسرائيل بعد أن غرق فرعون وهم يشاهدون ساروا بعد ذلك جانب الطور الأيمن. قال الله -

٧١٩- سورة طه، الآيات ٣٨-٣٩.

٧٢٠- سورة طه، الآية ٧٨.

٧٢١- سورة القصص، الآية ٧.

٧٢٢- سورة القصص، الآية ٤٠.

٧٢٣- سورة الإسراء الآيات ١٠٣-١٠٤.

٧٢٤- سورة الشعراء، الآيات ٥٧-٥٩.

٧٢٥- رضا، تفسير المنار، المرجع السابق، ج ٩، ص ٨٥.

٧٢٦- سورة الدخان، الآيات ٢٢-٢٨.

تعالى:- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى﴾^(٧٢٧).

٣- القرية التي أتى إليها بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر:

قال القرطبي عن قتادة: أن أهل سكان هذه القرية كانوا من لخم^(٧٢٨)، وقيل من الكنعانيين^(٧٢٩)، ويرى أنهم ينتسبون إلى أحد أولاد سيدنا نوح عليه السلام المسمى بـ (شالوما)، وكانت الشام منزلهم^(٧٣٠)، ويرى بعض المؤرخين أن الكنعانيين ينتسبون إلى كنعان، بفتح الكاف وسكون النون ابن سام بن سيدنا نوح -عليه السلام-، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، نزلوا بالجنوب الغربي للشام قرب مصر بمائة فرسخ^(٧٣١).

٤- جبل الطور في سيناء:

يعتبر جبل سيناء من الأماكن المهمة التي نزل فيها بنو إسرائيل في مسيرتهم إلى الأرض التي كتبها الله لهم، ليعبدوه رب العالمين فيها باعتبارهم أهل الإيمان بالله -عز وجل- وقتند، فقد ذكر القرآن الكريم جبل سيناء في الآيات الكثيرة، منها قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٧٣٢)، والطور اسم للجبل الذي كلم الله -عز وجل- عليه سيدنا موسى -عليه السلام- وأنزل عليه فيه التوراة، وأخذ فيه ميثاق بني إسرائيل وأمرهم بالتزام تعليمات التوراة^(٧٣٣)، ومنها قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾^(٧٣٤)، ومنها قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٧٣٥).

٧٢٧- سورة طه، الآية ٨٠.

٧٢٨- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧٤.

٧٢٩- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، مج ٢، ص ٢٤٢.

٧٣٠- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، د.٥، ص. د.

ص ٤٨٤.

٧٣١- المصدر ذاته، مج ٤، ص ٤٨٤.

٧٣٢- سورة البقرة، الآية ٦٣.

٧٣٣- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٧. وانظر: الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧-٢٥٨.

٧٣٤- سورة البقرة، الآية ٨٣.

٧٣٥- سورة الأعراف، الآية ١٧١.

* موضع طور سيناء:

يرى أن موضع طور سيناء بالشام وهو كثير الشجر^(٧٣٦)، ويقول ابن خلدون: أن طور سيناء يقع بعد السويس وفاران من الشمال الشرقي من مصر وبعد طور سيناء أيلة ومدین ويقول أنه "كان مجالاً لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام"^(٧٣٧)، وبهذا القول يكون طور سيناء في أرض مصر، وهو أرجح.

ومما جاء في القرآن الكريم في ذكر طور سيناء ما ذكره الذكر الحكيم في بداية رسالة سيدنا موسى - عليه السلام - لما كان يسير، بأهله فأنس ناراً وذهب ليأتي منها بقبس، فلما أتاها ناداه الله - عز وجل - لإرساله إلى فرعون، وبني إسرائيل، قال الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(٧٣٨)؛ يقول الطبري: أن سيدنا موسى - عليه السلام - كان يدعو إلى دين إبراهيم، وتراءى الله بطور سيناء وله ثمانون سنة، أي لما أرسله الله عز وجل كان عمره ثمانون^(٧٣٩)، وبهذه الآيات السابقة أقول أن طور سيناء قريب من مدين وأيلة أيضاً.

٥ - القرية التي كانت حاضرة البحر:

قال الله - تعالى -: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ...﴾^(٧٤٠)، قيل: أن تلك القرية أيلة، وقيل: مدين، وقيل طبرية، كانت قريبة من البحر وعلى شاطئه^(٧٤١)، ويرى أن ذلك كان في زمن سيدنا داود - عليه السلام -، إلا أن القرآن الكريم لم يعين المكان ولا الزمان^(٧٤٢). فقد يكون في زمن سيدنا موسى - عليه السلام -، وإذا كانت القرية هي أيلة أو مدين أو طبرية فهذه المناطق كلها على جانب طور سيناء وقريبة من مصر وقد ذكر ياقوت الحموي مواضع هذه المدن في كتابه معجم البلدان، وهي كما يأتي:

أيلة: "مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز والشام"^(٧٤٣)، وقد ذكرت أن بعض المؤرخين يرون أن البحر الذي عبره بنو إسرائيل هو بحر القلزم، وعلى هذا، يكون بنو إسرائيل مروا بأيلة.

٧٣٦- ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٤١.

٧٣٧- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٦٦-٦٨.

٧٣٨- سورة طه، الآيات ١١-١٣.

٧٣٩- محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، مج ١، ط ٣، ١٤٢٦هـ-

٢٠٠٥، ص ٢٣١.

٧٤٠- سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

٧٤١- الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٩.

٧٤٢- رضا، تفسير المنار، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٨١.

٧٤٣- ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧.

مدین: وهي أيضاً تقع على ساحل بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي مدينة قوم سيدنا شعيب - عليه السلام - (٧٤٤).

طبرية: "وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس" (٧٤٥).

ونلاحظ أن هذه المدن كلها قد تقع في الطريق الذي مر به بنو إسرائيل عندما خرجوا من مصر، فجاز أن يكون قد نزلوا فيها، ولست بصدد الترجيح، لأن القرآن الكريم لم يصرح أن بني إسرائيل نزلوا هذه المدن عند خروجهم.

٦ - القرية التي أمروا بدخولها:

قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا...﴾ (٧٤٦)، وقال أيضاً: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ...﴾ إلى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٧٤٧). ويرى بعض المفسرين أن بني إسرائيل لم يدخلوا الأرض المقدسة التي أمروا بدخولها أيام سيدنا موسى - عليه السلام - وإنما دخلوها بعد وفاته (٧٤٨)، وهذا القول يوافق ما جاء في القرآن الكريم في ردهم على سيدنا موسى - عليه السلام - لما أمرهم، فقالوا له: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

ويرى بعض المفسرين: أن الأرض المقدسة أو القرية التي أمروا بدخولها هي الشام وقيل الطور وما حوله، وقيل أريحا وقيل فلسطين، وقيل الأردن، وذهب بعضهم إلى الترجيح أنها أريحا (٧٤٩).

أريحا: يقال: أنها "مدينة الجبارين في الغور من أرض الشام بينها وبين القدس يوم للفارس، في جبال صعبة المسالك سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام" (٧٥٠).

٧٤٤- ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج ٥، ص ٩٢.

٧٤٥- المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٧.

٧٤٦- سورة البقرة، الآية ٥٨.

٧٤٧- سورة المائدة، الآيات ٢١-٢٤.

٧٤٨- الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، المرجع السابق، ص ٩٣.

٧٤٩- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٣.

٧٥٠- ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٧.

ومهما يكن من أمر، فإن بني إسرائيل لم يدخلوا الأرض المقدسة في حياة سيدنا موسى -
ليه السلام-، وثمة شيء آخر أن القرآن الكريم لم يذكر تلك القرية لأن ذكرها لا أهمية له، ولا يؤخذ
منه العبر والموعظة ولذا اكتفى بذكر جوانب العبر.

المبحث الثالث:
الآثار المترتبة على الخروج في القرآن الكريم

- المطلب الأول: الآثار العقدية للخروج في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: الآثار التشريعية للخروج في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية والنفسية للخروج في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الآثار العقيدية للخروج في القرآن الكريم

كان الخطاب الديني في القرآن الكريم لبني إسرائيل في أيام الاضطهاد والاستعباد خطاب العناية الربانية والتعاطف معهم حيث لم يكن لديهم حرية اختيار الدين الذي يريدونه، وما ذكره القرآن الكريم عنهم في تلك المرحلة -في الأغلب- هو إخراجهم من مصر وإنقاذهم من العبودية، حتى يجدوا حرية اختيار الدين، وحرية العبادة، على الوجه الذي يريده الله -عز وجل-.

وكانت مهمة دعوة سيدنا موسى -عليه السلام- في تلك الفترة موجهة إلى فرعون بالدرجة الأولى، والذي أدعى بالألوهية، وأجبر بني إسرائيل على عبادته واستبد بهم، فمن الأولى أن يوجه الخطاب القرآني إليه، ليهتدي ويكف عن الإشراك بالله رب العالمين، وبإيمانه بالله -عز وجل- يؤمن جميع أتباعه، وبنو إسرائيل، إلا أنه لا يُفهم من ذلك، أن سيدنا موسى -عليه السلام- ترك بني إسرائيل، ولم يبين لهم فيما هم عليه من عبادة الأوثان، بل كان تركيزه -عليه السلام- إقامة العدل ومنع إكراه الناس لعبادة الأوثان وفرعون الطاغية، هذا، ولما جاوز الله -عز وجل- ببني إسرائيل البحر، وأغرق فرعون، ونجا بنو إسرائيل بعد أن شهدوا أخطر المعجزات البينة في هلاك الجماعة المشركة، ففي هذه المرحلة بدأ الدور المهم لبني إسرائيل من جهة، ودور سيدنا موسى -عليه السلام- في تربيتهم، على العقيدة الصحيحة، وإعادة بناء مجتمع بني إسرائيل على مبادئ دين الإسلام وقيمه السامية.

هذا فإن من المناسب أن أذكر نعم الله الرزاق، على بني إسرائيل والتي من شأنها أن تزيدهم قوة في العقيدة والتمسك بدين الله رب العالمين، إضافة إلى شعورهم الدائم أنه -عز وجل- معهم في رحلتهم الصحراوية الطويلة، ومن هذه النعم، نجدها في قوله -تعالى-: ﴿ووظلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى...﴾^(٧٥١)، وقوله -تعالى-: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين وإذ قلت يا موسى لئن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها...﴾^(٧٥٢)، وهذه النعم استمرت لبني إسرائيل حتى في أيام التيه^(٧٥٣)، وهي كما ذكرتها الآيات، تظليلهم بالغمام، ويذكر بعض المفسرين أن هذا جرى في التيه، بين مصر والشام، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقتالهم^(٧٥٤)، وأما المن، فيرى أنه الترنجيبين بتشديد الراء وتسكين النون، ويقال: الطرنجيبين، بالطاء،

^{٧٥١} - سورة البقرة، الآية ٥٧.

^{٧٥٢} - سورة البقرة، الآيات ٦٠-٦١.

^{٧٥٣} - محمد رشيد رضا، (١٨٦٥هـ-١٩٣٥م)، تفسير المنار، تخرّج الأحاديث، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص ٢٦٥.

^{٧٥٤} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٦.

وقيل: إن طعمه حلو، وقيل: أنه عسل، وقيل: شراب حلو وقيل: خبز الرقاق، وقيل: أن المن، مصدر يعم جميع ما من الله الرزاق به على عباده من غير تعب ولا زرع^(٧٥٥)، قال رسول الله ﷺ: "الكمأة^(٧٥٦) من المن الذي أنزل الله - عز وجل - على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين"^(٧٥٧).

وأما السلوى، فهو طائر يشبه السمان ليس له جمع بلفظه، مثل اليماني، تستخدم للمفرد والجمع^(٧٥٨)، وهو في غير القرآن الكريم عند العرب العسل^(٧٥٩).

ومن نعم الله سبحانه على بني إسرائيل في رحلتهم، أن الله أعطاهم الطعام، من العدس والبصل، وذلك لما طلبوا أصنافاً جديدة من الطعام، فدعا لهم سيدنا موسى عليه السلام ربه، فاستجاب له دعاءه، وأعطاهم ما طلبوا من تنويع الطعام والحصول على ما كانوا يأكلونه في مصر من البقل والقثاء والفوم والعدس^(٧٦٠)، ومن نعمه - تعالى - على بني إسرائيل معجزة انشقاق الحجر، تخرج منه اثنتا عشرة عيناً عزيزة من الماء، على عدد أسباط بني إسرائيل، ولكل سبط عينه الخاصة^(٧٦١)، ولذلك لما كانوا في سيناء واستسقوا لسيدنا موسى عليه السلام، فأوحى الله - تعالى - إلى نبيه - عليه السلام -^(٧٦٢) بقوله - تعالى -: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَ عَيْنًا﴾^(٧٦٣)، ومن نعم الله سبحانه وتعالى أنه رفع فوقهم الطور قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾^(٧٦٤)، وسبب رفع الطور هو كما ذكر القرطبي، أن سيدنا موسى - عليه السلام -، لما جاء بالألواح فيها التوراة، قال لهم خذوها والتزموها فرفضوا فاشتروا أن يكلمهم الله - عز وجل - كما كلم سيدنا موسى - عليه السلام -، فصعقوا ثم أحيوا، فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله - سبحانه - الملائكة فاقتلعت جبلاً فجعل عليهم مثل الظلة، وعندها سجدوا توبة لله رب العالمين، من المعصية وأخذوا الميثاق، ورفع الله - سبحانه وتعالى - عنهم الطور^(٧٦٥).

وعلى أية حال، فإن هذه النعم صاحبت بني إسرائيل منذ اللحظة الأولى من خروجهم من مصر والتي من المنتظر أن يشعروا، أن الله معهم في رحلتهم، وعلى الرغم من هذه النعم، فإنه قد

^{٧٥٥} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٦.

^{٧٥٦} - الكمأة، من (ك.م.أ) واحدها كمأة على غير قياس، والكمء: نبات يُنقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر وقيل: الكمأة هي التي إلى الغبرة والسواد، والجبأة إلى الحمرة، ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج ١٣، مادة (ك.م.أ)، ص ١٠٨.

^{٧٥٧} - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداد العين بها، حديث رقم ٥٣٤٧، المصدر السابق، ص ٩١٥.

^{٧٥٨} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٧.

^{٧٥٩} - ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج ٧، مادة (س.ل.و.ي)، ص ٢٤٨.

^{٧٦٠} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٨. والبقل: وحده بقلة، وهو من النبات ما ليس بشجر دق ولا جل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج ٢، مادة (ب.ق.ل)، ص ١٢٧. والقوم: هو الثوم، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٨.

^{٧٦١} - شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ١٩.

^{٧٦٢} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٨٧.

^{٧٦٣} - سورة الأعراف، الآية ١٦٠.

^{٧٦٤} - سورة البقرة، الآية ٦٣.

^{٧٦٥} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٧.

ظهرت بعض الآثار العقديّة غير المتوقّعة في أوساط بني إسرائيل، وكان ظهورها مبكراً جداً، وأغلب الظن أن بعضهم لم يعرفوا حقيقة دعوة سيدنا موسى -عليه السلام-، ومن هذه الآثار العقديّة ما يأتي:

١- طلب عبادة الأصنام:

لقد طلب بنو إسرائيل من سيدنا موسى -عليه السلام- أن يصنع لهم آلهة مثل آلهة القوم الذين مروا بهم، وفي ذلك يقول الله -سبحانه-: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾^(٧٦٦)، وفي الحديث عن أبي واقد الليثي، قال خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة، فقلت يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: "الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم"^(٧٦٧)، وهذا الموقف تذكير بأن بني إسرائيل ما زالت نفوسهم متعلّقة بالمعتقدات المصرية الوثنية، ويأتي هذا الطلب للتقرير، في عدم قدرتهم على التخلي عما وصلوا إليه من التقاليد الوثنية القديمة، إذ أن معظمهم شاركوا المصريين في عبادة الأوثان، فأصبحت تلك المعتقدات، هي الأسلوب الأساسي الذي يطبع تصرفاتهم الشخصية وتفكيرهم، ودفق عواطفهم بطابعها، فلا يجدون غضاضة في التعلق بأهدافها، وما أن جاوزوا شاطئ البحر سالمين ورأوا أمام أعينهم مظاهر قدرة الله -عز وجل- وعزته في إنجائهم، من فرعون، وشق البحر لهم، و صحبتهم لنبي الله موسى -عليه السلام-، وما أعطاه الله -عز وجل- من عجائب المعجزات، جواً روحياً عالياً من شأنه أن يتكون في أذهانهم الفكر بجمال المعاني والمبادئ والقيم الدينية الإسلامية، وتحس نفوسهم بهجة الصلة بالله رب العالمين، ولكنهم لم ينتفعوا بهذه النعم والبراهين، حتى طلبوا طلباً غريباً، إذ طلبوا من سيدنا موسى -عليه السلام- بأن يشركوا بالله آلهة أصناماً^(٧٦٨)، ويبدو أن هذا الطلب، بسبب قصور فهمهم عن فكرة توحيد الألوهية، وإغراقهم في المادية الملموسة، ونلاحظ من هذا الطلب تمزيق المجتمع إلى مجموعات توحيد صغيرة، فكان من الأولى لهم أن يدعوا أهل القرية إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونلاحظ أيضاً أن هذه الصفة من صفات عبدة الأصنام، يتمزقون وينشقون إلى مجموعات متنافرة، تتبع كل منها معطيات معتقداتها اللاعقلانية المضللة^(٧٦٩).

^{٧٦٦} - سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

^{٧٦٧} - أحمد بن حنبل، (ت ١٦٤ - ٢٤١ هـ) الموسوعة الجديدة، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، حديث رقم ٢١٩٠٠، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مج ٣٦، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٢٣١، حديث صحيح.

^{٧٦٨} - عبدالله، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ٧. وانظر: الخولي، بنو إسرائيل في ميزان القرآن، المرجع السابق، ص ١٥٧. وانظر: محمد الخطيب، مصر أيام الفراعنة، دار علاء الدين، دمشق، ط ١، ٢٠٠١ م، ص ٧٢.

^{٧٦٩} - قعدان، مدينة الله في الأرض، المرجع السابق، ص ٢٠.

وعلى هذا المنوال تعلق نفوس بعض بني إسرائيل بأصنام أهل تلك القرية، فهم لم يخرجوا من عاداتهم الوثنية التي أخذوها من المصريين^(٧٧٠).

٢- عبادة العجل:

استخلف سيدنا موسى -عليه السلام- على بني إسرائيل أخاه سيدنا هارون -عليه السلام- ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، وتركهم سيدنا موسى -عليه السلام- «ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين»^(٧٧١)، وأشار هنا إلى أن المفسدين من بني إسرائيل، مجموعة منهم، وليس كل بني إسرائيل^(٧٧٢)، ودليل على ذلك قوله -تعالى-: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»^(٧٧٣).

فقضية الإفساد تحصل في كل أمة مع نبيهم، كما أن منهم العالمين ومنهم دون ذلك، فقد مر بنا حديث رسول الله ﷺ في حكاية مشابهة بقومه ﷺ حين رافقوه ﷺ في غزوة حنين، وهم في العهد الجديد في الإسلام ولم يتخلصوا بعد من الثقافة الجاهلية، فطلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط كما للقوم ذات أنواط، فرد عليهم رسول الله ﷺ قائلاً: "الله أكبر، إنكم قوم تجهلون"، وكل هذه الأحداث إنما تدخل في إطار الابتلاء والاختبار فمنهم من يثبت ومنهم من يتزعزع^(٧٧٤).

وأرجع إلى توضيح كيف وقعت عبادة العجل في غياب سيدنا موسى -عليه السلام-، وأولاً ينبغي أن ننبه أن سيدنا هارون -عليه السلام- نبي مرسل شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء-^(٧٧٥)، كما أشير إلى أن سيدنا موسى -عليه السلام- يعرف قومه، وخلافة سيدنا هارون -عليه السلام- في غيابه هي للقضاء بين بني إسرائيل، ولا يمكن أن يفهم استخلافه على بني إسرائيل خشية منه من الفساد وإنما نصحه سيدنا موسى -عليه السلام- بأن يتوخى الإصلاح فيما يقضيه بين الناس وألا يتبع هوى المفسدين منهم^(٧٧٦)، وعندما ذهب سيدنا موسى -عليه السلام- إلى الطور، ليناجي ربه، ويتلقى منه الألواح التي تحتوي شريعة الله رب العالمين، إلى بني إسرائيل، وفي غيبته قام أحد المفسدين أطلق عليه

^{٧٧٠} - طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص ٢٨. وانظر: الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٣، القرآن، ص ٦٦٥. وكنعان، بنو إسرائيل واليهود، المرجع السابق، ص ٣٢. والخالدي، الشخصية اليهودية من خلال المرجع السابق، ص ٧٧. ومحمود الكتاني، مزاج التنسين في قصص الأنبياء والمرسلين، مراجعة عبدالله الفارق، دار الفدين للنشر والتوزيع، المفرق، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ص ٥٠-٥١.

^{٧٧١} - سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

^{٧٧٢} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٧٠.

^{٧٧٣} - سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

^{٧٧٤} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٧١.

^{٧٧٥} - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢٥.

^{٧٧٦} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٧٥.

القرآن الكريم، اسم السامري، فقد جمع زينتهم وحليهم وصنع منها عجلًا جسدًا له خوار، ودعاهم إلى عبادته، قائلاً لهم: هذا إله موسى، فجعلوا يطوفون حوله، ولم يستمعوا لنهي سيدنا هارون عليه السلام عن كفرهم بالله رب العالمين، فقد قال لهم في قوله -تعالى- عن الحكاية: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾^(٧٧٧)، فقد بين لهم سيدنا هارون عليه السلام، أن الله العليم اختبر إيمانهم، ومحافظةهم على دينه التوحيدي بذلك العجل الذي صنعه السامري، ليعلم من كان صحيح الإيمان منهم ومن كان شاكاً في دينه، فأمرهم بأن يتبعوه في عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يطيعوا فيما يأمرهم به من طاعة الله رب العالمين، وترك عبادة العجل^(٧٧٨)، ولكن ما رسخ في قلوب الذين عبدوا العجل من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية في مصر، لم يهتدوا بقول سيدنا هارون -عليه السلام-، ولم يروا أن هذا العجل صنم لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، ولا يهدي إلى رشد^(٧٧٩). قال الله -تعالى-: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً﴾^(٧٨٠)، هذا فماذا كان جواب الذين عبدوا العجل على سيدنا هارون -عليه السلام-؟!، ومن الواضح أن تلك المجموعة من بني إسرائيل قد ضلوا أشد الضلال، بتدبير السامري الذي تسبب في إضلالهم بصياغته العجل من الحلي^(٧٨١)، قال الله -تعالى-: ﴿وأضلهم السامري﴾^(٧٨٢)، وكان السامري "منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر"^(٧٨٣)، وبهذا الضلال رد عبدة العجل على سيدنا هارون -عليه السلام- قائلين: "الن نزال مقيمين على العجل نعبد حتى يرجع إلينا موسى"^(٧٨٤)، قال الله -تعالى-: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾^(٧٨٥)، وهذا الاستغلال لعقول البسطاء من عبدة العجل تصوروا تصوراً مادياً حسيماً للألوهية، التصور المادي الذي تأثروا بالهة مصر، التي على شكل التمثال، توضع داخل بيوتهم ويبنونها أحياناً المعابد المستقلة، ويضعون فيها الأصنام مصبوغة بالذهب وبأشكال البقر وعلى هيئة الرجل له رأس صقر^(٧٨٦)، ولذا تصوروا أن الإله الذي يدعو سيدنا موسى -عليه السلام- لعبادته، يجب أن يكون شيئاً حسيماً مرئياً، فلما تأخر سيدنا موسى -عليه السلام- من النزول من الطور استعجلوا إلى إيجاد ما يشبعون أرواحهم بالعبادة فعبدوا عجل

^{٧٧٧} - سورة طه، الآية ٩٠.

^{٧٧٨} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣١٠.

^{٧٧٩} - رضا، تفسير المنار، المصدر السابق، ج ٩، ص ١٧١. وانظر: الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٧٦.

^{٧٨٠} - سورة طه، الآية ٨٩.

^{٧٨١} - محمد أمين بن محمد السنقيطي، (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ج ٤، د. ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥، ص ٧٩.

^{٧٨٢} - سورة طه، الآية ٨٥.

^{٧٨٣} - الزخشري، الكشاف، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٩.

^{٧٨٤} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣١٠.

^{٧٨٥} - سورة طه، الآية ٩١.

^{٧٨٦} - قعدان، مدينة الله في الأرض، المرجع السابق، ص ٢١. وانظر: نجيب، الأثر الجليل لقدماء وادي النيل، المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٤. وإرمان، ديانة مصر

القديم، المرجع السابق، ص ١٣١. وبدوي، في موكب الشمس، المرجع السابق، ص ٧٦٨.

السامري، توهماً أن سيدنا موسى -عليه السلام- يعبد العجل، وعلى حالتهم هذه الغربية اعتزلهم سيدنا هارون -عليه السلام- مع الذين لم يعبدوا العجل من بني إسرائيل، ولما رجع سيدنا موسى -عليه السلام- سمع الصياح والجلبة، فلما رأى أخاه هارون عليه السلام أخذ شعر رأسه ولحيته غضباً^(٧٨٧) ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفصيت أمري قال بينوم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾^(٧٨٨)، وقوله تعالى: ﴿... قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾^(٧٨٩)، وهذه الآيات تشير ضمناً أن سيدنا هارون -عليه السلام-، قد اعتزل عبدة العجل لأنهم كادوا أن يقتلوه، وأما غضب سيدنا موسى -عليه السلام- فكان باعتبار أخيه شريكه في تربية بني إسرائيل على دين الإسلام وقيمه وإعادة صياغة المجتمع الإسرائيلي على دين جميع الرسل الذي وصاهم به سيدنا يعقوب -عليه السلام-، وهذا الغضب كما يقول الرازي: "أن موسى عليه السلام، أقبل وهو غضبان على قومه فأخذ برأس أخيه وجره إليه كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب فإن الغضبان المتفكر قد يعرض على شفثيه ويقتل أصابعه ويقبض لحيته فأجرى موسى عليه السلام أخاه هارون مجرى نفسه لأنه كان أخاه وشريكه فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه في حال الفكر والغضب"^(٧٩٠). وأما قوله ﴿ألا تتبعن﴾ فيرى بعض المفسرين أن معناه "ما منعك من اللحق بي لما فتتوا"^(٧٩١)، وأما قوله ﴿أفصيت أمري﴾ قيل: معناه يريد أن مقامك بينهم وقد عبدوا العجل ولم تمنعهم لأنني أخلفتك في أمرهم لتهدئهم وتأمروهم بعبادة الله وحده وقد عبدوا غير الله -تعالى-، فهذا عصيان منك لي^(٧٩٢)؛ وكان جواب سيدنا هارون -عليه السلام- لابن أمه جواباً استعطافاً له، على نفسه برحم الأم، وجواباً بيانياً لموقفه من الذين عبدوا العجل وأنهم خالفوه واستضعفوه وتركوا طاعته لما نهاهم عن عبادة العجل، بل كادوا يقتلوه^(٧٩٣)، قال الله -تعالى-: ﴿قال بينوم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾^(٧٩٤) وقال أيضاً ﴿... قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾^(٧٩٥)، فلما علم سيدنا موسى -عليه السلام- أن أخاه لم يفرط في الواجب وأنه ما ترك أوامره، وأنه نهى قومه عن عبادة العجل

^{٧٨٧} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١١، ص ١٥٧.

^{٧٨٨} - سورة طه، الآيات ٩٢-٩٤.

^{٧٨٩} - سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

^{٧٩٠} - الرازي، التفسير الكبير، المصدر السابق، ج ١١، ص ١٠٩.

^{٧٩١} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١١، ص ١٥٨.

^{٧٩٢} - المصدر ذاته، ج ١١، ص ١٥٨.

^{٧٩٣} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٧٥.

^٦ - سورة طه، الآيات ٩٢-٩٤.

^{٧٩٥} - سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

عذره^(٧٩٦)، وقال: «رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين»^(٧٩٧)، وبعد الحوار بين سيدنا موسى وأخيه هارون -عليهما السلام-، أقبل على السامري فقال له: «ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه، وانظر إلى إهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً»^(٧٩٨). يريد سيدنا موسى -عليه السلام- أن يعرف ما الذي حمل السامري على ما صنع، فقال له السامري، أنه رأى الرسول، ولست بصدد ترجيح معنى الرسول الذي رآه السامري، لأن القرآن الكريم لم يذكره، وإن كان يُرى أنه جبريل -عليه السلام-^(٧٩٩)، وما يهمني هنا هو الجانب العقدي؛ وما فعله السامري، أنه استغل حنين القوم لعبادة الأوثان، فاستغل الحاجة النفسية، لبعض بني إسرائيل، وحققها لهم، واختار أن يكون العجل ذهباً، لأنه يعلم ضعف بعضهم، إزاء الذهب عموماً، ولما سأله سيدنا موسى عليه السلام، ادعى بأنه بصر بما لم يبصروا به وقبض قبضة من أثر الرسول، -أي حفنة من التراب الذي سار عليه الرسول- وسولت له نفسه بذلك^(٨٠٠)، فلم يناقش سيدنا موسى -عليه السلام-، السامري في ادعائه، إنما قذف وجهه حكم الحق، لأن سؤاله للتعجب من جريمة السامري، وفتنته لبني إسرائيل واستغلالهم بتقليد المصريين في عبادة الأوثان، وأما الجريمة التي حكم فيها سيدنا موسى عليه السلام بحكمه المزدوج، على السامري، وهي تلك التي في قوله -تعالى- عن الحكاية: «قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه، وانظر إلى إهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً»^(٨٠١) وكانت العقوبة التي أوقعها الله رب العالمين على السامري رهيبية، فقد عاش منبوذاً محتقراً لا يلمس شيئاً ولا يمس أحداً ولا يقترب منه أحد في الدنيا ويوم القيامة له عقوبة النار^(٨٠٢).

وبعد أن نسف سيدنا موسى -عليه السلام- العجل في اليم التفت إلى قومه فأفهمهم أنهم ظلموا أنفسهم بعبادة ما لا يجوز أن يعبدوه، وأن فعلهم هذا ظلم عظيم فعليهم بالتوبة من الشرك والرجوع إلى الله ربهم المستحق لعبادة، وشرع لهم شروط التوبة بأن يقتلوا أنفسهم^(٨٠٣)، وفي ذلك يقول الله -سبحانه-: «وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى

^{٧٩٦} - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٧٦.

^{٧٩٧} - سورة الأعراف، الآية ١٥١.

^{٧٩٨} - سورة طه، الآيات ٩٤-٩٨.

^{٧٩٩} - بمحت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٣٣.

^{٨٠٠} - المرجع نفسه، ص ٢٣٤-٢٣٨.

^{٨٠١} - سورة طه، الآية ٩٧.

^{٨٠٢} - بمحت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

^{٨٠٣} - المرجع نفسه، ص ٢٣٨.

بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند ربكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم^(٨٠٤)، ويذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود من «فاقتلوا أنفسكم»، تعنى "الإيمان في الندم والتوبة والاستغفار لدرجة الموت"^(٨٠٥)، ونلاحظ استخدام القرآن الكريم بلفظة «فاقتلوا» للدلالة على عظمة الخطأ وأنه لا يوجد ظلم أكبر من الشرك بالله في العبادة، فبالتالي، يقابل هذا الظلم الإيمان بالشدة في الندم والتوبة وإخراج شوائب الكفر من النفوس وهذا لا يتم إلا بالجهد الكبير مع النفوس التي رانت بالشرك.

وقد وقعت عملية التوبة بعد أن عاد سيدنا موسى -عليه السلام- إلى هدوئه وجهاده في تربية بني إسرائيل على دين الإسلام وتهذيب نفوسهم من الشوائب والبيان لهم، أن الإله هو الله الذي لا إله إلا هو، وسع كل شيء علماً وأن الأصنام التي رانت على قلوبهم على عبادتها، لا تضر ولا تنفع ولا تتكلم ولا تعلم شيئاً، فأخذ سيدنا موسى عليه السلام، بعد ذلك المشهد، الألواح وقرأ لهم أحكامها وتشريعاتها وتعليماتها، وأمرهم بأن يأخذوها بقوة وعزم^(٨٠٦) قال الله -تعالى-: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾^(٨٠٧).

ثم بعد هذا البيان، والإرشاد، واختار سيدنا موسى -عليه السلام- من قومه سبعين رجلاً لميقات ربهم، وليربهم المهمة، التي أخرجهم الله -عز وجل من مصر، لأجلها، ولعلمهم إن رجعوا إلى قومهم وقفوا معه، في تربيتهم، على الإسلام، وليكون معه جماعة أكثر تصوراً مما كانت الخطورة، من فعل عبادة العجل، قال الله -تعالى-: ﴿واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا...﴾^(٨٠٨).

والذين اختارهم سيدنا موسى -عليه السلام- هم من صالحى بني إسرائيل وأكثرهم إيماناً واطاعة لله -عز وجل- فساروا معه إلى الجبل لميقات الله -عز وجل- في جبل الطور ولما وصلوا هناك وطلب منهم سيدنا موسى -عليه السلام- العهد والبيعة رفضوا وطلبوا أن يروا الله جهرة، قال المفسرون: أنهم سمعوا كلام الله -عز وجل- فطلبوا رؤيته^(٨٠٩) عندها رفع الله -عز وجل- الطور،

^{٨٠٤} - سورة البقرة، الآية ٥٤ .

^{٨٠٥} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٦٨ .

^{٨٠٦} - بمحت، أنبياء الله، المرجع السابق، ص ٢٣٩ .

^{٨٠٧} - سورة الأعراف، الآية ١٥٤ .

^{٨٠٨} - الأعراف، الآية ١٥٥ .

^{٨٠٩} - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٤ . وانظر: إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق نخبة من علماء دار الكتب المصرية، دار المعرفة، بيروت، ج ١، د، ط، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، ص ٩٣ . والقرآن لم يذكر بأنهم سمعوا كلام الله عز وجل في ذلك الموقف .

فوق رؤوسهم وهددهم بإلقائه عليهم إن لم يبايعوا، فبايعوا الله - عز وجل - بالسمع والطاعة^(٨١٠)، وأن ينفذوا ما جاءهم به سيدنا موسى - عليه السلام -، من الشرائع.

- طلب رؤية الله - عز وجل -:

يذكر القرآن الكريم على أن بني إسرائيل شرطوا الإيمان برؤية الله - عز وجل - جهرة، بأعينهم في الدنيا، فقالوا لسيدنا موسى - عليه السلام -: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، وعلى إثر هذا الطلب من القوم أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم إلى بعض، ليكون ذلك برهاناً لهم^(٨١١)، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٨١٢)، وإذا لاحظنا في هذه الآية والآيات الأخرى الكثيرة السابقة، في طلب بني إسرائيل لإله مادي، يُرى بالعين، ويُلمس باليد، سنجد شدة تأثر بني إسرائيل بالمعبودات المصرية المادية الوثنية، فهم بعد أن جاوزوا البحر طلبوا من سيدنا موسى - عليه السلام -، أن يجعل لهم إلهاً، يشعرون بوجوده معهم ويرونه، وعبدوا العجل، في غياب سيدنا موسى - عليه السلام -، ولا يزالون، يتصورون في الإله الذي يدعو إليه سيدنا موسى - عليه السلام -، ويقول لهم: أن ذلك الإله، هو ربهم، و رب العالمين، الذي خلقهم، وخلق كل شيء، ليس له ند، لا في العبادة، ولا في سواها، فهم ما طلبوا رؤية الله - عز وجل - إلا لأنهم يريدون إلهاً مادياً يلمسونه ويخاطبونه كآلهة المصريين الذين كانوا قد فارقوهم إلى كنعان عبر سيناء^(٨١٣) وفي هذا - أي شدة تأثر بني إسرائيل بالوثنية - عبرة للدعاة إلى الله - عز وجل - في هذا الزمان، فالنفس المضمنة على الشرك يصعب عليها التخلص من الشوائب، إلا من رحمه الله - سبحانه -، فبعض الدعاة يقعون في الأخطاء الجسيمة، عندما يرون بعض إخوانهم - سواء من كان جديد العهد في الإسلام، أم ولدوا في الإسلام، ولم يتضح في أذهانهم التصور الفكري الديني - يعملون عمل الشرك فيواجهونهم بالعنف، ولا يستخدمون أساليب الأنبياء عليهم السلام، في الدعوة إلى الله - عز وجل -.

ومهما يكن من أمر فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يمكن رؤيته في الدنيا، فقد طلب سيدنا موسى - عليه السلام - رؤيته فلم يره فأصابته الصاعقة، لا يوجد خبر صحيح بأن الأنبياء - عليهم السلام -، رأوا الله - سبحانه - في الدنيا، وإذا كانوا لم يروه، في الدنيا، باعتبارهم أفضل خلق الله الحكيم، فلا يمكن لغيرهم رؤيته، في الدنيا، وقد ذكر القرآن الكريم عدم رؤية الله - سبحانه -، في الدنيا في خطاب سيدنا موسى - عليه السلام - بقوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ

^{٨١٠} - الخالدي، الشخصية اليهودية في القرآن، المرجع السابق، ص ٨٤.

^{٨١١} - النجار، قصص الأنبياء، المرجع السابق، ص ٣٣٩.

^{٨١٢} - سورة البقرة، الآيات ٥٥-٥٦.

^{٨١٣} - فحج، اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص ١٣٥.

ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين^(٨١٤)، وأما رؤيته في اليوم الآخر، فجمهور المسلمين يثبتون رؤيته تعالى في اليوم الآخر^(٨١٥)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾^(٨١٦).

اليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من أهم أصول العقيدة التي دعا الرسل -عليهم السلام- إليها، بعد الإيمان بالله رب العالمين، وهو عبارة "عن الاعتقاد الجازم بانتهاى هذه الحياة الدنيا وما فيها، وبداية حياة جديدة، هي الدار الآخرة، وما يتم فيها من بعث ونشر وحشر وحساب وجزاء"^(٨١٧)، قال الله - تعالى: ﴿ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین...﴾^(٨١٨). وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ... أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر...^(٨١٩)، وعلى هذا الأساس من إمكانية البعث، اقتضت حكمة الله - سبحانه -، أن يُري بني إسرائيل معجزة البعث يوم القيامة وهم في الدنيا في قصة البقرة، فقد اختبر إيمانهم في تنفيذ التكليف دون تباطؤ والإيمان باليوم الآخر دون إنكار، فجعل الميت يقف أمامهم وينطق اسم من قتله، وهم يرون ويسمعون، ليتفكروا ويتدبروا ويعلموا أن الله على كل شيء قدير^(٨٢٠)، قال الله - تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً...﴾^(٨٢١). أراد الله - سبحانه - أن يرى بنو إسرائيل آياته وقدرته على إحياء الموتى، يوم القيامة الذي ينكره بعضهم، فأجرى معجزته بإحياء المقتول لينطق باسم من قتله، لعلهم يؤمنون باليوم الآخر وينتهون من إنكار حدوثه، فيردهم بذلك إلى الإيمان، فإذا امتلأت قلوبهم بالإيمان فإن كل جوارحهم تتبعها وتسير وراءها^(٨٢٢) وتتعم قلوبهم بطاعة أوامر سيدنا موسى -عليه السلام-.

^{٨١٤} - سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

^{٨١٥} - قحطان الدوري، وصاحبه، أصول الدين الإسلامي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص ١٥٣.

^{٨١٦} - سورة القيامة، الآيات ٢٢-٢٣.

^{٨١٧} - أحمد محمد أحمد جلي، "الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان"، في مجلة البحوث الإسلامية، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرياض، عدد ٣٦، ربيع الأول-ربيع الثاني، جمادى الأولى-جمادى الثانية، ١٤١٣هـ، ص ٣١١.

^{٨١٨} - سورة البقرة، الآية ١٧٧.

^{٨١٩} - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم ٩٣، المصدر السابق، ص ٢٤.

^{٨٢٠} - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج ١، ط ١، ١٤٦هـ-١٩٩٦م، ص ٥٩.

^{٨٢١} - سورة البقرة، الآيات ٦٧-٧٣.

^{٨٢٢} - الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، المرجع السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

المطلب الثاني: الآثار التشريعية للخروج في القرآن الكريم:

جاء ذكر بعض شرائع بني إسرائيل في القرآن الكريم مجملة دون تفصيل كيفية أدائها، كما هو الشأن في شرائع الأمة المحمدية فقد ذكرت في القرآن الكريم دون تفصيل أدائها، وإنما بينها على سيدنا محمد ﷺ.

وأصول هذه الشرائع التي أنزلها الله - عز وجل - على سيدنا موسى - عليه السلام -، هي أصول شرائع المسلمين، إلا الحج الذي لم يرد ذكره في القرآن الكريم في سياق خروج بني إسرائيل من مصر و الشرائع التي ورد ذكرها أثناء إقامة بني إسرائيل في بركة سيناء هي: الصلاة والزكاة والمعاملات والأعياد، وأما الصوم فقد جاء ذكره في السنة المطهرة.

قال الله - تعالى - : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٨٢٣)، وهناك آية أخرى جاءت في سياق سيدنا موسى - عليه السلام - بأن يقيموا الصلاة وهم في مصر قبل الخروج وهي تؤيد هذه الآية أن المقصود بهم هنا هم الذين كانوا مع سيدنا موسى - عليه السلام - في بركة سيناء حين نزلت التوراة، قال الله - تعالى - : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨٢٤)، ومن المعلوم أن الميثاق الذي أخذه الله - عز وجل - على بني إسرائيل كان في بركة سيناء في جبل الطور، فقد ذهب بعض المفسرين إلى القول أن "الميثاق الذي أخذه الله عليهم هنا هو ما أخذه عليهم في حياتهم على ألسن أنبيائهم"^(٨٢٥)، فهذا القول جائز، أن يكون المقصود، هم بنو إسرائيل على مختلف أزمانهم، لأن أخذ الميثاق بمعنى العهد المؤكد باليمين غاية التأكيد^(٨٢٦)، فهو بمعنى الاستخلاف يستخلف الجيل بعد الجيل^(٨٢٧).

وأما قوله - تعالى - : ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يقول الشوكاني: "وعباداة الله إثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما أنزل في كتبه"^(٨٢٨)، هذا، فبنو إسرائيل سواء جاء النص الصريح في القرآن الكريم أو لم يصرح به القرآن الكريم من أصول الشرائع أو أمهات الأحكام في العبادات والمعاملات، فهم مأمورون بأدائها، مثل: الصوم، الذي لم يصرح القرآن الكريم أن بني إسرائيل يصومون يوم عاشوراء، وما جاء في القرآن الكريم في موضوع الصيام كان مجملاً، فسأذكر فيما بعد، الآية القرآنية التي أشارت إلى صيام الأمم السابقة في السياق العام دون التفصيل، وما نجده

٨٢٣ - سورة البقرة، الآية ٨٣.

٨٢٤ - سورة يونس، الآية ٨٧.

٨٢٥ - الشوكاني، فتح القدير، المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٨.

٨٢٦ - الصابوني، صفوة التفاسير، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٤.

٨٢٧ - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٢.

٨٢٨ - الشوكاني، فتح القدير، المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩.

في صيام بني إسرائيل عند خروجهم، إنما ما جاء في السنة المطهرة، فسأذكره في موضعه، إن شاء الله، وجميع الأمم السابقة كتب عليهم الصيام، ولم يصرح القرآن الكريم صيام تلك الأمم عند سياق الأحداث لتلك الأمم، قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٨٢٩) جاءت هذه الآية مجملةً في ذكر صيام الأمم السابقة ولم يصرح الذكر الحكيم كيف كانوا يصومون وفي أي شهور فرض عليهم الصيام.

وأياً كان الأمر فإن بني إسرائيل أمروا بالعبادات في أثناء خروجهم من مصر، فالأصل الأول لدين الله رب العالمين على السنة جميع رسله هو أن يعبد الله وحده، ولا يشرك بعبادته أحد سواه من ملك ولا بشر ولا ما دونهما بدعاء ولا بغيره من أنواع العبادة^(٨٣٠).

والأصل الثاني حسب ما ذكرته الآية هو: الإحسان بالوالدين وهو نهاية البر من الرعاية والعناية والإكرام لهما لأنهما بذلا في تربية الولد والقيام بشؤونه أيام كان ضعيفاً عاجزاً لا يملك لنفسه نفعاً، فهذا هو الإحسان الذي يكون منهما عن علم واختيار بل مع الشغف الصحيح والحنان العظيم، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان^(٨٣١)، هكذا أمر بنو إسرائيل في أثناء خروجهم، وهذا الأمر يدخل فيه جميع الناس فلا يخص فرداً دون آخر، قال الله -تعالى-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٨٣٢)، كما أمر الله -عز وجل- بالإحسان بذي القربى لتقوية غرائز الفطرة وتوثيق الروابط الطبيعية بين الأقربين، حتى تبلغ البيوت في وحدة المصلحة، درجة الكمال، وكذلك أمر سبحانه بالإحسان إلى اليتامى والمساكين وبالقول الحسن للناس، فإن هذه الأوامر، هي الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل في رحلتهم الطويلة، وأما الحسن في الآية، فهو النافع في الدين أو الدنيا، والقيام بهذه الفرائض إصلاح للناس كلهم.

الأصل الثالث في الآية الكريمة: إقامة الصلاة، فقد أمر الله بني إسرائيل بإقامة الصلاة مجملاً، وهي فرض عين على كل إنسان، ولذا جاء الأمر مجملاً ليعلم الإنسان أنه مكلف بكل فرد من أفرادها بحسب الطاقة ولكن من العبادة ما لا يهتدي إليه الإنسان إلا بهداية إلهية مثل: إقامة الصلاة، لإصلاح نفوس الأفراد^(٨٣٣)، كما أمروا أيضاً بإيتاء الزكاة لإصلاح شؤون المجتمع^(٨٣٤)، يقول الطبري: "الخطاب في ظاهره لليهود الذين كانوا في المدينة، لكنه شامل لكل من أعطي

٨٢٩- سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٨٣٠- رضا، تفسير المنار، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩٨.

٨٣١- المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٨٣٢- سورة الإسراء، الآية ٢٣.

٨٣٣- رضا، تفسير المنار، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩٩.

٨٣٤- المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩٩.

الميثاق منذ موسى ومن بعده وكل من شهد بتصديق ذلك الميثاق^(٨٣٥)، فيكون الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل، هم الذين خرجوا من مصر إلى بركة سيناء حيث نزل الله العلي التوراة.

* صوم يوم عاشوراء:

جاء في السنة المطهرة ذكر صوم يوم عاشوراء، الذي يصومه بنو إسرائيل تقريباً إلى الله - عز وجل - وشكراً له في اليوم الذي أنجاهم فيه من فرعون وجنوده، حيث كان يستبد بهم ويسخرهم بالأعمال الشاقة، وظلوا على العبودية والاضطهاد إلى أن أرسل الله رب العالمين سيدنا موسى - عليه السلام - إلى فرعون، وطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل وجرى الحوار بينهما إلى أن خرجوا من مصر في الليلة كان صباحها يوم عاشوراء، وقد أشرت إلى ذلك في عدة مواضع^(٨٣٦)، فكان بنو إسرائيل يصومونه شكراً لله على نجاتهم من العذاب إلا أن القرآن الكريم لم يذكر هذا الصيام، وقد جاء ذكره في الأحاديث الصحيحة، أذكر بعضها، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

- عن ابن عباس قال: "قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي ﷺ لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموا"^(٨٣٧).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: "فحنن أحق وأولى بموسى منكم"، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه^(٨٣٨).

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما "عن صيام عاشوراء، قال: ما علمت النبي ﷺ صام يوماً يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم، يعني شهر رمضان ويوم عاشوراء"^(٨٣٩).

يقول النووي: "والحاصل من مجموع الأحاديث أن يوم عاشوراء كانت الجاهلية من كفر قريش وغيرهم واليهود يصومونه وجاء الإسلام بصيام متأكداً، ثم بقي صومه أخف من ذلك

٨٣٥- الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٩.

٨٣٦ - انظر، مبحث زمن الخروج، من الرسالة.

٨٣٧- البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: (وجازنا بني إسرائيل...) سورة يونس، الآية ٩٠، حديث رقم ٤٦٨٠، المصدر السابق، ص ٥٥٣. وانظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صيام يوم عاشوراء، حديث رقم ٢٦٥١، المصدر السابق، ص ٤٦١. وانظر أيضاً: سليمان بن الأشعث السجستاني أبا داود، (ت ٥٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، دراسة كمال يوسف الحوت، كتاب الصيام، باب في صوم يوم عاشوراء، حديث رقم ٢٤٤، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص ٧٤٢.

٨٣٨- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صيام يوم عاشوراء، حديث رقم ٢٦٥٨، المصدر السابق، ص ٤٦٢.

٨٣٩- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، شرح سنن النسائي أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ج ٣، د.ط، د.س، ص ٢٠٤.

التأكد^(٨٤٠)، وسواء كان صيام يوم عاشوراء سنة مؤكدة أو غير مؤكد، إلا أنه ورد في السنة أن بني إسرائيل صاموا يوم عاشوراء - اليوم الذي أنجاهم الله - سبحانه وتعالى - من فرعون وجنوده. وأما القول بأن أهل الجاهلية كانوا يصومونه، وأن النبي ﷺ كان يصومه في الجاهلية، وأن قريشاً صاموا يوم عاشوراء فجائز أن يكون الجاهليون وقريش تلقوه من الشرع السالف، الذين كانوا على دين الإسلام قبل الرسالة المحمدية ولذا كان الجاهليون يعظمونه^(٨٤١).

"وعن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال: أذنبت قريش ذنباً في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم: صوموا عاشوراء يكفر ذلك" وهذا الأثر يؤيد أن الجاهليين لعلمهم تلقوا صيام عاشوراء من الشرع السالف.

وأما قوله ﷺ: "نحن أحق بموسى أو أولى" يدل على أولوية المسلمين وأحقيتهم بجميع الأنبياء - عليهم السلام ومنهم سيدنا موسى - عليه السلام - فلا تفريق بين أحد منهم، وفيه إشعار وحدة الدين، وأن الله واحد، وأن لا نعبد إلا الله لا شريك له^(٨٤٢).

وأما صيام اليهود يوم عاشوراء بهذا التحديد (هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم) يقول ابن حجر: "يحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه ﷺ المدينة"^(٨٤٣)، وثمة شيء آخر وهو سبب صيام عاشوراء، فمن المحتمل أن يكون شكراً لله رب العالمين وتعظيماً له على نجاة سيدنا موسى عليه السلام ومن معه وليس احتفالاً بالعيد، لأن يوم العيد لا يصام^(٨٤٤)، وعن قتادة قال: "لما أغرق الله فرعون لم يصدق طائفة من الناس بذلك فأخرجه الله ليكون لهم عظة وآية"^(٨٤٥)، وفي هذا الأثر إشارة إلى الفئة من بني إسرائيل التي عانى سيدنا موسى - عليه السلام - منهم من كثرة أسئلتهم وطلب ما لا يليق بطلبه.

- يوم السبت:

جاءت الآيات عديدة تتحدث عن يوم السبت وحرمة، عند بني إسرائيل، ومن هذه الآيات قوله -تعالى-: «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ»^(٨٤٦)، وقوله تعالى: «وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ

٨٤٠- محي الدين النووي (ت ٥٦٧هـ)، المنهاج بشر صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، ج ٧، ط ٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٢٥١.

٨٤١- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار التقوى، ومكتبة العلم، القاهرة، مج ٤، ط ٤، د.س، ص ٣٠٧.

٨٤٢- المصدر نفسه، مج ٤، ص ٣٠٨.

٨٤٣- العسقلاني، فتح الباري، المصدر السابق، مج ٤، ص ٣٠٨.

٨٤٤- المصدر نفسه، مج ٤، ص ٣٠٩.

٨٤٥- المصدر نفسه، مج ٨، ص ٢١٤.

٨٤٦- سورة البقرة، الآيات ٦٥-٦٦.

الْفَرِيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا
يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٨٤٧﴾.

تعود فكرة تقديس يوم السبت عند بني إسرائيل واتخاذها عيداً لهم زعمهم بأن الله -تعالى- خلق السموات والأرض في ستة أيام، بدءاً من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، فتعب وارتاح وتنفس في اليوم السابع فأمرهم أن يسبتوا فيه، فلا يجوز القيام بأي عمل فيه وهو يوم عيد واليوم العظيم في الديانة اليهودية، ويجب على كل معتق للديانة اليهودية مراعاة حرمة يوم السبت ومن خالف حرمة هذا اليوم واشتغل فيه، فقد ارتكب جرماً عظيماً، ولم يكن عندهم خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبت إلا عبادة الأوثان^(٨٤٨)، وقد ذكر بعض الباحثين ميزات يوم السبت التي يمارسها اليهود، ومن ميزات هذا اليوم ما يلي:

أ. تخصيص هذا اليوم للعبادة والقيام فيه بالطقوس الخاصة لهذا اليوم وتقديم الذبائح والقرابين^(٨٤٩).
ب. الاعتداء على حرمة يوم السبت جريمة وخطيئة لا تفوقها إلا عبادة الأوثان، لأنه يوم الرب فيه استراح^(٨٥٠).

وقد أقر القرآن الكريم حرمة يوم السبت في شريعة سيدنا موسى -عليه السلام-، وعلى هذا، ابتلى الله العليم بني إسرائيل في هذا اليوم، وأخذ منهم الميثاق، بوجوب مراعاة حرمة هذا اليوم وعدم نقضهم ميثاقه - سبحانه وتعالى -^(٨٥١).

ومن الآثار التي وردت في تفسير الآيات السابقة ما روي عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾^(٨٥٢)، قال قتادة: "أحلت لهم الحيتان في أيام الأسبوع ولم تحرم عليهم إلا يوم السبت امتحاناً من الله لهم ليعلم من يطيعه ممن يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف:

- صنف وقف عند حدود الله، ونهى الآخرين عن المعصية.
- وصنف أمسك عن المعصية ولكنه سكت على العصاة.
- وصنف انتهك حرمة الله وارتكب المعصية.

فمسخ الله العصاة^(٨٥٣).

٨٤٧- سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

٨٤٨- شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية، المرجع السابق، ص ٣٠٤. وانظر: الخطيب، أديان وفرق، المرجع السابق، ص ٥٠.

٨٤٩- المرجع نفسه، ص ٥١.

٨٥٠- طبارة، اليهود في القرآن، المرجع السابق، ص ٣٥.

٨٥١- المرجع نفسه، ص ٣٥.

٨٥٢- سورة البقرة، الآية ٦٥.

٨٥٣- الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٣.

والصنف الذي مسخه الله - سبحانه وتعالى -، ما روي عن ابن رومان: "أنهم كانوا يأخذ الرجل منهم خيطاً ويضع فيه وهقة وألقاها في ذنب الحوت وفي الطرف الآخر من الخيط وتد وتركه كذلك إلى الأحد، ثم تطرق الناس حيث رأوا من صنع لا يبتلى، حتى كثر صيد الحوت ومشى به في الأسواق. وأعلن الفسقة بصيده، فقامت فرقة فنهت وجاهرت بالنهاي واعتزلت... وقالوا: لا نساكنكم، فقسما القرية بجدار، فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد؛ فقالوا: إن للناس لشأناً..."^(٨٥٤)، ومن أقوال المفسرين في أصحاب السبت قول الطبري إذ يقول: "أن قرية أصحاب السبت كانت على البحر وأن الله قد نهاهم عن صيد السمك يوم السبت وأباح صيده في الأيام الأخرى ولم يلتزم كثير منهم بهذا التكليف، فتحايلوا على حكم الله وصادوا السمك يوم السبت ووقف أمامهم فريق من صالحى أهل القرية ونهوههم عن مخالفة أحكام الله، وتكلم فريق ثالث، ولام الواعظين الناصحين، ووقع عذاب الله على المخالفين المعتدين فمسخهم الله قرده خاسئين، وأنجى الله الواعظين الناصحين"^(٨٥٥). قال الله - تعالى -: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾^(٨٥٦). وهؤلاء الذين يهدون بالحق ويعدلون به هم الذين كانوا يهدون الاعتداء على حرمة يوم السبت.

ومهما يكن من الأمر فإن الله - سبحانه وتعالى - أباح لبني إسرائيل العمل في ستة أيام من الأسبوع وحظر عليهم العمل في يوم واحد وهو السبت، وأمرهم أن يقوموا في هذا اليوم بالأعمال الدينية إحياءً للشعور الديني في قلوبهم فتجاوزت طائفة منهم حدود الله - تعالى - في السبت واعتدوا فكان جزاؤهم على ذلك الجزاء عقاباً لهم من لم يرض نفسه بآداب الدين^(٨٥٧). ويرى بعض المفسرين أن تلك القرية أيلة وقيل طبرية أو مدين، كما قالوا أيضاً بأن ذلك كان في زمن سيدنا داود - عليه السلام -^(٨٥٨)، فالعبرة المقصودة لا تتوقف على تعيين هذه الجزئيات، فالمقصود هو الاتعاظ لكل من يفسق عن أمر ربه^(٨٥٩)، سواء كان إسرائيلياً أو غير إسرائيلياً فالآيات القرآنية لا تخص قوم دون قوم، إلا ما كان بعض الخصوصيات للرسول - عليهم السلام.

٨٥٤ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٩. ويبدو أن هذا الأثر من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، وفيه أشياء لا حجة لها في شيء، وما ورد في قصة أصحاب السبت الذين مسخوا، وكيف كان المسخ، هل أن الله سبحانه وتعالى مسخ قلوبهم؟ أو مسخ حقيقي؟ فالعلم عند الله رب العالمين.

وأجدر من هذه القصة هو الاتعاظ والانزعاج من مخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى، وعدم انتهاك ما حرمه الله سبحانه وتعالى.

٨٥٥ - الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٢-٢٦٣.

٨٥٦ - سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

٨٥٧ - رضا، تفسير المنار، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٨١.

٨٥٨ - المرجع نفسه، ص ٢٨١.

٨٥٩ - المرجع نفسه، ص ٢٨١.

المطلب الثالث: الآثار الأخلاقية والنفسية للخروج في القرآن الكريم

الأخلاق من المكونات المهمة لأي دين، وخاصة الدين السماوي، فكل دين يتألف المعتقد به عادة، من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة، وتعمل على صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان في شكل صلوات وتراتيل مثلاً^(٨٦٠). فضمن هذا الشكل تظهر الأخلاق الدينية التي تنعكس في المجتمع إيجابياً أو سلبياً حسب ممارسة القاعدة الأخلاقية التي تنظم سلوك الفرد تجاه نفسه وتجاه الجماعة التي يشكلون أعضائها في الأنساق الاجتماعية ونظمها المرتبطة بالمفاهيم الدينية السائدة في المجتمع^(٨٦١).

وعلى هذا فإن "الأخلاق هي الركن الأساسي لأن الخلق هو ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال النفسانية من اعتقاد أو قول أو عمل بسهولة من غير نظر وتفكر، فكل قبيح مصدره سوء الخلق وكل حسن مصدره حسن الخلق، والخلق هو المسيطر على حركة النفس التي تنشأ عنها أفعال العباد الظاهرة والباطنة"^(٨٦٢)، إذاً فالأخلاق هي بمعنى العادات والسلوك والقيم ومن هذه العوامل تصدر الأفعال في موقف معين، فتحكم بأخلاق إذا كانت ثابتة في فرد، أي تتكرر بشكل عفوي، وإذا كانت لا تتكرر وإنما حدثت في موقف معين ولم تتكرر، ففي مثل هذا الموقف يحكم بحالة نفسية^(٨٦٣)، ويرجع حدوثها إلى أسباب كثيرة منها البحث عن الملاءمة مع البيئة التي يعيش فيها الفرد ويسعى إلى تحقيق الشعور بالأمن والارتياح "إلا أنه يحدث أثناء محاولة الإنسان للتكيف، أن ينجح أحياناً أو أن يفشل أحياناً أخرى، وفي حالة الفشل ينشأ عدم التوافق، وهو نتيجة طبيعية لردود الأفعال الناتجة عن اصطدام الفرد بالبيئة الخارجية وما تحتويه من عقبات وصعوبات وكف ومنع وإحباط"^(٨٦٤)، وقد يصيب الفرد الوسواس والأعمال القهرية وتسيطر عليه، فتجده لا يستطيع التحكم في حركاته وكلامه فيكثر التذمر والشكوى والتردد في عمل معين أو يكثر ذكر شيء يحب الحصول عليه بطريقة أو بأخرى، فتتوتر نفسه، إلى أن تنزاح عنه الضغوط النفسية "ومن الطبيعي أن حالة هذا شأنها إذا ما اشتدت وطأتها على الشخص فإنها تحول بينه وبين أداء أعماله"^(٨٦٥)، وقد يصاب بالحالة النفسية بسبب تخليه عن فعل شيء قد اعتاد فعله مثل، من اعتاد عبادة الأصنام وتأثر بها، فإن هذا الفرد إذا ترك عبادتها دون تصور فكرة واضحة في ذهنه أنها لا تضر ولا تنفع فإنه قد يصيبه التوتر النفسي فيبحث عما يعوض تغذية الروح التي اعتادت على

٨٦٠- فراس السواح، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط ٢، د.س، ص ٤٩.

٨٦١- المرجع نفسه، ص ٧١-٧٢. وانظر: محمد نجام شبيب، الشرائع والأخلاق بين الحضارة والخطاط، د.س، د.ط، د.س، ص ٥٩.

٨٦٢- الشاذلي، "الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق"، في المجلة الزيتونية، المرجع السابق، ١٩٤٠م، ص ٥-٦.

٨٦٣- التلوع، الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، المرجع السابق، ص ١٣-١٧.

٨٦٤- مصطفى فهمي، في علم النفس، الدوافع النفسية، دار مصر للطباعة، د.ط، د.س، ص ١٤٦.

٨٦٥- يوسف ميخائيل أسعد، المشكلات النفسية، حقيقتها وطرق علاجها، دار حفصة مصر، القاهرة، د.ط، د.س، ص ٢٨٠.

شيء باطل^(٨٦٦)، وهذه الحالة هي أخطر من غيرها لارتباطها بالروحانيات، التي تعالج عن طريق الوحي الإلهي الذي نزل على الرسل ع-ليهم السلام-، ولذا فقد سارع سيدنا موسى -عليه السلام- في التحكم بأعماله وإرشاداته في العملية التربوية مع قومه في مواضع كثيرة^(٨٦٧)، وكل ما ورد في القرآن الكريم في سياق الأخلاق كلها الدعوة إلى التعامل بمحاسن الأخلاق في كل المجالات وعلى سائر المستويات، وفق دين الإسلام الذي يدعو إلى التحلي بأسمى الأخلاق^(٨٦٨)، ولما كان بعض بني إسرائيل قد رسخت في أذهانهم الأخلاق الوثنية المتصلة بمفاهيم الوثنية المصرية، كانت عناية سيدنا موسى -عليه السلام- موجهة بالدرجة الأولى، لتزكية نفوس تلك الفئة وتهذيبها وتطهيرها من الأخلاق الوثنية، وتنمية أخلاق الخير فيهم على هدى دين الإسلام الذي يعتني بالدرجة الأولى بتزكية النفس وتهذيبها وتطهيرها من نزعات الشر والإثم وإزالة حظ الشيطان منها وتنمية فطرة الخير فيها وغرس فضائل الأخلاق فيها وتهذيب طباعها تهذيباً مصلحاً ومقوماً ليتهايأ المناخ النفسي الصالح لتفجر منابع الخير^(٨٦٩)، وعلى هذا فقد اعتنى القرآن الكريم بكشف بعض الآثار الأخلاقية والنفسية من فئة بني إسرائيل أثناء رحلتهم الطويلة إلى الأرض المقدسة، ومن هذه الآثار:

١ - الآثار الأخلاقية:

وأعني أخلاق الذين خرجوا من مصر ولم يكن عندهم تصور صحيح في معنى الألوهية والربوبية، وأما الذين أسلموا وحسن إيمانهم فهم إخواننا الذين سبقونا في الإيمان^(٨٧٠)، قال الله - تعالى -: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٨٧١)، هذا، فإن لكل أمة منهم الصالحين، وهو سنة الله -تعالى- في خلقه، ومهما يكن من أمر، فقد ذكر لنا القرآن الكريم مواقف كثيرة التي لم تكن متوقعة أن تحدث من القوم الذين خرجوا إلى الله رب العالمين ليهديهم إلى الطريق القويم، فقد ظهرت منهم أخلاق لا تجوز للمؤمن أن يتخلق بها ومن هذه الأخلاق:

٨٦٦- فهمي، في علم النفس، المرجع السابق، ص ١٤٩.

٨٦٧- شاهر ذيب أبو شريح، المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني، دار جرير للنشر والتوزيع، د.د، ط ١، ١٥٢٥هـ-٢٠٠٥م، ص ٥٧.

٢- عبد الله محمد سعيد أحمد الصمادي، "النظام الأخلاقي في الآيات المكية" رسالة ماجستير، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، المرق، ٢٠٠٣ ص ٨١.

٨٦٩- عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ج ١، ط ٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص ٣٩.

٨٧٠- شوقي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ص ٥٠.

٨٧١- سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

- كثرة السؤال والردة:

فبعد أن نجى الله - عز وجل - بني إسرائيل من فرعون وجنوده، فبدلاً من أن يشكروا الله - عز وجل - جميعاً على نجاتهم من بطش فرعون الذي كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، لجؤوا إلى طلب صنم يعبدونه، فقد تحرك في نفوس بعض منهم عبادة الوثن والأصنام التي تأثروا بها من ديانات المصريين. وعلى الرغم أن فيهم الصالحين المؤمنين يهدون بالحق في الإيمان بالله رب العالمين وعبادته وحده، إلا أن فيهم من لم يهتدوا بهم، ولم يتصوروا تصوراً للمنطق العقلي، أقرب منه من تجسيد الشيء يُرى أمامهم، فقد طلبوا شيئاً مادياً ملموساً اعتادوا عليه في مصر^(٨٧٢) مع علمهم أن سيدنا موسى - عليه السلام - علمهم أن الله هو رب السموات والأرض وهو ربهم ورب آبائهم، وهل رب هذه المخلوقات يكون مربوباً؟!، أو أن يصنعه الإنسان الذي خلق ضعيفاً؟!، فهم مجرد أن عبروا البحر وجدوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، فطلبوا من سيدنا موسى - عليه السلام - أن يصنع لهم صنماً مثل أصنام أهل المنطقة التي نزلوا فيها، قال الله - تعالى -: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(٨٧٣).

- طلب رؤية الله - سبحانه وتعالى -:

هذا الطلب لا يختلف عن الأول من التجسيد وطلب الماديات الملموسة، وفيه نوع من الشك والردة، فهم لكي يستطيعوا تصور فكرة الله رب العالمين الذي يدعو إليه سيدنا موسى ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام، طلبوا رؤية الله - عز وجل - جهرة حتى يطمئنوا إلى الإيمان به، وطالما أن طلبهم الأول قد رفض فليطلبوا من سيدنا موسى - عليه السلام - طلباً آخر ليس أقل منه تصوراً عن حقيقة الإيمان بالله رب العالمين، فهم عندما يجسد الله - سبحانه وتعالى - أمامهم ويرونه بأعينهم وعندها يؤمنون به^(٨٧٤). قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٨٧٥).

- طلب تنويع الطعام:

قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ...﴾^(٨٧٦)، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "والصبر هو كف النفس وحبسها

٨٧٢- سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، المرجع السابق، ص ٥٥.

٨٧٣- سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

٨٧٤- الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، المرجع السابق، ص ٧٨.

٨٧٥- سورة البقرة، الآية ٥٥.

٨٧٦- سورة البقرة، الآية ٦١.

عن الشيء، أي أنهم قالوا: لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد^(٨٧٧)، فقد أنكر سيدنا موسى - عليه السلام- هذا الطلب، لما فيه من استبدال الأدنى بالذي هو خير منه، ويبدو أن في طلبهم نوعاً من عدم تقدير نعمة الله رب العالمين، فبدلاً من أن يشكروا الله - عز وجل- حيث أنزل عليهم المن والسلوى بدون تعب ولا منة، راحوا يطلبون من سيدنا موسى - عليه السلام- أن يدع ربه ليخرج لهم طعاماً أخس قيمة من المن والسلوى^(٨٧٨).

ولكن سيدنا موسى عليه السلام بحكمته التي أعطاها الله إياها في تربية بني إسرائيل لتكوين مجتمع صالح يؤمن بالله واليوم الآخر نبههم وأنكر عليهم طلبهم^(٨٧٩) فقال: «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ...»^(٨٨٠)، ونلاحظ في الآية قولهم: «أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ»، كأن الرب لسيدنا موسى - عليه السلام- وحده وليس ربه، ورب العالمين.

- الإيذاء المتكرر:

لقد آذى بعض بني إسرائيل سيدنا موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- مرات عديدة وهم في مصر، فقالوا له أودينا من قبل أن تأتينا، وأنت بيننا ولكن ما زلنا في العذاب، وكذلك آذوه وهم في طريقهم إلى سيناء، وفي كيفية كلامهم مع سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام-، في طلب الطعام، وطلب تعيين البقرة، كلام لا يليق مع نبي من أنبياء الله -عليهم السلام-، وكادوا أن يقتلوا سيدنا هارون - عليه السلام- لما منعهم من عبادة العجل، ولذلك طلب منهم سيدنا موسى - عليه السلام- أن "يراجعوا موقفهم وأن يعاتبوا أنفسهم وأن يصلحوا أعمالهم"^(٨٨١)، فقال: «...يَا قَوْمٍ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ...»^(٨٨٢)، يؤذون سيدنا موسى - عليه السلام- وهم يعلمون أنه رسول الله مصداقاً لما جاء به ولكن بعضهم نسوا ذلك.

- مخالفة بعضهم أوامر سيدنا موسى - عليه السلام- والإعراض عن أوامره:

قال الله -تعالى-: «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» إلى قوله -تعالى-: «قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي

٨٧٧- الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٥.

٨٧٨- المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

٨٧٩- المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

٨٨٠- سورة البقرة، الآية ٦١.

٨٨١- الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، المرجع السابق، ص ٨٥.

٨٨٢- سورة الصف، الآية ٥.

فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ^(٨٨٣). فقد تمرد بعض بني إسرائيل على سيدنا موسى -عليه السلام- على الرغم أن الرجلين منهم قد شجعاهم بطاعة أمر سيدنا موسى -عليه السلام-، إلا أنهم تمادوا على التمرد وعصوه، فهم بعد أن أهلك الله القهار فرعون وجنوده وهم يشاهدون المشهد وأن القوة لله، وجاءوا إلى القرية التي يسكن فيها العمالقة فطلبوا منهم دخولها بشجاعة وبطولة وفتنة وأن الانتصار لهم ولكنهم رفضوا وتمردوا، وجعلوا أن الله -سبحانه- الذي نجاهم من فرعون قادر على نصرهم في أي موقف، فقالوا لسيدنا موسى -عليه السلام- إنهم لن يدخلوا القرية ما دام فيها الجبارون، ويبدو أن هذا الرفض سببه قلة الثقة بالله رب العالمين، ولذا تمردوا على سيدنا موسى -عليه السلام-، فحرم عليهم دخول الأرض الموعودة أربعين سنة يتيهون في الأرض^(٨٨٤).

٢ - الآثار النفسية:

لقد عرض القرآن الكريم الحوادث التي مر بها بنو إسرائيل في طريقهم إلى الأرض المقدسة الموعودة عرضاً يستفاد منه في معالجة الحالات الكثيرة من علاقة النفس بخالقها، فقد تشكلت في نفوس بعض بني إسرائيل العواطف النفسية أقرب منها إلى التأمل والتفكير المنطقي في خروجهم من مصر وتصورهم عن الإيمان بالله رب العالمين، وأنه ليس مجرد التخلص من فرعون وجنوده بمقدار ما يريده الله رب العالمين لهم؛ من تربية نفوسهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وتطهيرها من الوثنية، فموضوع الإيمان بالله وحده والتعلق به أكبر عقلياً من مجرد تعلق بعضهم بالأرض المقدسة الموعودة لهم، فلا قداسة للأرض ما لم يؤمن أهلها بربهم رب السموات والأرض، يضمن فيها السلام لجميع من يعيش فيها، و إلا فالأرض كلها سوية، فليس هناك بقعة من الأرض مقدسة وأخرى غير مقدسة، وإنما يراد بقداسة الأرض، وجود فيها النفوس المؤمنة بالله رب العالمين تعمل للخير والسلام، وتقيم حدود الله -عز وجل-.

ورجعاً إلى الآثار النفسية التي ظهرت في أوساط بني إسرائيل عند خروجهم من مصر نجد أن القرآن الكريم قد كشف الكثير من هذه الآثار النفسية منها:

٨٨٣- سورة المائدة، الآيات ٢١-٢٥.

٨٨٤- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٢-٨٥. وانظر: الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، المرجع السابق، ص ٨٧.

- كثرة التذمر على سيدنا موسى - عليه السلام -:

قال الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٨٨٥)، فقد أُصيب بعضهم من الفزع والخوف الشديد من إدراك فرعون لهم، وتحيرت تلك الفئة، وتمنت لو أنها لم تخرج من مصر^(٨٨٦)، فالبحر أمامهم وجيش فرعون وراءهم، فماذا يفعل الذي ليس له النفسية القوية المتعلقة بالله رب العالمين بعدما رأوا المعجزات في مصر؟ فقد استبد بهم الخوف وبلغت قلوبهم الحناجر وأخذوا يصيحون من شدة الفزع والخوف والرعب ونسوا أن الله العلي معهم، فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، وغاب عن أذهانهم أن قوة الله لا تقهر، وأن من صفات الله أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون كما أراد أن يكون^(٨٨٧).

ومن المؤكد أن الذين تذمروا وارتفعت أصواتهم من الحزن أنهم لو أن الله العلي القهار لم يأذن بمعجزة في هذه اللحظة فإنهم من المؤكد سيرتدوا عن دين الإسلام بالأدلة الكثيرة في القرآن الكريم، منها أنهم عبروا البحر وهم يشاهدون عجائب معجزات الله من إغراق فرعون وجنوده، فطلبت تلك الفئة المتذمرة من سيدنا موسى - عليه السلام - أن يجعل لهم آلهة كما لأهل القرية آلهة.

ومن حكمة الرسل - عليهم السلام - في التعامل مع جميع المواقف كان جواب سيدنا موسى - عليه السلام - على تلك الفئة حكيماً، إذ قال لهم: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فقد طمأنهم وهدأهم وأخبرهم أن الله الحكيم سينجيهم بالسلام آمنين وأن عناية الله - عز وجل - فيهم وأنه جدير بالتوكل^(٨٨٨).

- التوتر النفسي:

لقد توترت نفوس بعض بني إسرائيل فلم تطمئن قلوبهم بالإيمان بالله الذي أنجأ عباده من كل شر، فكثرت فيهم الردة، وزينت لهم نفوسهم آلهة على هواهم^(٨٨٩)، فقد ذكر لنا القرآن الكريم وكشف لنا التوتر النفسي عند بعض بني إسرائيل، وقد ترددوا كثيراً في طاعة أوامر سيدنا موسى - عليه السلام -، إذ أمرهم أن يأخذوا الميثاق الذي أتاهم الله القوي إياه، وكان يفترض عليهم أن يأخذوه بالقوة والاطمئنان الإيماني ولكنهم قالوا لسيدنا موسى - عليه السلام -: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى

٨٨٥- سورة الشعراء، الآيات ٦١-٦٢.

٨٨٦- البغدادي، تاريخ الأنبياء، المرجع السابق، ص ١٨٥.

٨٨٧- حفي بكري حفي، "الحروب النفسية وأثرها في الأديان السماوية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤١٦هـ-

١٩٩٦م، ص ١٨٦.

٨٨٨- المرجع نفسه، ص ١٨٧.

٨٨٩- فرج، اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص ١٣٥.

نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً^(٨٩٠) وهم بعدما طلب بعضهم إلهاً ملموساً فلم يُقبل طلبهم، فأخبروا أن الله الذي فضلهم على العالمين بخروجهم مع نبيه ليعبدوه هو الذي يجب عبادته دون سواه، فما دام ذلك الله الذي يأمرهم سيدنا موسى -عليه السلام- بعبادته غير واضح في أذهانهم وغير ملموس كما اعتادوا عليه من آلهتهم الوثنية التي تأثرت نفوسهم بها، فهم على طبيعتهم رفضوا الإيمان بالله رب العالمين، وطلبوا رؤيته جهرة "مادياً يلمسونه ويرونه ويخاطبونه، كآلهة المصريين الذين كانوا قد فارقوهم إلى أرض كنعان عبر سيناء"^(٨٩١)، فسبب الفرضية الوثنية في نفوس بعضهم وتأثرهم بالأجواء غير المألوفة، فكانت حالات الجسم علة لإحداث الحالات النفسية المتوترة، كما كان تأثرهم بالآلهة المصرية الوثنية علة لكثرة ترددهم. فالنفوس مغمورة بالطباع والنفور من المؤثرات القاسية على الجسم^(٨٩٢). فلأحوال تأثير عظيم في تكوين الآراء سواء كانت تلك الأحوال الجوية أو العوامل السيكولوجية النفسية، فإنها قد تأثر على الذات، حينئذ يتغير الإحساس النفسي، وينتقل مقياس القيم ويتحول اتجاه الحياة فتتجدد الذات^(٨٩٣)، مثلما نجد عدم استقرار الذات عند بعض بني إسرائيل بسبب ما طرأ اختلال عظيم على ما بين البيئة الاجتماعية التي تغيرت فجأة وبين مشاعرهم من عدم التوازن وجهول الاتجاه.

- قلة الثقة بالنفس وكثرة الشكوى:

فقد بين لنا القرآن الكريم كثرة لجوء بني إسرائيل إلى سيدنا موسى عليه السلام يطلبون منه أشياء كثيرة، وكان سيدنا موسى -عليه السلام- هو مسؤول عنهم في كل شيء، في طعامهم وشرابهم...، فإذا غاب عنهم نجدهم يبحثون عن إله مادي يعبدونه، ويظنون عليه عاكفين حتى يرجع إليه سيدنا موسى -عليه السلام-، وهذا إنما منبعه قلة الثقة بالنفس، وعدم تعاونهم مع سيدنا موسى -عليه السلام- في رحلتهم، فلم يعتمدوا على أنفسهم في كثير من أمورهم، واعتمدوا على سيدنا موسى -عليه السلام-، وأن عليه أن يصنع لهم كل ما يريدونه ولذا نجد كثرة شكواهم إليه، فطلبوا منه تنويع الطعام، والاستسقاء، بل طلبوا منه ما لا يجوز طلبه، فقد طلبوا منه أن يصنع لهم صنماً يعبدونه وطلبوا منه رؤية الله، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ﴾^(٨٩٤). وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً﴾^(٨٩٥)، وقال أيضاً: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ

٨٩٠- سورة البقرة، الآية ٥٥.

٨٩١- فرج، اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص ١٣٥.

٨٩٢- المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٥.

٨٩٣- لوبون غوستاف، الآراء والمعتقدات، ترجمة محمد عادل زعيتر، المطبعة المصرية، الفجالة، مصر، د. ط، د. س، ص ٤٠-٤١.

٨٩٤- سورة البقرة، الآية ٦١.

٨٩٥- سورة البقرة، الآية ٥٥.

الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا^(٨٩٦). ونلاحظ أيضاً في هذه الآيات جهود بعض منهم فضل الله عليهم من الرزق وكيف يصور لنا القرآن الكريم صورة تعاملهم مع سيدنا موسى -عليه السلام- وخاصة في قصة البقرة، حيث يرددون كلمة (ربك) مرات كثيرة وكأن الرب لسيدنا موسى -عليه السلام- فقط وليس ربهم^(٨٩٧).

- الملل النفسي وطلب الأطفمة لا توجد إلا في البلاد:

وهذه أيضاً حالة نفسية لبعض بني إسرائيل، فطول البقاء في التيه جعل نفوسهم تمل من تلك الحالة، وطلبوا تنويع الطعام ليعينهم على تقوية الشهوات في حالة التيه، فربما الأطفمة التي طلبوها لا توجد إلا في البلاد، وكأن غرضهم الوصول إلى البلاد لا تلك الأطفمة^(٨٩٨).
هكذا واجه سيدنا موسى -عليه السلام- الحالات النفسية لبعض بني إسرائيل، فإن أي عمل إسلامي في مرحلة البناء يحتاج إلى نفوس عالية الهمم، المخلصة لبناء القواعد الأساسية في النفوس البشرية.

وعلى هذا فإن خروج بني إسرائيل يقتضي أن يتوكلوا على الله الواحد القهار، وأن يعرفوا صلتهم بالقوة العلوية الخفية، المدبرة للأمر الخارقة للعادة، كما يقتضي أن ينتقلوا من الشعور الحسي إلى الشعور المعنوي، وربطه به وتطويعه له على غير قانون المنطق العادي، فكان على بني إسرائيل أن يمتلكوا نفوساً لها شأنها في تصور المعنويات والتجاوب مع حقائق الإيمان^(٨٩٩)، ليؤدوا واجبهم في رحلتهم الطويلة وليمارسوا عباداتهم وطقوسهم كما أراد الله رب العالمين.

٨٩٦- سورة البقرة، الآية ٦٠.

٨٩٧- محمد عزة دروزة، "صورة أخرى في القرآن لبني إسرائيل"، في مجلة حضارة الإسلام، دمشق، عدد ١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٦م، ص ١٩-٢٠.

٨٩٨- علي بن محمد البغدادي الخازن، مختصر تفسير الخازن، تهذيب عبد الغني الدقر، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، مج ١، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص ٣٥.

٨٩٩- الخولي، بنو إسرائيل في ميزان القرآن، المرجع السابق، ص ١٥٠.

الفصل الثالث:

مواطن الاتفاق والاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم

- المبحث الأول: أسباب الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم.
- المبحث الثاني: زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته بين العهد القديم والقرآن الكريم.
- المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم.

المبحث الأول:
أسباب الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم

المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم في أسباب الخروج.
المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم في أسباب الخروج.

المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم في أسباب الخروج: أولاً: فيما يتعلق بالسبب الديني:

دين الله واحد، وهو الإسلام الذي جاء به جميع الرسل والأنبياء -عليهم السلام-، وهذا يعني أن الكتب السماوية التي أنزلها الله -جل جلاله- على رسله -عليهم السلام- ستنتفق فيما بينها في معالجة الموضوع الواحد، باعتبار أن مصدرها واحد هو الله -جل جلاله-.

ولسوف يكون الحديث في هذا المطلب عن المواطن الأساسية، التي اتفق العهد القديم والقرآن الكريم في أسباب خروج بني إسرائيل من مصر.

يجد قارئ العهد القديم والقرآن الكريم أنهما يتفقان، على أن دين بني إسرائيل قبل دخولهم مصر، كان دين التوحيد الذي جاء به جميع الرسل -عليهم السلام- ويتفقان أيضاً أنهم ظلوا عليه فترة من الزمن عند إقامتهم في مصر قبل وفاة سيدنا يوسف -عليه السلام- وقبل أن يتأثر بعضهم بالمعتقدات المصرية ومعبوداتهم المتنوعة والمنتشرة في جميع أرض مصر^(٩٠٠)، وقد جاء في العهد القديم في دعوة سيدنا موسى -عليه السلام- ما يشير إلى أن أصل عقيدة بني إسرائيل عقيدة الأنبياء -عليهم السلام-، وما جاء فيه هو: "ثم قال: أنا هو إله أبائك إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب"^(٩٠١)، وجاء في النص الآخر أيضاً: "هكذا تقول لشعب إسرائيل: إن الرب الكائن إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب قد أرسلني إليكم"^(٩٠٢). وجاء في نص آخر: "واستخلف يوسف أبناء إسرائيل قائلاً: إن الله سيفقدكم فانقلوا عظامي من هنا"^(٩٠٣)، هذه النصوص تشير إلى أن إله بني إسرائيل عند دخولهم مصر وإقامتهم في مصر في أيام سيدنا يوسف عليه السلام هو إله آبائهم؛ إبراهيم عليه السلام وإله جميع الناس، فهم يعتقدون أن الله واحد لا شريك له في جميع أنواع العبادة.

وأما في القرآن الكريم فقد جاء فيه ما يشير إلى دين بني إسرائيل الذي وصاهم به أبيهم إسرائيل و في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٩٠٤).

٩٠٠- انظر، ص ص ٢٥-٢٦، ٨٣-٨٤، من الرسالة.

٩٠١- سفر الخروج، الإصحاح: ٣ : ٦.

٩٠٢- سفر الخروج، الإصحاح: ٣ : ١٥.

٩٠٣- سفر التكوين، الإصحاح: ٥٠ : ٢٥.

٩٠٤- سورة البقرة، الآيات ١٣٢-١٣٣.

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم أيضاً، أن فرعون الخروج أو فرعون الاضطهاد أذل بني إسرائيل واستبد هم و أنه ادعى الألوهية^(٩٠٥)، وقد جاء في العهد القديم ما يشير إلى ذلك إذ يقول: "وها أنا قد وعدت أن أخرجكم من ضيقة مصر إلى أرض الكنعانيين... إن الرب إله العبرانيين قد تفقدنا، فدعنا نمضى مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونقدم ذبائح للرب إلهنا"^(٩٠٦).

وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٩٠٧)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي...﴾^(٩٠٨).

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم أيضاً، على أن سيدنا موسى -عليه السلام- ولد في زمن اضطهاد بني إسرائيل وأن أمه لما ولدته خافت عليه وألقتة في اليم، و كما يتفقان، أن أم سيدنا موسى -عليه السلام- أمرت ابنتها -سماها العهد القديم ب (مريم)- مراقبة الصندوق الذي وضع فيه سيدنا موسى -عليه السلام-.

ويتفقان أيضاً أن واحداً من أهل فرعون هو الذي التقط الصندوق وذهب به إلى قصر فرعون، ويتفقان أن سيدنا موسى -عليه السلام- لم يرض الرضاعة إلا من أمه، وكما يتفقان أن أخت سيدنا موسى -عليه السلام- اقترحت عليهم، بأن تحضر لأخيها المرضعة، ويتفقان أيضاً أن الأم احتضنت طفلها مرة أخرى، بعد أن خافت عليه، وتركته في المكان البعيد عنها، فأرجع الله إليها طفلها بإرادته -جل جلاله-، و يتفقان أيضاً، أن سيدنا موسى -عليه السلام-، تربي في قصر فرعون، و أنه لما بلغ رشده، خرج منها إلى مدين، لأسباب أمنية.

ويتفقان أيضاً أن إرسال سيدنا موسى -عليه السلام- إلى فرعون وبني إسرائيل تم عند عودته إلى مصر، وكان ذلك في جبل طور سيناء^(٩٠٩).

ويتفق العهد القديم والقرآن الكريم أن إرسال سيدنا موسى -عليه السلام- لهداية فرعون ودعوته إلى عبادة الله رب العالمين، وإخراج بني إسرائيل إلى البرية ليعبدوا الله رب العالمين فيها^(٩١٠)، وأن الله -عز وجل- آتاه معجزة العصا واليد، ويتفق الكتابان أيضاً أن فرعون رفض رسالة سيدنا موسى -عليه السلام- ولم يؤمن به، كما رفض إطلاق سراح بني إسرائيل ليخرجوا مع

٩٠٥- انظر، ص ص ٢٥-٢٦، ٨٤-٨٧، من الرسالة.

٩٠٦- سفر الخروج، الإصحاح: ٣ : ١٧-١٩.

٩٠٧- سورة الزخرف، الآية ٥٤.

٩٠٨- سورة القصص، الآية ٣٨.

٩٠٩- انظر، النصوص، ص ص ٢٦-٢٨، ٨٣-٨٤، من الرسالة.

٩١٠- انظر، النصوص، ص ص ٢٨، ٨٤-٨٥، من الرسالة.

سيدنا موسى - عليه السلام -، ويذكر العهد القديم عن موت فرعون والخروج وجنوده في اليم أثناء مطاردتهم بني إسرائيل، ويؤكد على ذلك القرآن الكريم^(٩١١).

ثانياً: فيما يتعلق بالسبب الاجتماعي:

وأما فيما يتعلق بالسبب الاجتماعي، فيتنفق العهد القديم مع القرآن الكريم، أن بني إسرائيل نالوا احتراماً من قبل المصريين، في زمن سيدنا يوسف - عليه السلام - وأنهم كانوا في الأمن ولم يتعرضوا لسوء المعاملة من قبل المصريين، في تلك الفترة، ويتفقان أيضاً أن حال بني إسرائيل تغيرت في زمن فرعون الاضطهاد، وأنه أذلهم واستعبدهم وسخرهم للأعمال الشاقة^(٩١٢)، ويؤكد الكتابان أن مصر افتقدت العدالة الاجتماعية، في عصر فرعون الاضطهاد، وأنه سلب حقوق بني إسرائيل، يسخرهم للأعمال الشاقة دون أن يعطيهم أجورهم، وأن بني إسرائيل عاشوا في تلك الفترة تحت ضغوط العبودية، والاستبداد، وأن فرعون لما طلب منه الكف عن تعذيب بني إسرائيل رفض طلب سيدنا موسى - عليه السلام -، وبدأ هو وجنوده يحملونهم على أقبح العذاب وأسوأ أنواعه، وأنه زاد على بني إسرائيل أشد الأعمال، من البناء ورعي الغنم، وأعمال الحدادة والنجارة ونقل الأحجار بدون مقابل^(٩١٣)، ويتفق الكتابان أن الله القهار، نزل على فرعون وقومه العقوبات الشديدة، لعله يخشى ويتوب من عصيانه، ويعترف بوجود الله الأحد، ويكف العذاب عن بني إسرائيل، و من هذه العقوبات: الجراد، والضفادع، والدم...^(٩١٤)، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَاذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٩١٥). وقال أيضاً: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾^(٩١٦)، وجاء في العهد القديم في ذكر هذه العقوبات إذ يقول: "فأجاب الرب موسى: سترى الآن ما أنا فاعله بفرعون لأنني بيد قديرة سأجعله يطلقهم بل يطردهم طرداً أيضاً"^(٩١٧).

وجاء في النص الآخر: "فقال الرب لموسى: أبسط يدك على أرض مصر لتبتلى بالجراد فيغطي بلاد مصر ويلتهم كل نبات الأرض المختلف عن البرد..."^(٩١٨).

٩١١- انظر، ص ص ٢٨، ٨٨، من الرسالة. وانظر: بوكاي، التوراة والأنجيل والقرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٦٦٩.

٩١٢- انظر، ص ص ٣٠-٣١، ٩٣-٩٤، من الرسالة.

٩١٣- انظر، ص ص ٣١-٣٢، ٩٥-٩٦، من الرسالة.

٩١٤- انظر، ص ص ٣١-٣٢، من الرسالة.

٩١٥- سورة الأعراف، الآيات ١٣٠-١٣٢.

٩١٦- سورة الأعراف، الآية ١٣٣.

٩١٧- سفر الخروج، الإصحاح: ٦ : ١.

٩١٨- سفر الخروج، الإصحاح: ١٠ : ١٢-١٥.

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم أيضاً أن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر قاصدين البرية، تبعمهم فرعون وجنوده لإرجاعهم إلى مصر، وأنهم أدركوهم في شاطئ البحر، وأن بني إسرائيل تدمروا على سيدنا موسى -عليه السلام- لما رأوا فرعون وجنوده قد اقتربوا منهم فخافوا من إرجاعهم إلى العبودية والعذاب والقتل^(٩١٩)، ويتفق الكتابان أن الله -جل جلاله- أمر سيدنا موسى -عليه السلام-، بضرب البحر بعصاه، فلما ضربه انقلب البحر، فمر جميع قوم سيدنا موسى -عليه السلام- ناجين من فرعون، وأغرق فرعون وجنوده بأمر الله - سبحانه وتعالى-^(٩٢٠).

ثالثاً: فيما يتعلق بالسبب الاقتصادي:

وأما فيما يتعلق بالسبب الاقتصادي للخروج، فيتفق العهد القديم مع القرآن الكريم أن بني إسرائيل عاشوا في مصر عيشة طيبة في أيام سيدنا يوسف -عليه السلام-، وكما ذكر الكتابان أن سيدنا يوسف -عليه السلام- خطط اقتصاد مصر ورفع مستواها إلى أحسن مستوى اقتصادي لمصر القديمة، ويتفق أيضاً أن بني إسرائيل جاءوا من البدو إلى الحضرة، وكما تذكر المصادر الإسلامية والديانة اليهودية أن بني إسرائيل كانوا رعاة غنم وأنهم يعيشون بالزراعة وتربية الأغنام، ويرتحلون من مكان لآخر، بحثاً عن المناطق الخصبة لرعي الغنم، وأنهم كانوا يعيشون أبسط حياة^(٩٢١)، يقول لوبون غوستاف: "وظل بنو إسرائيل قوماً من الرُزَّاع والرعاة حتى بعد صلتهم الطويلة بالحضارة الكلدانية الساطعة، حتى إقامتهم بمصر، وما فتئت العادات القديمة التي اتفقت لهم في المراعي الابتدائية الواسعة والطبائع السامية البسيطة..."^(٩٢٢).

ويتفق الكتابان أن اقتصاد بني إسرائيل تدهور وانخفض بعد وفاة سيدنا يوسف -عليه السلام- وأن فرعون الاضطهاد اعتبرهم عبيده، وسخرهم للأعمال الشاقة، من زراعة ورعي الغنم ونقل الأحجار والبناء والنجارة والحدادة، والنسيج، دون أن يؤتيهم أجورهم، ويتفق الكتابان أيضاً، أن الله -عز وجل- أمر بني إسرائيل بالصبر وأنه سيهلك عدوهم ثم يستخلفهم في الأرض ليقوموا حدود الله فيها، ويعبدوه وحده لا شريك له^(٩٢٣).

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم، أن بني إسرائيل خرجوا من مصر مع بعض ممتلكاتهم، من الذهب والفضة من المصريين، والتي صاغوا بها العجل الذهبي، وأن الله -عز وجل- أورث الأرض لعباده المؤمنين^(٩٢٤).

٩١٩- انظر، ص ص ٣٢-٣٣، ٩٩، من الرسالة.

٩٢٠- انظر، ص ص ٣٣، ١٠١-١٠٢، من الرسالة.

٩٢١- انظر، ص ص ٣٧-٣٨، ١٠٧-١٠٨، من الرسالة.

٩٢٢- لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، المرجع السابق، ص ٣٠.

٩٢٣- انظر، ص ص ٣٦-٣٧، ١٠٥، من الرسالة.

٩٢٤- انظر، ص ص ٣٨-٣٩، ١٠٧، من الرسالة.

المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، في أسباب الخروج:

سأتحدث في هذا المطلب عن المسائل الأساسية التي يختلف فيها العهد القديم والقرآن الكريم فيما يتعلق بأسباب خروج بني إسرائيل من مصر .
أولاً: فيما يتعلق بالسبب الديني:

انطلاقاً من نصوص الكتابين، نجد أنهما يختلفان أحياناً في عرض الموضوع الواحد الذي يعالجه، سواء أكان هذا الاختلاف في الإيجاز أو في التفصيل أو السكوت عن بعض المعلومات التي ليس فيها عظة أو عبر لذكرها، فنجد العهد القديم يذكر أن أم سيدنا موسى -عليه السلام- خبأت طفلها الرضيع بعد الولادة، ثلاثة أشهر ولما لم تستطع أن تخفيه وضعت بين الحلفاء على ضفة النهر، وما جاء فيه هو: "فحملت المرأة وأنجبت ابناً واذ راقها جماله خبأته ثلاثة أشهر ولما لم تستطع أن تخفيه بعد أنت بسفت من البردي طلته بالخمير والزفت وأضجعت الطفل بين الحلفاء على ضفة النهر"^(٩٢٥) و أما القرآن الكريم فلم يصرح بشيء من هذه التفاصيل؛ من الحلفاء وسفت من البردي وبالخمير والزفت، وصورة وضع الطفل في السفت، كما لم يذكر أن الأم أرضعت طفلها ثلاثة أشهر بعد الولادة، وإنما اكتفى بإشارة مجملية ومهمة مركزة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٩٢٦) وقوله تعالى أيضاً: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ...﴾^(٩٢٧)، وإذا لاحظنا هذه الآيات، نجد فيها نقاط الاختلاف بين الكتابين في معالجة موضوع وضع الطفل في البحر، فالقرآن الكريم ذكر لفظة (تابوت) بينما يذكر العهد القديم السفت والبردي، وهذا لا بأس فيه، وأما الاختلاف فيتضح في أن العهد القديم ذكر أن الأم وضعت الطفل بين الحلفاء وعلى ضفة النهر، بينما ذكر القرآن الكريم بأن تلقي الأم الطفل في اليم^(٩٢٨)، ويذكر العهد القديم أيضاً أن التي انتشلت الطفل هي ابنة فرعون، بينما القرآن الكريم لم يحدد من التي انتشلت الطفل، وإنما ما جاء فيه مجمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...﴾^(٩٢٩). ويروى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم في البحر فأمرت بسوقه إليها وفتحه فرأت فيه صبيّاً صغيراً فرحمته وأحبته، فقالت لفرعون: لا

٩٢٥- سفر الخروج، الإصحاح: ٢ : ٢-٣. وانظر، ٢٦، من الرسالة.

٩٢٦- سورة القصص، الآية ٧.

٩٢٧- سورة طه، الآيات ٣٨-٣٩.

٩٢٨- انظر، ص ٢٦-٢٧، ٨٤، من الرسالة.

٩٢٩- سورة القصص، الآية ٨.

تقتله، وأبقه ليكون قرّة عين لي ولك، (٩٣٠)، فسواء كانت امرأة فرعون هي التي رأت الطفل أو غيرها، فالقرآن الكريم لم يحدد من هي، وإنما اكتفى بذكر ﴿آل فرعون﴾ (٩٣١).

يذكر العهد القديم أن حما سيدنا موسى - عليه السلام - اسمه (بيثرون) (٩٣٢)، وبينما يذكر بعض المصادر الإسلامية، أن حما سيدنا موسى - عليه السلام -، هو سيدنا شعيب - عليه السلام، ويقول ابن كثير: "أن المشهور عند كثير من العلماء هو سيدنا شعيب - عليه السلام -" (٩٣٣)، وقيل أنه ابن أخي شعب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب - عليه السلام - (٩٣٤)، وعلى أية حال فالقرآن الكريم لم يذكر اسم ذلك الشيخ في مدين الذي نزل عنده سيدنا موسى - عليه السلام -.

يذكر العهد القديم أن سيدنا موسى وهارون - عليهما السلام - جمعا جميع شيوخ بني إسرائيل فحدثهم سيدنا هارون بجميع ما قاله الرب لسيدنا موسى - عليه السلام - (٩٣٥)، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل، بل اكتفى بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا...﴾ (٩٣٦).

يذكر العهد القديم تفاصيل عدد الضربات التي نزلت على فرعون وقومه مثل الضربة التاسعة بالظلام الكثيف، بينما القرآن الكريم، لم يذكر عدد هذه الضربات، ولا موت الأبقار والظوفان، ووباء المواشي، وإنما ذكر الجراد والدم والصفادع (٩٣٧)، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ...﴾ (٩٣٨).

ثانياً: وفيما يتعلق بالسبب الاجتماعي:

وفيما يتعلق بالسبب الاجتماعي للخروج، فهناك عدة نقاط للاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، سأذكرها، إن شاء الله رب العالمين، وهي كالتالي:

يذكر العهد القديم أن لبني إسرائيل قابلتين أمرهما فرعون بقتل كل ذكر تلده امرأة من بني إسرائيل، وأما القرآن الكريم فلم يذكر هاتين القابلتين، وإنما اكتفى بذكر أن فرعون كان يذبح أبناء إسرائيل ويستحيي نساءهم (٩٣٩)، ويذكر العهد القديم أيضاً أن فرعون بعد احتجاج القابلتين بعدم علمهن بولادة العبريات، وأنهن لسن كالمصريات وأنهن قويات يلدن قبل وصول القابلة إليهن، عندئذ

٩٣٠ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٦٨.

٩٣١ - سورة القصص، الآية ٨، وانظر، النصوص، ص ٨٤، من الرسالة.

٩٣٢ - انظر، ص ص ٢٦-٢٧، من الرسالة.

٩٣٣ - ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨٤.

٩٣٤ - المصدر ذاته، ص ٣٨٤.

٩٣٥ - انظر، ص ٢٧، من الرسالة.

٩٣٦ - سورة القصص، الآية ٣٥.

٩٣٧ - انظر، النصوص، ص ٢٨، من الرسالة.

٩٣٨ - سورة الأعراف، الآية ١٣٣.

٩٣٩ - انظر، النصوص ص ص ٣٠، ٩٣-٩٤، من الرسالة.

أصدر فرعون قانوناً جديداً برمي مواليد بني إسرائيل الذكور في نهر النيل، بينما القرآن الكريم يذكر أن فرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل، ويقتلهم، وليس الرمي في نهر النيل الذي ذكره العهد القديم (٩٤٠).

ويذكر العهد القديم أن بني إسرائيل توالدوا وتكاثروا وعظموا جداً حتى اكتظمت بهم الأرض، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل (٩٤١).

يذكر العهد القديم أن الله - سبحانه وتعالى - نزل لإنقاذهم وإخراجهم إلى الأرض الطيبة التي تدر لبناً وعسلاً، كما حدد تلك الأرض وهي أرض كنعان، بينما القرآن الكريم لا يذكر نزول الله - جل جلاله - إلى الأرض لقيادة بني إسرائيل، وإنما جاء فيه، هو أن الله أرسل سيدنا موسى - عليه السلام - ليقود بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، ولم يذكر أيضاً أنها أرض كنعان (٩٤٢).

يذكر العهد القديم أن فرعون في الضربة العاشرة وافق على إطلاق سراح بني إسرائيل بشرط أن يبقوا مواشيهم وقطعانهم في مصر ويخرجوا فارغين الأيدي، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل (٩٤٣)، ويذكر العهد القديم أن عدد بني إسرائيل عند خروجهم من مصر بلغ ستمائة ألف رجل فقط عدا الأولاد والنساء، بينما القرآن الكريم لم يحدد عدداً معيناً وإنما اكتفى بالإشارة إلى أن عدد بني إسرائيل قليل وذلك عن الحكاية عن تصورات فرعون ذي الأوتاد (٩٤٤)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِلُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ (٩٤٥)، لا يذكر العهد القديم أنه تم العثور على جثة فرعون بعد غرقه للعبر والموعظة، بينما القرآن الكريم يذكر عن هذه المعلومات للعبر والموعظة لمن خلف فرعون، قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٤٦).

يذكر العهد القديم أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل ريحاً شرقية قوية طوال ليلة عبور بني إسرائيل البحر وأن هذه الريح ردت البحر إلى الورا وحولته إلى يابسة، وأما القرآن الكريم فلم يذكر هذه المعلومات، وإنما اكتفى بذكر أن الله - عز وجل - أمر سيدنا موسى - عليه السلام - بضرب البحر بالعصا فانشق البحر طريقاً يبساً (٩٤٧)، كما يذكر العهد القديم أنه بعدما عبر بنو إسرائيل البحر أمر الله - سبحانه وتعالى - سيدنا موسى - عليه السلام - أن يبسط يده فوق البحر مرة ثانية ليرتد الماء على المصريين فبسط يده فوق البحر عند انبثاق الصباح فارتد البحر إلى موضعه على

٩٤٠ - انظر، النصوص ص ٣٠، ٩٣، من الرسالة.

٩٤١ - انظر، ص ٣١ من الرسالة.

٩٤٢ - انظر، النصوص ص ٣٢، ٩٤، من الرسالة.

٩٤٣ - انظر، ص ٣٢، من الرسالة.

٩٤٤ - انظر، ص ٣٣، من الرسالة.

٩٤٥ - سورة الشعراء، الآيات ٥٤-٥٦.

٩٤٦ - سورة يونس، الآية ٩٢.

٩٤٧ - انظر، النصوص، ص ٣٣، ١٠٠، من الرسالة.

المصريين^(٩٤٨)، وأما القرآن الكريم فلم يذكر هذه المعلومات، وإنما أفاد أن فرعون هو وقومه اتبعوا سيدنا موسى -عليه السلام- ومن معه فكانوا من الغارقين وبعد أن أنجى الله فعّال لما يريد سيدنا موسى -عليه السلام- و من معه^(٩٤٩).

يذكر العهد القديم عن غرق مركبات فرعون وفرسانه^(٩٥٠)، بينما القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن هذه الأشياء.

ثالثاً: فيما يتعلق بالسبب الاقتصادي:

وأما فيما يتعلق بالسبب الاقتصادي للخروج، فيذكر العهد القديم أن سيدنا يوسف -عليه السلام- اشترى جميع ممتلكات المصريين لفرعون، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه المعلومات التفصيلية، لا يذكر القرآن الكريم أن الله -سبحانه وتعالى- سيهلك مواشي فرعون وخيوله وجماله وثيرانه، إن هو أبى إطلاق سراح بني إسرائيل، بينما العهد القديم يذكر هذه التفاصيل، فالله -سبحانه وتعالى- يعذب الحيوانات ليكون عبرة للإنسان، حسب ما يفهم ما جاء في سفر الخروج إذ يقول: "...أطلق شعبي ليعبديني لأنك إن أبييت أن تطلقهم وحجزتهم لديك فإن يد الرب ستهلك مواشيك التي في الحقول والخيول والحمير والجمال والثيران والغنم بوباء شديد جداً..."^(٩٥١).

يذكر العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- أمر نساء بني إسرائيل بأن يستعرن جواهر المصريات من الذهب والفضة قبيل الخروج وألا يرددن إليهن جواهرهن وأن هذا العمل الذي عملته نساء العبرانيين هو الذي أغضب فرعون حتى طاردهم لإرجاعهم إلى مصر^(٩٥٢)، بينما القرآن الكريم لا ينسب السرقة إلى سيدنا موسى -عليه السلام- ولم يذكر أن نساء بني إسرائيل استعرن من المصريات الذهب والفضة قبل الخروج، ثم لم يرددن إليهن ما استعرن.

يذكر العهد القديم أن بني إسرائيل تمنوا الرجوع إلى مصر حيث كانوا يجلسون حول قدور اللحم ويأكلون خبزاً حتى الشبع^(٩٥٣)، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل.

٩٤٨- انظر، ص ٣٤، من الرسالة.

٩٤٩- انظر، ص ١٠٠، من الرسالة.

٩٥٠- انظر، ص ٣٤، من الرسالة.

٩٥١- سفر الخروج، الإصحاح: ٩ : ١-٤.

٩٥٢- انظر، ص ٤٣٧-٣٨، من الرسالة.

٩٥٣- انظر، ص ٣٨، من الرسالة.

المبحث الثاني:

زمن خروج بني إسرائيل وجغرافيته بين العهد القديم والقرآن الكريم

المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم، في زمن الخروج، وجغرافيته.

المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، في زمن الخروج، وجغرافيته.

المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم، في زمن الخروج، وجغرافيته:

أولاً: فيما يتعلق بزمن الخروج:

يتفق العهد القديم مع القرآن الكريم في عدم ذكر اسم فرعون مصر قبل الخروج من مصر وبعد الخروج^(٩٥٤)، وكل ما ورد في اسم فرعون الخروج أو الاضطهاد إنما هي محاولات المؤرخين الذين اعتمدوا على المعطيات الأثرية و الأحداث التاريخية لتحديد اسم فرعون الخروج أو فرعون الاضطهاد.

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم، أن الخروج كان في الليل، وقد جاء في العهد القديم ما يشير إلى ذلك، إذ يقول: "وفي منتصف الليل أهلك الرب كل بكر في بلاد مصر من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر الحبس في السجن، وأبكار البهائم جميعاً أيضاً فاستيقظ فرعون وحاشيته وجميع المصريين وإذا عويل عظيم في أرض مصر، لأنه لم يوجد بيت ليس فيه ميت، فاستدعى موسى وهارون ليلاً قائلاً: "قوموا واخرجوا من بين الشعب أنتما و بنو إسرائيل، وانطلقوا واعبدوا الرب كما طلبتم"^(٩٥٥)، وأما في القرآن الكريم فقد جاء فيه قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^(٩٥٦).

ثانياً: وفيما يتعلق بجغرافية الخروج:

وأما فيما يتعلق بجغرافية الخروج، فيتفق القرآن الكريم، مع العهد القديم، أن بني إسرائيل انطلقوا من مصر من مكان سكنهم ويتفق العهد القديم، أيضاً مع القرآن الكريم، أن بني إسرائيل خرجوا من مصر وتوجهوا إلى البحر وعبروه جميعاً ناجين، وقد جاء في العهد القديم ما يشير أيضاً إلى ذلك، إذ يقول: "وتوجه بنو إسرائيل من رعسيس وخيموا في سكوت... واجتازوا في وسط البحر إلى الصحراء..."^(٩٥٧)، ورعسيس إحدى مدن مصر وقتذاك، وأما القرآن الكريم فقد جاء فيه ما يفهم أن بني إسرائيل انطلقوا من مصر من مكان سكنهم، إذ أن الله - سبحانه وتعالى - قد أمر سيدنا موسى - عليه السلام - أن يتخذ هو ومن آمن به، من السحرة وبني إسرائيل، بيوتاً بمصر، يسكنوا فيها، وذلك بعد الحوار الطويل بين الطرفين، -طرف المؤمنين، وطرف الكافرين-، وفي ذلك يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا

٩٥٤- بوكاي، التوراة والأنجيل والقرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

٩٥٥- سفر الخروج، الإصحاح: ١٢ : ٢٩-٣١.

٩٥٦- سورة الدخان، الآية ٢٣.

٩٥٧- سفر العدد، الإصحاح: ٣٣ : ٥-٨. وانظر: ص ٤٠، ١١٦-١١٧، من الرسالة.

وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٥٨﴾ وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ * وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَقُونَ...﴾ ﴿٩٥٩﴾.

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم، أن بني إسرائيل نزلوا جبل الطور في برية سيناء، وإليك نص العهد القديم: "... ثم مضوا من رفيديم وأقاموا في صحراء سيناء... " ﴿٩٦٠﴾، وأما القرآن الكريم فقد جاء فيه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٩٦١﴾.

ويتفق العهد القديم والقرآن الكريم، أن بني إسرائيل وصلوا إلى حدود الأرض الموعودة، وعند ها أمرهم سيدنا موسى -عليه السلام- بدخولها فرفضوا الدخول، خوفاً من أهلها لأنهم عمالقة وأصحاب قوة، وقد جاء في العهد القديم في وصف تلك القرية، وحصنها، و أهل سكانها، من العمالقة، إذ يقول: "...تفيض حقاً لبناً وعسلاً... غير أن الشعب المتوطن فيها بالغ القوة ومدنه منيعة وعظيمة جداً كما شاهدنا هناك بني عناق فالعمالقة مقيمون في أرض الجنوب والحيثيون واليبوسيون والأموريون متمنعون في الجبل والكنعانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأرض" ﴿٩٦٢﴾، وقد جاء ذكر هذه الأرض في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا...﴾ ﴿٩٦٣﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ ﴿٩٦٤﴾.

٩٥٨ - سورة يونس، الآية ٨٧.

٩٥٩ - سورة الدخان، الآيات ٢٣-٢٨.

٩٦٠ - سفر العدد، الإصحاح ٣٣ : ٥-٣٧.

٩٦١ - سورة البقرة، الآية ٦٣.

٩٦٢ - سفر العدد، الإصحاح: ١٣ : ٢٧-٢٩.

٩٦٣ - سورة البقرة، الآية ٥٨.

٩٦٤ - سورة المائدة، الآيات ٢١-٢٤.

المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، في زمن الخروج، وجغرافيته:

توجد في هذا الموضوع نقاط الاختلاف بين الكتابين في معالجة زمن الخروج وجغرافيته، وأهم هذه النقاط ما يأتي:

أولاً: فيما يتعلق بزمن الخروج:

يوجد الاختلاف بين المصادر التاريخية في تحديد زمن الخروج وجغرافيته، سواء أكانت هذه المصادر التاريخية من علماء دين الإسلام، أو من علماء الديانة اليهودية، أو غيرهم من المؤرخين وعلماء الآثار.

فيذهب بعضهم إلى القول: إن خروج بني إسرائيل من مصر، كان في القرن السادس عشر قبل الميلاد، وقالوا أن فرعون ذلك العصر هو أحمس الأول، وقال بعضهم أن الخروج كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأنه كان في زمن الفرعون تحتمس الثالث، أو في زمن أمنيوفيس الثاني، وحددوا زمن الخروج بأنه تم في سنة (١٤٤٧ ق.م)، وقيل أن زمن الخروج كان في عصر أمنيوفيس الرابع، وقيل أن الخروج كان أثناء حكم رمسيس الثاني (١٣٠١-١٢٣٤ ق.م)، وقال بعضهم: أنه تم في حكم منفتاح بن رمسيس الثاني، في القرن الثالث عشر، أو القرن الثاني عشر، قبل الميلاد^(٩٦٥).

فالكاتب السماوية لم تذكر هذه المعلومات المتعلقة باسم فرعون الخروج، أو فرعون الاضطهاد.

كما يذهب المؤرخون إلى القول أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر، كانت حوالي (٢١٥) سنة^(٩٦٦).

ويذكر العهد القديم أن المدة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر كانت أربع مائة وثلاثين سنة^(٩٦٧)، وبينما القرآن الكريم لم يذكر مدة إقامة بني إسرائيل في مصر ولم يحدد سنة معينة التي تم فيها خروج بني إسرائيل، بل اكتفى بذكر جوانب العبر والعظة.

لا يذكر القرآن الكريم أن سيدنا موسى -عليه السلام- خرج مع قومه في الليلة التي أهلك الله سبحانه وتعالى - كل بكر في بلاد مصر من بكر فرعون المتربع على العرش إلى بكر

٩٦٥- انظر، النصوص ص ص ٤١-٤٢، ١١١-١١٢، من الرسالة.

٩٦٦- انظر، ص ٤٢، من الرسالة.

٩٦٧- انظر، ص ٤٢، من الرسالة.

الحببس في السجن مثلما ذكره العهد القديم^(٩٦٨)، و لم يحدد القرآن الكريم الضربات التي وقعت على المصريين قبل الخروج، ولا اليوم الذي خرجوا فيه بالضبط، وأما العهد القديم، فيذكر عدد الضربات التي وقعت على المصريين، في وقت الحوار، و قبيل الخروج، و أن الخروج كان في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول (العبري) في صباح عيد الفصح^(٩٦٩)، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل.

ثانياً: فيما يتعلق بجغرافية الخروج:

وأما فيما يتعلق بجغرافية الخروج، فيذكر العهد القديم عدداً من المدن والأماكن التي سكن فيها بنو إسرائيل أو نقطة انطلاقهم عند خروجهم، كما يذكر عدد المصريين الذين طاردوا بني إسرائيل، وكما ذكر أيضاً مركباتهم وفرسانهم ومواضع كثيرة نزل فيها بنو إسرائيل في رحلتهم^(٩٧٠)، وأما القرآن الكريم فلم يحتو "على تحديد عدد قوم سيدنا موسى الذي خرجوا أو عدد المصريين أو عدد جنود فرعون أو مركباتهم الحربية كما فعل العهد القديم"^(٩٧١).

يذكر العهد القديم اسم البحر الذي عبره بنو إسرائيل، بينما القرآن الكريم فلم يذكر اسم ذلك البحر، وإنما اكتفى بذكر "اليم"^(٩٧٢).

يذكر العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- أرسل الجواسيس لاكتشاف الأرض المقدسة قبل دخولها، كما ذكر أوصاف تلك القرية، وأما القرآن الكريم فلم يذكر أن سيدنا موسى -عليه السلام- أرسل الجواسيس لاكتشاف الأرض المقدسة، ولم يصف لنا تلك الأرض^(٩٧٣)، ولم يذكر القرآن الكريم أيضاً أسماء الأنهار التي عبرها بنو إسرائيل، بينما العهد القديم يذكر لنا بعض أسماء الأنهار التي عبرها بنو إسرائيل مثل نهر الأردن^(٩٧٤).

٩٦٨- انظر، ص ٤٣، من الرسالة.

٩٦٩- سفر العدد، الإصحاح: ٣٣ : ٣.

٩٧٠- انظر: ص ٤٤- ٤٥، من الرسالة.

٩٧١- بوكاي، التوراة والأنجيل والقرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

٩٧٢- انظر، النصوص ص ٤٦، ١١٨- ١١٩، من الرسالة.

٩٧٣- انظر، ص ٤٧- ٤٨، من الرسالة.

٩٧٤- انظر، ص ٤٩، من الرسالة.

المبحث الثالث:

الآثار المترتبة على الخروج بين العهد القديم والقرآن الكريم

المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم، الآثار المترتبة على الخروج.

المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، الآثار المترتبة على الخروج.

المطلب الأول: مواطن الاتفاق بين العهد القديم والقرآن الكريم، الآثار المترتبة على الخروج:

ذكر الكتابان الآثار المترتبة على خروج بني إسرائيل من مصر فكان من شأنهما أن يتفقا في معالجة هذه الآثار، التي ظهرت في أوساط بني إسرائيل، في رحلتهم إلى الأرض الموعودة للمؤمنين بالله رب العالمين، الداعين إلى دين الإسلام، و إلى الخير، الذين يؤمنون بجميع الرسل - عليهم السلام- ولا يفرقون بين رسل الله وأنبيائه -عليهم السلام-.

وسأتحدث في هذا المطلب إن شاء الله -عز وجل- عن أبرز هذه الآثار المترتبة على خروج بني إسرائيل من مصر.

أولاً: فيما يتعلق بالآثار العقديّة:

يتفق العهد القديم مع القرآن الكريم على أن التوراة أنزلها الله -جل جلاله- في جبل الطور في سيناء، بعد خروج بني إسرائيل من مصر، ويتفقان أيضاً، أن التوراة نزلت جملة، وأنها كتبت في اللوحين، ويتفقان أيضاً على أن نزول المن والسلوى، وتظليلهم بالغمام، وانبثاق الماء من الحجر، وذلك لما طلبوا من سيدنا موسى -عليه السلام- أن يدعو ربه ليسقيهم^(٩٧٥)، ويتفق الكتابان أن بني إسرائيل عبدوا العجل عند غياب سيدنا موسى -عليه السلام- وأن ذلك العجل مصنوع من حليهم من الذهب والفضة^(٩٧٦)، ويتفقان أيضاً أن سيدنا موسى -عليه السلام- صعد على الجبل للقاء الله -عز وجل-، ويتفقان أيضاً أن الله العليم أعطى سيدنا موسى -عليه السلام- في الجبل الوصايا العشر، وأنه أخذ الميثاق مع بني إسرائيل أن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، كما اتفقا أن الله -سبحانه وتعالى- أعطى سيدنا موسى -عليه السلام- اللوحين اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر^(٩٧٧)، ويتفق الكتابان أيضاً، أن الله -سبحانه وتعالى- نهى عن عبادة الأصنام و صنع التماثيل للعبادة، ويتفقان أيضاً على أن سيدنا موسى أوصى سيدنا هارون -عليهما السلام- قبل صعوده إلى الجبل^(٩٧٨)، ويتفقان أيضاً أن سيدنا موسى -عليه السلام- مكث فوق الجبل أربعين ليلة وأربعين يوماً، ويتفق الكتابان أيضاً، أن الذين عبدوا العجل تمردوا على سيدنا هارون -عليه السلام-^(٩٧٩).

٩٧٥- انظر، النصوص ص ص٥٢-٥٣، ١٢٥-١٢٨، من الرسالة.

٩٧٦- انظر، النصوص ص ص٥٤-٥٥، ١٢٨-١٢٩، من الرسالة.

٩٧٧- انظر، النصوص ص ص٥٥-٥٧، ١٢٨-١٣٣، من الرسالة.

٩٧٨- انظر، النصوص ص ص٥٥-٥٦، ١٢٨-١٣٠، من الرسالة.

٩٧٩- انظر، النصوص ص ص٥٥-٥٦، ١٣٠-١٣١، من الرسالة.

ويتفق الكتابان أيضاً، أن الله العليم الخبير أوحى إلى سيدنا موسى -عليه السلام- يخبره أن بعض بني إسرائيل خرجوا من طاعة وأمره وأنهم عبدوا العجل الذهبي، وخرجوا عما تركهم عليه^(٩٨٠)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٩٨١)، ويتفق الكتابان أن سيدنا موسى -عليه السلام- لما رأى الشعب يطوفون حول العجل ألقى الألواح غضبان على خروجهم من دين الله رب العالمين وعلى معصيتهم ربهم خالفهم^(٩٨٢)، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...﴾^(٩٨٣)، ويتفق الكتابان أيضاً أن سيدنا موسى -عليه السلام- أخذ الألواح بعد أن سكت عنه الغضب وأمر الشعب بأن يأخذوا ما جاء فيها من الوصايا والميثاق، وأمرهم بالتوبة عن خطاياهم من عبادة للعجل^(٩٨٤)، ويتفق أيضاً أن سيدنا موسى -عليه السلام- اختار سبعين رجلاً من الشعب لميقات الله رب العالمين، كما يتفق أن أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم، توبة عن خطيئتهم^(٩٨٥)، ويتفق أيضاً أن بني إسرائيل طلبوا من سيدنا موسى -عليه السلام- رؤية الله -جل جلاله-^(٩٨٦).

ثانياً: فيما يتعلق بالآثار التشريعية:

يتفق العهد القديم مع القرآن الكريم على أن يوم السبت عيد لبني إسرائيل وأن الله المشرع، شرع لهم هذا اليوم للعبادة وممارسة الطقوس الدينية فقط، فلا يجوز القيام بالصيد في ذلك اليوم^(٩٨٧)، ويتفق الكتابان أن الله -جل جلاله- أمر بني إسرائيل بالصلاة وأنها من بين الميثاق الذي أخذ الله -جل جلاله- بهم، وأن يعتبروها دائماً، أنها موجهة إلى الله تعالى^(٩٨٨).

ويتفق العهد القديم مع المصادر الإسلامية على أن بني إسرائيل يصومون في بعض أعيادهم شكراً لله -جل جلاله- وتقرباً إليه^(٩٨٩).

٩٨٠- انظر، ص ٥٧، من الرسالة.

٩٨١- سورة طه، الآيات ٨٣-٨٥.

٩٨٢- انظر، ص ٥٧-٥٨، من الرسالة.

٩٨٣- سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

٩٨٤- انظر، النصوص ص ٥٧-٥٨، ١٣١-١٣٢، من الرسالة.

٩٨٥- انظر، النصوص ص ٥٧-٥٨، ١٣١-١٣٢، من الرسالة.

٩٨٦- انظر، النصوص ص ٥٨-٥٩، ١٣٣-١٣٤، من الرسالة.

٩٨٧- انظر، النصوص ص ٦٩-٧٠، من الرسالة.

٩٨٨- انظر، النصوص ص ٧٠-٧٣، ١٣٥-، من الرسالة.

٩٨٩- انظر، النصوص ص ٦٩، ١٣٧-١٣٨، من الرسالة.

ثالثاً: فيما يتعلق بالآثار الأخلاقية والنفسية:

أ- فيما يتعلق بالآثار الأخلاقية:

يتفق العهد القديم مع القرآن الكريم أن الله - سبحانه وتعالى - أمر بني إسرائيل بالالتزام بالأخلاق الإسلامية وطاعة الله - عز وجل - والإحسان والعدالة الاجتماعية والوفاء بعهد الله - سبحانه وتعالى - الذي أخذ معهم... (الوصايا العشر)، فالأخلاق عند الكتابيين ركن أساسي في حياة الإنسان^(٩٩٠).

ويتفق العهد القديم مع القرآن الكريم، أن بني إسرائيل اعترضوا على سيدنا موسى - عليه السلام - لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة، كما يتفقان أيضاً، أنهم تمردوا على سيدنا موسى - عليه السلام - في مواقف كثيرة، ويتفقان أن بني إسرائيل سألوا سيدنا موسى - عليه السلام - أشياء كثيرة لا تليق في حق الرسل - عليهم السلام -^(٩٩١).

ب- فيما يتعلق بالآثار النفسية:

وأما فيما يتعلق بالآثار النفسية، فيتفق العهد القديم مع القرآن الكريم، أن بني إسرائيل اعتمدوا كثيراً على سيدنا موسى - عليه السلام - أثناء خروجهم من مصر ولم يعتمدوا على أنفسهم، فظهرت منهم قلة الثقة بالنفس، كما يتفقان على أنهم تدمروا كثيراً لسيدنا موسى - عليه السلام - كما شكوا إليه في المواقف الكثيرة، و ظهر منهم التوتر النفسي والملل النفسي وتعلق نفوسهم بالأرض الموعودة دون أن يتصوروا تصوراً عقدياً منطقياً، أن السبب الأساسي لخروجهم من مصر، هو ليظفروا عقيدتهم، من الشوائب الوثنية، بدرجة أولى قبل كل شيء، وأن الله رب العالمين، أخرجهم بقيادة سيدنا موسى - عليه السلام -، ليجدوا حرية الاختيار فيما بدا لهم، من الدين، وما يتعلق بالحياة الاجتماعية، دون إكراه، وعلى هذا الاختيار سيحاسبون اليوم أمام الله رب العالمين^(٩٩٢).

٩٩٠- انظر، النصوص ص ص ٧٤-٧٥، ١٤١-١٤٢، من الرسالة.

٩٩١- انظر، النصوص، ص ص ٧٧-٧٨، ١٤٢-١٤٥، من الرسالة.

٩٩٢- انظر، النصوص، ص ص ٧٨-٨٠، ١٤٥-١٤٨، من الرسالة.

المطلب الثاني: مواطن الاختلاف بين العهد القديم والقرآن الكريم، في الآثار المترتبة على الخروج:

يختلف العهد القديم عن القرآن الكريم في الآثار المترتبة على الخروج في عدة نقاط وأهم هذه النقاط ما يأتي:

أولاً: فيما يتعلق بالآثار العقديّة:

يذكر العهد القديم أن الرب كان يتقدم على بني إسرائيل في عمود سحب ليهديهم في الطريق نهاراً وفي عمود نار ليلاً ليضيء لهم، بينما القرآن الكريم يذكر أن الله - عز وجل - ظلهم بالغمام ولم يذكر أنه كان يسير أمامهم^(٩٩٣).

القرآن الكريم يذكر أن بني إسرائيل طلبوا من سيدنا موسى - عليه السلام - أن يصنع لهم آلهة كما لأهل القرية آلهة، بينما العهد القديم لم يذكر هذه المعلومات^(٩٩٤).

يذكر العهد القديم أن الله - سبحانه وتعالى - يفتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع^(٩٩٥)، بينما القرآن الكريم يقول: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ رِبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٩٩٦).

يذكر العهد القديم أن سيدنا هارون - عليه السلام - هو الذي صنع العجل الذهبي ودعا الشعب إلى عبادته وذلك ليكتسب سلطة القيادة، كما شيد مذبحاً أمام العجل الذهبي، بينما القرآن الكريم يذكر أن الذي صنع العجل الذهبي هو السامري^(٩٩٧)، يذكر العهد القديم بعض أسماء الذين صعدوا مع سيدنا موسى - عليه السلام - فوق الجبل^(٩٩٨)، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل.

يذكر القرآن الكريم أن بعض بني إسرائيل كادوا أن يقتلوا سيدنا هارون - عليه السلام - لما نهاهم عن عبادة العجل، قال الله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾ إلى قوله تعالى:

٩٩٣- انظر، النصوص ص ص٦٩، ١٢٥، من الرسالة.

٩٩٤- انظر، ص١٢٨، من الرسالة.

٩٩٥- انظر، ص٥٥، من الرسالة.

٩٩٦- سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

٩٩٧- انظر، النصوص ص ص٥٥-٥٧، ١٢٩١٣٠، من الرسالة.

٩٩٨- انظر، النصوص ص ص٥٦-٥٧، من الرسالة.

﴿...قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي...﴾^(٩٩٩)، بينما العهد القديم لا يذكر ذلك وإنما يذكر أن سيدنا هارون -عليه السلام- دعا الشعب إلى عبادة العجل بل وعبدته^(١٠٠٠).

يذكر العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- كسر اللوحين، وأما القرآن فيقول أنه ألقاهما دون ذكر الكسر^(١٠٠١).

يذكر العهد القديم أسماء الجبال مثل (جبل حوريب)^(١٠٠٢)، بينما القرآن الكريم لم يذكر أسماء تلك الجبال إلا جبل الطور في قوله -تعالى-: ﴿وَطُورِ سِنِينَ﴾^(١٠٠٣).

يذكر العهد القديم خيمة الاجتماع وتابوت العهد^(١٠٠٤)، بينما القرآن الكريم لم يذكر هذه التفاصيل.

يذكر العهد القديم أن سبعين رجلاً رأوا الله -سبحانه وتعالى- بينما القرآن الكريم يقول أنهم صعقوا في الجبل ولم يروا الله العلي.

القرآن الكريم يعرض اليوم الآخر عرضاً وافياً للعبرة والموعظة^(١٠٠٥)، بينما لا يوجد في العهد القديم نص صريح عن اليوم الآخر.

ثانياً- فيما يتعلق بالآثار التشريعية:

يذكر العهد القديم الأعياد التي يحتفل بها بنو إسرائيل مثل عيد الفصح والحصاد^(١٠٠٦)، بينما القرآن الكريم لم يذكر تلك الأعياد.

يذكر العهد القديم أن الله -سبحانه وتعالى- أتم عمله في اليوم السابع الذي قام به فاستراح فيه من جميع ما عمله، وهو يوم السبت^(١٠٠٧)، بينما يذكر القرآن الكريم أن الله -سبحانه وتعالى- خلق السموات والأرض في ستة أيام، دون أن يحدد أي يوم بدأ ولا أي يوم انتهى من عمله، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٠٠٨).

٩٩٩- سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

١٠٠٠- انظر، النصوص ص ص ٦٥٦-٥٧، من الرسالة.

١٠٠١- انظر النصوص ص ص ٥٧-٥٨، ١٣٢، من الرسالة.

١٠٠٢- انظر النصوص ص ص ٥٧-٥٨، من الرسالة.

١٠٠٣- سورة التين، الآية ٢.

١٠٠٤- انظر النصوص ص ص ٥٨، ١٣٣-١٣٤، من الرسالة.

١٠٠٥- انظر النصوص ص ص ١٣٤-١٣٥، من الرسالة.

١٠٠٦- انظر ص ٦٤، من الرسالة.

١٠٠٧- انظر النصوص ص ص ٦٩-٧٠، من الرسالة.

١٠٠٨- سورة الأعراف، الآية ٥٤.

يختلف العهد القديم عن القرآن الكريم في قصة البقرة، فهي في العهد القديم للطهارة من النجاسة وأحياناً لتبرئة بني إسرائيل من جريمة القتل، وأما في القرآن الكريم فجاءت للتبرئة ومعرفة القاتل، واستنتج المفسرون منها أن الله الباعث، أراد أن يري بني إسرائيل آياته وقدرته على إحياء الموتى يوم القيامة الذي ينكره بعضهم فبعث المقتول ينطق من قتله أمامهم لعلمهم يؤمنون باليوم الآخر والبعث وينتهون عن إنكار حدوثه^(١٠٠٩).

ثالثاً- فيما يتعلق بالآثار الأخلاقية والنفسية:

يذكر العهد القديم أن الله -سبحانه وتعالى- بلبل لسان البشر حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض فلا يتحدثوا ضده سبحانه وتعالى وهذا ما جاء في سفر الخروج الذي يعتبر جل نصوصه الحديث عن خروج بني إسرائيل من مصر^(١٠١٠)، وبينما يعتبر القرآن الكريم أن اختلاف السنة الناس آية من آيات الله عالم الغيب، قال الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١٠١١)، فخلق السموات والأرض واختلاف السنة الناس وألوانهم من آيات الله الكبرى.

ومما اختلف العهد القديم عن القرآن الكريم أيضاً هو في حق سيدنا موسى -عليه السلام- يذكر العهد القديم أن سيدنا موسى -عليه السلام- عصى ربه ولذلك منع من دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله -سبحانه وتعالى- للشعب المختار، بينما يذكر القرآن الكريم أن سيدنا موسى -عليه السلام- أمر قومه بدخول الأرض المقدسة فرفضوا ولم يذكر أنه عصى ربه^(١٠١٢)، وفي حق سيدنا هارون -عليه السلام- يذكر العهد القديم أن سيدنا هارون -عليه السلام- هو الذي صنع العجل وهو مرسل من عند الله -سبحانه وتعالى- في نفس الوقت وأنه عبد الصنم^(١٠١٣)، بينما القرآن الكريم لا يذكر مثل هذه الأخلاقيات السيئة في حق الرسل -عليهم السلام-.

وفيما يتعلق بالآثار النفسية؛ يذهب العهد القديم إلى تحديد الأماكن التي حدثت فيها الآثار النفسية لبني إسرائيل وكأن تلك الآثار النفسية مرتبطة بتلك الأماكن فحسب أو بمفهوم آخر أي أنها لا تتكرر، فقيدها بالأماكن المحددة، بينما القرآن الكريم لم يذكر الأماكن - إلا قليلاً منها - التي مر بها بنو إسرائيل ولم يقيد ما ظهر منهم من آثار نفسية لبني إسرائيل بسبب كثرة تكرارها

١٠٠٩- انظر، النصوص ص ص٧٢-٧٣، ١٣٤، من الرسالة.

١٠١٠- انظر، ص٧٦ من الرسالة.

١٠١١- سورة الروم، الآية ٢٢.

١٠١٢- انظر، النصوص ص ص٧٧، ١٤٨-١٤٩، من الرسالة.

١٠١٣- انظر، ص ٧٨، من الرسالة.

ومصاحبة هذه الآثار النفسية لهم في رحلتهم الصحراوية الطويلة، إنما ركز على الجوانب تستدعي للعبير والعظة، ومعرفة الله رب العالمين^(١٠١٤).

١٠١٤- انظر، النصوص ص ص ٧٨-٧٩، ١٤٥-١٤٨، من الرسالة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه رضي الله عنهم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإن الله -عز وجل- أرسل الرسل -عليهم السلام- وأنزل على بعضهم الكتب لتكون دستوراً للبشرية أجمعين وهداية لهم في حياتهم الدنيوية، ورضي الله -عز وجل- لنا الإسلام ديناً، الذي جاء به جميع الرسل -عليهم السلام، وشرع الشرائع لكل أمة بعلمه -جل جلاله- رحمة للناس على أداء هذه الشرائع على الوجه الذي يريده الله -سبحانه وتعالى-، و على هذا، فإن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، وهي:

- أن العهد القديم والقرآن الكريم يتفقان على حدوث خروج بني إسرائيل من مصر وأن ثمة أسباب للخروج، وأن بني إسرائيل تأثروا بالديانات المصرية الوثنية وأن تلك المعتقدات المصرية ظهرت آثارها في أوساط بني إسرائيل في رحلتهم إلى الأرض الموعودة وأن بني إسرائيل عانوا كثيراً عند إقامتهم في صحراء سيناء.
- أن العهد القديم والقرآن الكريم يتفقان على قيادة سيدنا موسى وبمساعدة سيدنا هارون -عليهما السلام- لبني إسرائيل وأن الذين خرجوا مع سيدنا موسى -عليه السلام- أصناف؛ فمنهم أمم أخرى. وأن سيدنا موسى -عليه السلام- رسول ونبي ورُبي على دين الله رب العالمين ومخلص للشعب المستعبد. وأن الله -سبحانه وتعالى- كلم سيدنا موسى - عليه السلام- تكليماً.
- يتفق العهد القديم والقرآن الكريم، أن سيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- قد واجها الأزمات الخطيرة في قيادة بني إسرائيل وتربيتهم على دين الإسلام وعلى الرغم من هذه الأزمات فإنهما استمرا في تطهير الآثار الوثنية في قلوب بعض بني إسرائيل مع وجود التباين بين ما جاء به دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء -عليهم السلام- وبين ما اعتادوا عليه في مصر، إضافة إلى تقلب الأجواء التي لم يعتادوا عليها.
- وأن حادثة الخروج تعطي منهجاً سليماً للحوار بين الأديان، ذلك المنهج الذي خطه الله العليم لسيدنا موسى عليه السلام في دعوته وتربيته بني إسرائيل في الإسلام.
- أنه على الرغم أن الكتابين مصدرهما واحد، -حسب الاعتبارات- إلا أنهما يختلفان في معالجة بعض المسائل المتعلقة بخروج بني إسرائيل من مصر وكذلك في إيراد التفاصيل والسرد التاريخي مثل ذكر الأماكن التي مر بها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر،

بشكل رسم الخرائط الجغرافية أو ذكر الأعداد القابلة للنقد والشك في صحتها، ولهذا اهتم القرآن الكريم بجوانب العبر والعظة بينما العهد القديم اهتم بالدرجة الأولى على إيراد تفاصيل الأماكن وذكر عدد بني إسرائيل عند قدومهم إلى مصر وعددهم عند خروجهم منها، كما يعرض الأحداث التاريخية.

- القرآن الكريم يعرض المسائل التي تستدعي النظر إلى الآفاق والتأمل في معجزات الله الباهرة، في خلق الإنسان والسموات والأرض، كما تستدعي الاستدلال العقلي للتوصل إلى الإيمان بالله رب العالمين. بينما العهد القديم يعرض المسائل عن طريق اللمحات والإشارات الكثيرة إلى معاناة شعب محدد، دون أن تكتشف جوانب العظة والعبر في عرضه الأحداث بوضوح، فقد طغى في عرضه لمعاناة بني إسرائيل ولم يقدم الرؤية الشاملة في عرض السبب الأساسي لخروج بني إسرائيل من مصر الذي يتضح أنه الدعوة إلى توحيد الله في العبادة وتطهير بني إسرائيل من شوائب الشرك وعبادة الأصنام، فالقرآن الكريم يجعل الدعوة للتوحيد لله في العبادة، بجميع ما يمكن أن تبلغه الدعوة، ولذلك كانت رسالة سيدنا موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم هي دعوة فرعون وجميع المصريين وبني إسرائيل إلى توحيد الله في العبادة كانت في المقام الأول، ثم يأتي رفع الظلم عن بني إسرائيل وطلب إقامة العدالة الاجتماعية في المقام الثاني. بينما يجعل العهد القديم رفع الظلم عن بني إسرائيل فقط في المقام الأول ولا يوجد فيه نص يوجه الخطاب في الدعوة للتوحيد إلى جميع المصريين، وما جاء فيه في مقام الدعوة، هو طلب إطلاق إسرائيل ليعبدوا ربهم في البرية، دون التركيز على الدعوة إلى توحيد الله وحده في العبادة، ولم تتضح منه صفة ماهية الرب الذي يدعو إليه سيدنا موسى -عليه السلام-.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإيمان اليقين والعمل الصالح وأن ينفعنا بما جاء به الرسل -عليهم السلام- لهداية البشرية، إنه نعم المولى ونعم النصير... اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً نافعاً يا أرحم الراحمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**، رواية حفص بن سليمان ابن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي.

* **الإنجيل**، كتاب الحياة، عربي إنجليزي، ط٦، ١٩٨٢م.

* **العهد القديم**، كتاب الحياة ترجمة تفسيرية، تم جمعه في جي. سي. سنتر، مصر الجديدة - القاهرة.

* **العربية:**

(أ) **الكتب:**

١. إبراهيم مصطفى وأصحابه، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، استانبول، ج٢، د.ط، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٢. ألكار السقاف، **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٣. أبو بكر إبراهيم التلوع، **الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي**، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، د.ط.
٤. أحزمي سمعون حزولي، **الهجرة في القرآن الكريم**، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٥. أحمد أفندي نجيب، **كتاب الأثر الجليل لقدماء وادي النيل**، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١، ١٤١١م-١٩٩١م.
٦. أحمد بدوي، **في موكب الشمس**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج٢، ط١، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
٧. أحمد بهجت، **أنبياء الله**، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
٨. أحمد بن حنبل، (ت ١٦٤ - ٢٤١هـ) **الموسوعة الجديدة**، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، حديث رقم ٢١٩٠٠، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مج٣٦، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٩. أحمد الربايعة، **دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية**، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان، د.ط ١٩٨٧م.
١٠. أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط٦، ١٩٨١م.

١١. أحمد الشاذلي، مسيرة بني إسرائيل والأصول التاريخية لليهود، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، د.س.
١٢. أحمد شلبي، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج ١، ط ٦، ١٩٨٢م.
١٣. أحمد بن عبد الحليم أبو العباس، ابن تيمية، (ت ٦٥١-٧٢٨م)، العبودية، تعليق محمد بن سعيد بن رسلان أبو عبد الله، دار الإيمان الإسكندرية، د، ط.
١٤. أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د.س.
١٥. أحمد عبد الوهاب، دراسة في الأديان، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٦. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار التقوى، ومكتبة العلم، القاهرة، مج ٤، د.ط، د.س.
١٧. أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ الأنبياء، تحقيق، آسيا كليبان علي البارح، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٨. أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج ٦، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٩. أرمان أدولف، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، د.ط، د.س.ن.
٢٠. إريك، ديانة مصر الفرعونية الوجدانية والتعددية، ترجمة محمد ماهر طه وصاحبه، د.د، د.م.ن، د.ط، د.س.ن.
٢١. إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها مع غير اليهود، ترجمة حسن خضر، دار مينا للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م.
٢٢. إسماعيل بن كثير أبو الفداء (ت ٧٠١-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق نخبة من علماء دار الكتب المصرية، دار المعرفة، بيروت، ج ١، د.ط، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
٢٣. إسماعيل بن كثير أبو الفداء، (ت ٧٠١-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تقديم عبد القادر الأرنؤوط، دار الفيحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض، مج ٤، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٢٤. إسماعيل ابن كثير أبو الفداء (ت ٧٠١-٧٧٤هـ)، قصص الأنبياء، مراجعة: جمال الدمشقي، دار الإسرائ، ومكتبة دنديس، عمان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٥. أمين القضاة وآخرون، أديان وفرق، د.د. عمان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٦. إيمار أندريه وصاحبه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريدم داعز وصاحبه، منشورات عويدات، بيروت، مج ١، ط٢.
٢٧. بالكين جون، وأصحابه، مدخل إلى الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
٢٨. بدج السير ولس، الديانة الفرعونية، ترجمة يوسف سامي اليوسف، دار منارة عمان، ط١، ١٩٨٥.
٢٩. بروس بارتون وأصحابه، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب شركة ماستر ميديا، عمارة برج الجزائر، القاهرة.
٣٠. بطرس عبد الملك، وأصحابه، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٥م.
٣١. البهي الخولي، بنو إسرائيل في ميزان القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٢. بوكاي موريس، التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.س.
٣٣. تيتارينكو ألكسندر، علم الأخلاق، دار التقدم، موسكو، د.ط، ١٩٩٠.
٣٤. تيسير محجوب الفتياني، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان ط١، ٢٠٠٤م.
٣٥. ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، الجماعات البدائية، بنو إسرائيل، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.س.
٣٦. جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة عبد الفتاح. مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.
٣٧. جمال محمد سعيد، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ط، د.س.
٣٨. جميل خرطيل، نقد الدين اليهودي، دار الأوائل، د.م، د.ط، ٢٠٠٢م.
٣٩. جودت السعد، الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٤٠. جورجى كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، د.د. بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

٤١. خالد حميد النعيمي، دور الجيش والاقتصاد في التجمع والاقترام الصهيوني، دراسة في المشروع التوراتي الجديد، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٩م.
٤٢. الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، (ت ١٠٠ - ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السام رائي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ج٤، د.ط. د.س.ن.
٤٣. ديورانت ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.م، د.ط، د.س، مج ١.
٤٤. رجا عبد الحميد عربي، سفر التاريخ اليهودي، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٤٥. زياد منى، جغرافية التوراة، رياض الرئيس للكتب والنشر، د.م.د.ط.د.س.
٤٦. زيدان عبد الفتاح قعدان، مدينة الله في الأرض، دار البشير عمان، ط ١، ١٤١٩م - ١٩٩٨م.
٤٧. سعدون محمود الساموك، في مقارنة الأديان ، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن دراسة أكاديمية، دار الوائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦.
٤٨. سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٤٩. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، د.ط، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٥٠. سليم حسن، مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٦، د.ط، ١٩٩٢م.
٥١. سليم حسن، مصر القديمة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ج١، د.ط، سنة ١٩٩٣م.
٥٢. سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو داود، (ت ٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ترقيم الأبواب، هيثم بن نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٣. سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، (ت ٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، دراسة كمال يوسف الحوت، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
٥٤. سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط ١٤١٥هـ-١٩٩٥.

٥٥. سوفير دافيد، **جغرافية الأديان**، ترجمة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٥٦. السيد أحمد فرج، **مقال في الإنسان والتوحيد**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٥٧. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، مج٣، ط١٥، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٥٨. شاهر ذيب أبو شريح، **المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني**، دار جريز للنشر والتوزيع، د.م، ط١، ١٥٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٥٩. شهاب الدين السيد محمود الألوسي، (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، تعليق، محمد أحمد الأمد، وصاحبه، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ج٢٩، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٦٠. شوقي، إبراهيم علي عبد الله، **مقارنة الأديان، بحوث في اليهودية وتاريخها وعقائدها وأهم فرقها، وموقف الإسلام منها**، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٦١. صلاح عبد الفتاح الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ -وسمات - ومصير**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٦٢. عباس محمود العقاد، **الموسوعة الإسلامية، توحيد وأنبياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، مج١، ط١، ١٩٧٠م.
٦٣. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، **الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم**، د. د. د. م، ط٢، ١٤١٣م - ١٩٩٣م.
٦٤. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الدر المنثور في التفسير المأثور**، تخريج الأحاديث، نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٦٥. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **شرح سنن النسائي**، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، **ترقيم عبد الفتاح أبو غدة**، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ج٣، د.ط، د.س.
٦٦. عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ج١، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٦٧. عبد الرحمن غنيم، **اليهودية بين القرآن والتوراة ومعطيات التاريخ القديم**، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د.ط، ١٠٠٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٨. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.س.
٦٩. عبد الرحيم فودة، قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، د.س.
٧٠. عبد المجيد النجار، البعد الحضاري لهجرة الكفاءات، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، عدد ٨٩، ط ١، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٧١. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٧٢. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ج ٤، ط ١، ١٩٩٩م.
٧٣. عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية، عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، ودار البيارق، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٧٤. عفيف عبد الفتاح طيارة، اليهود في القرآن، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط ١٢، ١٩٨٦م.
٧٥. علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، مكتبة غريب، القاهرة، د. ط ١٩٧٠.
٧٦. علي بن محمد البغدادي الخازن، مختصر تفسير الخازن، تهذيب عبدالغني الدقر، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، مج ١، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٧٧. فائز فارس، اللغة العبرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
٧٨. فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، د.م.ن، د.س.ن، د.ط.
٧٩. فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات الميثولوجيا، والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق، د.ط، د.س.
٨٠. فراس السواح، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط ٢، د.س.
٨١. فرج الله عبد الباري، موسوعة العقيدة والأديان، اليهودية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ج ٥، ط ١، ٢٠٠٤م.
٨٢. فرنسيس وأصحابه، تفسير الكتاب المقدس، دار منشورات التفسير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦م.
٨٣. فرويد سيجموند، موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطلعة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٦م.

٨٤. فضل حسن عباس، **قصص القرآن الكريم**، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
٨٥. قحطان الدوري، وصاحبه، **أصول الدين الإسلامي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٨٦. كامل سفعان، **اليهود، تاريخ وعقيدة**، دار الاعتصام، د.م.ن.ط٢، ١٩٨١م.
٨٧. كسيل ليوتاء، **التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، د.د.م، ط١، ١٩٩٤م.
٨٨. كوهن، **التلمود**، عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول "الأخلاق، الأدب، الدين، التقاليد، القضاء" ترجمة إلى اللغة الفرنسية، جاك مارتي، نقله إلى العربية، سليم طنوس، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٨٩. لؤي فتوح، **شذى الدرزي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم**، تاريخ بني إسرائيل المبكر، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٩٠. لويون غوستاف، **الآراء والمعتقدات**، ترجمة محمد عادل زعيتير، المطبعة العصرية، الفجالة، مصر، د.ط، د.س.
٩١. لويون غوستاف، **اليهود في تاريخ الحضارة الأولى**، ترجمة عادل زعيتير، د.د، د.م.ن، د.ط، د.س.
٩٢. مارتن فليب وأصحابه، **الهجرة الدولية تحد عالمي**، ترجمة فوزي سهاونه، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٩٣. محمد أحمد جاد المولى وأصحابه، **قصص القرآن**، ضبط، جمال عبد الغني الدمشقي، دار الإسراء، ومكتبة دنديس، عمان، ط١، ٢٠٠٤.
٩٤. محمد أحمد كنعان، **بنو إسرائيل واليهود، تاريخ مصر**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٩٥. محمد أبو رحمه، **الإسلام والديانة المصرية القديمة**، دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م.
٩٦. محمد أمين بن محمد السنقيطي، (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت، ج ٤، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥.
٩٧. محمد أبو الغيص المنوفي الحسيني، **الدين المقارن**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.س.

٩٨. محمد أبو القاسم الحاج، **البحث عن الحقيقة في أفكار ومعتقدات اليهود**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٩٠م.
٩٩. محمد بن أحمد ابو عبد الله القرطبي، (ت٦٧١م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٣، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٠٠. محمد بن إسحاق، **المبتدأ في قصص الأنبياء**، جمع وتوثيق محمد كريم الكواز، مؤسسة الانتشار العربي، دم، ط١، ٢٠٠٦م.
١٠١. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري، (ت٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، ترقيم وترتيب، محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم ١٣٨٥، دار ابن الهيثم، القاهرة.
١٠٢. محمد بيومي مهران، **بنو إسرائيل الحضارة، الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٤، د.ط، ١٩٩٩م.
١٠٣. محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج٢، د.ط، ١٩٩٥م.
١٠٤. محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري**، تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، مج١، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٠٥. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، (٢٢٤-٣١٠هـ)، **تفسير الطبري**، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٠٦. محمد بن الحسين ابن دريد أبو بكر الأزدي البصري، (ت٣٢١هـ)، **كتاب جمهرة اللغة**، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد الظاهر، ج٢، د.ط، د.س.ن.
١٠٧. محمد الحسيني إسماعيل، **الإنسان والدين**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
١٠٨. محمد الخطيب، **مصر أيام الفراعنة**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
١٠٩. محمد خليفة حسن، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
١١٠. محمد رشيد رضا، (١٨٦٥هـ-١٩٣٥م)، **تفسير المنار**، تخريج الأحاديث، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١١١. محمد السيد، تاريخ اليهود القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د.ط، ٢٠٠٤م.
١١٢. محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١١٣. محمد سيد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، دار المعارف، د.م، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١١٤. محمد عبد العليم مرسى، هجرة العلماء من العالم الإسلامي، دار عالم الكتب، الرياض، د.ط، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
١١٥. محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل، من أسفارهم، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، طبعة جديدة، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
١١٦. محمد علي الخولي، التحريف في التوراة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، صويلح، د. ط، ٢٠٠٢م.
١١٧. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج١، ط١، ١٤٦هـ-١٩٩٦م.
١١٨. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠م)، فتح القدير، مراجعة هشام البخاري، وخضر عكاري، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
١١٩. محمد بن عمر، فخر الدين الرازي (ت ٥٤٤-٦٠٦م)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقديم، خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١١، د.ط، د.س.
١٢٠. محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي، (ت ٢٠٩ - ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، ضبطه الألباني، بيت الأفكار الدولية، للنشر والتوزيع، الرياض، د.ظ. د.س.
١٢١. محمد الفقي، قصص الأنبياء، أحداثها وعبرها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
١٢٢. محمد قاسم محمد، التناقض في تواريخ في أحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، مطابع ستار برس للطباعة والنشر، قطر، ١٩٩٢م.
١٢٣. محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء، جمع المادة منشاوي غانم جابر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ج٣، د.ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٢٤. محمد مختار ضرار المفتي، إظهار الحق في الأديان والفرق، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٤م.

١٢٥. محمد بن مكرم ابن منظور أبو الفضل، (ت ٧١١هـ)، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، إشراف عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٢٦. محمد نجام شبيب، الشرائع والأخلاق بين الحضارة والانحطاط، د.د، د.م، د.ط، د.س.
١٢٧. محمود بن عبدالرؤف القاسم، من جغرافية القصص القرآني، مصر ليست مصر، وغيرها، المكتبة الإسلامية، عمان، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٢٨. محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، ترتيب وضبط، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٢٩. محمود الكتاني، مزاج التسليم في قصص الأنبياء والمرسلين، مراجعة عبدالله الفارق، دار الفدين للنشر والتوزيع، المفرق، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
١٣٠. محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج بشر، صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، ج ٧، ط ٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٣١. مختار السويفي، مصر القديمة، دراسات في التاريخ والآثار، تقديم: محمد جمال الدين مختار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٧١٤هـ-١٩٩٧م.
١٣٢. مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري، (٢٠٤-٢٦١هـ)، صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام، بلا عذر شرعي، حديث رقم ٦٥٣٤، دار السلام، الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، ط ٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٣٣. مصطفى فهمي، في علم النفس، الدوافع النفسية، دار مصر للطباعة، د.ط، د.س.
١٣٤. موفق محادين، دورة اليهودي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
١٣٥. نورمان ف كانتور، التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الأول، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ٥، ١٩٩٧م.
١٣٦. هنري برستد جيمس، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط ١٠٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٣٧. ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، د.ط، د.س.
١٣٨. يحيى محمد علي ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، د. م. ن، ط ١.
١٣٩. يوسف محمود يوسف، إسرائيل، البداية والنهاية، د.د، د. م، ط ١، ١٩٩٤م.

١٤٠. يوسف ميخائيل أسعد، المشكلات النفسية، حقيقتها وطرق علاجها، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.س.

(ب) الدوريات:

١. أحمد محمد أحمد جلي، "الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان"، في مجلة البحوث الإسلامية، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، الرياض، عدد ٣٦، ربيع الأول-ربيع الثاني، جمادى الأولى-جمادى الثانية، ١٤١٣هـ.
٢. عمر عبد الرحمن، "في حوار مع المجتمع"، في مجلة المجتمع، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، عدد ٩١٣.
٣. محمد تقي القمي، "حياة كلها هجرة"، في مجلة رسالة الإسلام، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، عدد ١، السنة الثانية، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٤. محمد الشالي بن القاضي، "الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق"، في المجلة الزيتونية، تحرير، محمد المختار بن محمود، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م، مج ٤، ج ١.
٥. محمد عزة دروزة، "صورة أخرى في القرآن لبني إسرائيل"، في مجلة حضارة الإسلام، دمشق، عدد ١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(ج) رسائل الماجستير:

١. حفني بكري حفني، "الحروب النفسية وأثرها في الأديان السماوية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٢. خالد إبراهيم عبد الله الحسن، "إبراهيم الخليل - عليه السلام - في الأديان الثلاثة" دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين، جامعة آل البيت، المفرق، ٢٠٠٠م.
٣. سراج عثمان بوس، "اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية، (دراسة مقارنة)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٧م.
٤. عبد الله محمد سعيد أحمد الصمادي، "النظام الأخلاقي في الآيات المكية"، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، المفرق، ٢٠٠٣.

* المراجع الأجنبية:

A) Books:

1. Adin Steinsaltz, **Biblical Images**, Basic Books, New York, 1984.

2. Domenach Herve Michel pconet, **La Dimension Megratiore DES ATNILLES**, Economica, 49rue H'ericart, 75015 Paris.
3. **Illustrated Dictionary et concordance of the Bible**, Macmillan Publishing, New York, and, Collier Macmillan Publishers, London, 1986.

B) Internet:

- ww.55a.net/firas/arabic/index.php?page=show رشدي البدرابي، موقع الإنترنت

Abstract

The Israelis Exodus between the Holy Quran and the Old Testament: A Comparative Study

This study included an introduction and analysis of sources and references and introductory chapter, three chapters and a conclusion.

The statement provided the study problem, the justifications, research methodology and the previous studies.

The analysis dealt with the most important sources and references, which were adopted by the researcher in writing this study.

The introductory chapter has the definition of the Israelis, Israelis in Egypt, the population migration in human history, and social dimensions of Nodal.

The first chapter is entitled: Israelis exodus of Egypt in the Old Testament, it has been apportioned to three themes discussed religious reason to get out and the Economic and Social reasons, also showed exodus time and geography. Nodal effects, legislative, ethical and psychological consequences of the exodus were cleared.

The second chapter was the statement of Israelis exodus of Egypt in the Holy Quran, it has also been apportioned to the three themes, and discussed the religious and socio-economic reasons to get out as stated in the Holy Quran, and also showed exit time and geography, also the Nodal, legislative, ethical and psychological consequences were cleared as shown in the Holy Quran.

The third chapter, as though talking about the points of agreement and disagreement between the Old Testament and the Holy Quran, was also divided into three themes included: points of agreement and disagreement between the Old Testament and the Holy Quran of the causes of exodus, time, geography and the implications of exodus.

In conclusion the findings of the research were cited, also citing sources and reference list, which was adopted in writing this research.